تراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 287 سبتمبر 2023

التراث المعماري الحديث في الإمارات..
أصالة وابتكار واستدامة

سياسة المغفور له
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
في التخطيط العمراني لمناطق البدو

منظومة القيم في الرموز التراثية الإماراتية

«رحلة في عوالم الإبل والإنسان»..
طواف في أعماق الذات الإنسانية

اللؤلؤ وجمالية التشكيل الفني في القصيدة الإماراتية
دراسة في شعر مانع العتيبة

غرائبية السرد وأبعاده التعبيرية
عند الكاتب الإماراتي عبد الحميد أحمد

نادي تراث الإمارات
يشارك في مهرجان أبوظبي الدولي للشطرنج

بينالي البندقية يوثق المرحلة الأولى من التراث المعماري الحديث في الإمارات

التراث المعماري الحديث في الإمارات..

أصالة وابتكار واستدامة

تأسست العمارة الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة، في فترة السبعينيات من القرن الماضي، بالتزامن مع التطور المعماري العالمي. وجاءت بتصاميم معمارية مبتكرة وفريدة من نوعها ومستوحاة من الثقافة والتقاليد المحلية ومعبّرة عن روح الحداثة والتطور، ومتكاملة مع المناخ والبيئة المحيطة، مثل استخدام التهوية الطبيعية والظلال لتقليل استهلاك الطاقة. وقد تم تكليف مهندسين ومصممين معماريين بارزين من جميع أنحاء العالم للمشاركة في أعمال التصميم والتنفيذ، وكذلك من خلال المسابقات المعمارية التي أسهمت في تطوير العمارة في الدولة وبأعلى المعايير الهندسية. وذلك كله أسفر عن إنشاء معالم معمارية مميزة ومبتكرة وبطابع استثنائي عكس رؤية الإمارات واهتمامها في مواكبة اللغة العالمية للحداثة، وأضحت معظم مباني تلك الفترة رموزاً معمارية معروفة دولياً، كمركز دبي التجاري العالمي، واستاد مدينة زايد الرياضية.

ومن أجل الحفاظ على القيمة التاريخية والثقافية لهذه المباني وعلى الهوية المعمارية الأصيلة؛ أولت دولة الإمارات العربية المتحدة اهتماماً كبيراً لضمان استدامتها في المستقبل؛ من خلال توجيه الجهود نحو صيانتها وتجديدها باستخدام أحدث التقنيات، أو من خلال تعزيز جهود الأفراد والمؤسسات التي تسعى إلى حفظ المباني واستدامتها بديلاً عن تلك التي أزيلت لأغراض تحسين جودة البيئة المحيطة أولعدم جدوى الصيانة أو التجديد بسبب التكاليف العالية أولعدم وجود طلب كافٍ للاستخدام، أو من أجل تلبية احتياجات تطوير المشاريع أولتدهور البنية التحتية الخاصة لهذه المباني، مثل الأساسات أو تآكل الهياكل. وهناك جهود تحتاج إلى المزيد من الدعم والاهتمام من أجل توثيق كل ما تمت إزالته، فلا يزال التاريخ المعماري والمدني حاضراً في الذاكرة الحية، وهوليس بماضٍ بعيد، وبالإمكان فتح محادثة بين المتخصصين في المجال والأفراد الذين شهدوا على تأسيس تلك العمارة الحديثة في الإمارات بعد تصميمها وبنائها، وتم تصوير مجموعة من هذه المباني. كما يمكن جمع المواد من أرشيفات الشركات المعمارية والهندسية العاملة في ذلك الوقت، وفي أرشيف البلديات والاتحادات، أو في ألبوم صور العائلات الإماراتية، فمن خلالها يمكن الكشف عن الحكاية الرائعة لمسيرة التنمية الحضرية والمعمارية في الإمارات. كما يمكن تعزيز الوعي العام حول أهمية هذا التراث المعماري وتوثيقه من خلال الأبحاث والنشرات وورش العمل والمعارض التي تسهم وبشكل فعّال في تعزيز الفهم العام لأفراد المجتمع حول قيمة هذا الإرث الأصيل والحاجة إلى الحفاظ عليه لأجيال المستقبل. ومن منطلق تسليط الضوء على أهمية التراث المعماري الحديث لدولة الإمارات جاء اختيارنا ليكون ملفاً لعدد «تُراث» لهذا الشهر، والأمل يحدونا بأن تستمتعوا بموضوعات العدد المتنوعة.

شمسة الظاهري
رئيسة التحرير

نادي تراث الإمارات
السلسلة التراثية الثقافية
مركز زايد للدراسات والبحوث

torathehc www.torath.ae

75
ارتياد الآفاق

رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا 1613 - 1618م

تصف لنا الرحلة العديد من المشاهد والوقائع، بدءاً من مشاورات الانطلاق، وتردد الأمير في ركوب البحر، ومواجهة القرصان وما جرى للمركبين في البحر، ومدينة بيزا، ومدينة إفرنسيا، ومدينة فلورنسا، وقصورهم، وأعيادهم وألعابهم، وقدّم لنا أقدم وصف عن المسرح في أوروبا، وحفلات الرقص، ومتحف التاريخ والجغرافية، والمتحف الحربي، والكنائس، وصناعة البارود، والبيمارستانات ونظامها، والأديرة، والبنوك ونظامها، والطباعة، ومزارع السمك، ومالطة، وصقلية، وبالبرمو، ونابل، والأسرى العرب، والأمير فخر الدين يرفض عرضاً لاعتناق النصرانية والكثير من الحكايا والمشاهد .... محمد عبد العزيز السقا

84
سوق الكتب

«رحلة في عوالم الإبل والإنسان».. طواف في أعماق الذات الإنسانية

يأتي هذا العمل ليعمّق من فهمنا لذواتنا، وليعزّز من إنسانيتنا في عوالم قد تبدو لبعضهم بعيدة عما اعتدنا على تصنيفه في خانة الإنسانية. يقول عبد الله ميزر: «أحاول في هذا العمل أن ألقي الضوء على المشاعر والعواطف التي يمكن أن تتشكل خلال علاقتنا مع محيطنا بكل ما يحتويه سواء المكان أو الكائنات الأخرى التي تحيط بنا. أبطال هذا الكتاب شخصيات إبلية بالدرجة الأولى مثل إنجن تيمي وبوتوك وآسكو وسارا وغيرها، لكن لا يقف الكتاب عندها فقط، بل يتخذها معبراً لإضاءة جوانب إنسانية معتمة في دواخلنا، ولا تظهر إلا في ظروف معيّنة».... الفاضل أبو عاقلة

12

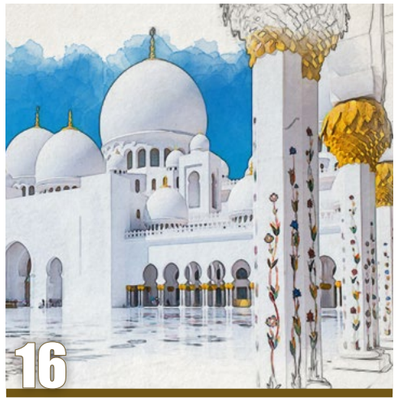

16

72

95
أدب ونقد

غرائبية السرد وأبعاده التعبيرية عند عبد الحميد أحمد

لا نبالغ إذا قلنا إن الحزن المحفوف بالفقر والحرمان من المفاتيح الرئيسية لعالم عبد الحميد أحمد القصصي الذي لا يتوقف عند حدود معاناة الشخصية الإماراتية وحدها بل يتسع لمعاناة الشخصية العربية وغير العربية المقيمة في الإمارات وغير المقيمة أيضاً كتلك الشخصيات التي صادفها الكاتب في سفره، والتي ترك أمكنة عيشها مجهولة العنوان، لذلك نجده في العديد من قصصه يتخلى عن تسمية المكان، ما يتيح للحدث القصصي عنده أن يأخذ بُعداً لا تحصره جغرافيا بعينها ....

أحمد حسين حميدان

104

126

112
فنون

رموز روحانية في الحضارة الفرعونية

توجد زهرة اللوتس بكثرة في فنون النحت القديمة التي تحمل معاني باطنية عميقة، فهذه الزهرة لا تنبت إلا في الوحل والمستنقعات وتتبع إيقاع حركة الشمس، تتفتح أزهارها وقت الشروق وتنغلق على نفسها، وتغطس تحت ظلمة المياه مع غروب الشمس وتعود إلى السطح من جديد وتتفتح أوراقها عند شروق أشعة الشمس من جديد وهكذا دواليك. اعتُبرت هذه الزهرة مقدسة لدى القدماء المصريين لأنها تعبر عن النور بداخل الإنسان وإشارة إلى «الروح» المتصلة بالإله التي تسعى إلى الخروج من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة.... نورة صابر المزروعي

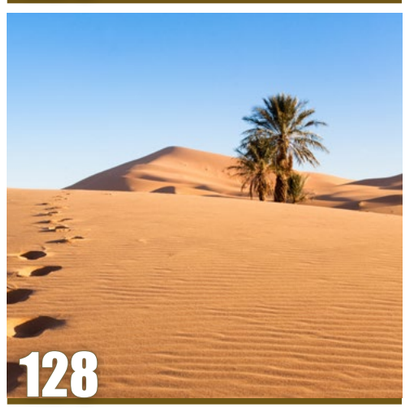

128

محتويات العدد

تراث الشهر

8 نادي تراث الإمارات يشارك في مهرجان أبوظبي الدولي للشطرنج

70 خلف الباب - عبد الفتاح صبري

72 تلمسان (غرناطة أفريقيا) - ضياء الدين الحفناوي

74 يا رشا - إعداد: نايلة الأحبابي

81 بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح
أفعال الزجر والمنع - محمد فاتح زغل

82 ذكريات زمن البدايات (17) مع وزير الأمن - خليل عيلبوني

87 الإنسان والأثر - حمزة قناوي

88 الأرشيف والمكتبة الوطنية.. منارة ثقافية وحارس أمين على ذاكرة الوطن - جمال مشاعل

98 اللؤلؤ وجمالية التشكيل الفني في القصيدة الإماراتية
دراسة في شعر مانع العتيبة - عادل نيل

104 منظومة القيم في الرموز التراثية الإماراتية - عبد المنعم همت

108 من وثائق الأرشيف المصري في تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية
«سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث» - موزة عويص علي الدرعي

114 قراءة في كتاب «خليل الشيخ»
«باريس في الأدب العربي الحديث».. عمل تأسيسي لـ «نقد أدب المدن» - خالد عمر بن ققه

118 من أسرار الإبداع الأدبي عند موفق عبد الفتاح العاني:
عندما يكون الشعر وليد تجارب الحياة المتراكمة - هشام أزكيض

125 رباعيات في ذكر الله - شعر: د. شهاب غانم

126 الشاعرة هلالة الحمداني 1989 - 2023 - مريم النقبي

130 حمدت ربَّ عالي - فاطمة حمد المزروعي

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا 5 دولارات.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو نادي تراث الإمارات

120
حوار خاص

سيف المنصوري: حامل البيرق في شاعر المليون للنسخة السادسة

يقول الشاعر سيف المنصوري: «الثقافة ضرورية بالنسبة إلى الشاعر مهما كانت موهبته في الشعر. وكلما اتسعت ثقافته وتنوعت كان ذلك لمصلحته، وتتجلى براعته في حسن توظيفها في شعره. فهي تنعكس في شعره بطريقة إيجابية أو سلبية حسب قدرته على توظيفها بشكل متناسق، ومعظم الشعراء يستفيدون من ثقافتهم الواسعة في كتابة أبياتهم الشعرية. وفي هذا الأمر نجد أن الشعراء يتبارون ويتفاضلون فيما بينهم».... ميثة العامري

128
سرد الذاكرة

ميالسهم مدارسهم

«الميالس مدارس» هذه حقيقة لمسها من عاش في حقبة المجالس المفتوحة، مجالس الرجال وكذلك النساء، حيث يتعلم النشء في تلك المجالس ومن تلك التجمّعات الرجالية والنسائية الكثير من القيم والمبادئ وأصول التعامل والمعاملات، و«سنع» العلاقات الاجتماعية والحياة بشكل عام، تلك المجالس خرّجت من الأجيال من هم اليوم يشغلون أعلى المراتب، ومن هنا كان لكل نظرة عينٍ أثرها في التربية، ولكل حركة أو إشارة مدلولها الذي يفهمه الشاب وتفهمه الفتاة، في المجالس فوائدُ جمّة، ومتعةٌ لا تضاهيها متعة.... شيخة الجابري

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث - نادي تراث الإمارات، أبوظبي

نادي تراث الإمارات

رئيس التحرير
شمسة حمد العبد الظاهري

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتّاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
هاتف: 024456456 - 024092336

نادي تراث الإمارات يشارك في مهرجان أبوظبي الدولي للشطرنج

قسم الإعلام

شارك نادي تراث الإمارات في فعاليات النسخة الـ29 من مهرجان أبوظبي الدولي للشطرنج الذي نُظم تحت رعاية سمو الشيخ نهيان بن زايد آل نهيان، رئيس مجلس أبوظبي الرياضي، وإشراف مجلس أبوظبي الرياضي، وتنظيم نادي أبوظبي للشطرنج والألعاب الذهنية في الفترة من 16 - 25 أغسطس بفندق راديسون بلو أبوظبي. وجاءت مشاركة النادي تحت شعار «استدامة التراث» وفي إطار حرصه على إبراز تراث الدولة في المحافل الدولية وتشجيع السياحة التراثية، وتعريف زوار المهرجان من مختلف الجنسيات على الإرث الحضاري العريق لدولة الإمارات العربية المتحدة. وقدم جناح النادي خلال مشاركته في المهرجان جوانب من التراث البحري، مثل: مهنة الغوص، ومهنة الطواشة، وصناعة الديين، وذلك من خلال ورش حية قدمها المستشارون والمدربون التراثيون في النادي، كما شملت مشاركة النادي عرضاً لمجموعة من إصداراته التراثية والثقافية، ومعرضاً لصور المغفور له - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - التي توثق بعض ملامح مسيرته في بناء الدولة. وحظي الجناح بزيارة عدد من المسؤولين والشخصيات الرسمية، وعلى رأسهم الشيخ سلطان بن خليفة بن شخبوط آل نهيان، رئيس الاتحاد الآسيوي للشطرنج، الذي اطلع على ما يقدمه الجناح من ورش ومعروضات تراثية متنوعة، كما تعرّف على عدد من إصدارات النادي التراثية والثقافية. وزار الجناح كلٌّ من سعادة يوسف إسماعيل الخوري، المستشار في الهيئة الاتحادية للهوية والجنسية، وسعادة عارف إسماعيل الخوري، نائب رئيس نادي أبوظبي للشطرنج والألعاب الذهنية، وعدد من الزوار وضيوف المهرجان أيضاً.

بلدية أبوظبي تكرّم نادي تراث الإمارات

كرّم مركز التواجد البلدي التابع لبلدية أبوظبي نادي تراث الإمارات في حفل أقيم يوم 3 أغسطس في فندق فيرمونت لتكريم الشركاء الاستراتيجيين في ختام «قافلة بني ياس المجتمعية» التي نظمها المركز ضمن برنامج صيف بني ياس في يوليو الماضي. وكان النادي شارك في القافلة بتنظيم ورش في السنع الإماراتي «منهج الحياة المستدامة» للبنات والبنين شملت آداب الحديث، وآداب المجالس، وآداب الزيارة.

محاضرتان في برنامج «مساري»

قدّم نادي تراث الإمارات محاضرتين للبنات والبنين عن «السنع» في إطار مشاركته ببرنامج «مساري» لشركة مبادلة الذي أقيم في منتجع الفرسان الرياضي الدولي يومي 1 و2 أغسطس. في المحاضرة الأولى تعرفت الطالبات المشاركات في البرنامج على أهمية الالتزام بالعادات والتقاليد الحميدة، وتحدثت المحاضرة عن بر الوالدين أيضاً، وعن دور المدرسة في إبراز شخصية الطلبة والطالبات وإظهار مواهبهم، وأهمية أن يتطلع جيل اليوم إلى المستقبل ويدرك حجم المسؤولية الوطنية الملقاة على عاتقه باعتبارهم رصيد الخمسين عاماً المقبلة. وفي المحاضرة الثانية، التي حملت اسم «السنع الإماراتي هوية وطن ونهج قيادة»، تعرّف الطلاب على السنع في نهج المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - وتمسكه بالقيم الأصيلة التي دعا إليها الدين الحنيف، وارتباطه بأسرته وشعبه، كما تناولت المحاضرة مجلس الشيخ زايد نموذجاً في الحديث عن أدب المجالس وأنواع المجالس واستقبال الضيف وتوديعه وتقديم القهوة العربية كرمز للضيافة.

برنامج تعليم الحرف اليدوية

أطلق نادي تراث الإمارات فعاليات برنامج تعليم الحرف اليدوية للطالبات في مركز العين النسائي التابع له في الفترة ما بين 7 - 24 أغسطس، حيث ركز البرنامج على الفئة العمرية للفتيات من 10 أعوام إلى 16 عاماً، اللائي قامت المدربات التراثيات التابعات للمركز بتعليمهن العديد من الحرف اليدوية.

نادي تراث الإمارات يحتفي باليوم العالمي للشباب

نظم نادي تراث الإمارات يوم 12 أغسطس برنامجاً تراثياً ورياضياً على شاطئ الراحة - أبوظبي في إطار الاحتفاء باليوم العالمي للشباب، وشمل برنامج الاحتفال نشاط الألعاب الشعبية التي تسهم في ربط الشباب بمحيطهم الطبيعي عبر استخدام المواد المتوافرة في البيئة من أجل اللعب، وأنشطة السباحة وكرة القدم والكرة الطائرة التي تساعد في المحافظة على الصحة الجسدية والذهنية للشباب وصولاً إلى مجتمع معافى، ونشاط القوارب الشراعية الذي يعمل على تقوية علاقة الشباب بالبيئة البحرية باعتبارها إحدى البيئات الرئيسية في دولة الإمارات العربية المتحدة. وسعى نادي تراث الإمارات من خلال الاحتفال باليوم العالمي للشباب الذي جاء هذا العام تحت عنوان «تنمية مهارات الشباب لتحقيق عالم مستدام» إلى إبراز الأهمية الكبيرة للأنشطة التي ترتكز على البيئة الطبيعية في صنع علاقة وثيقة بين الشباب وعالمهم المستقبلي في إطار تنموي مستدام، وهي رسالة يهتم النادي بإيصالها إلى المجتمع عبر كل برامجه.

زيارة إلى مكتبة محمد بن راشد

زاروفد من نادي تراث الإمارات يوم 16 أغسطس مكتبة محمد بن راشد في دبي، وذلك في إطار بحث سبل التعاون بين المؤسستين وتفعيل إمكانات العمل المشترك في البرامج والمجالات الثقافية التي تحظى باهتمام الطرفين، كما أهدى نادي تراث الإمارات إلى مكتبة محمد بن راشد نسخاً من إصدارات النادي في التراث والتاريخ والأدب ومجلدات مجلة «تراث» التي يصدرها النادي.

وتضمّن برنامج الزيارة التعرف على عدد من أقسام مكتبة محمد بن راشد، شملت مكتبات: الأطفال، والدوريات، والشباب، والإعلام والفنون، ومكتبة الإمارات، ومكتبة الأعمال، والخرائط، وغيرها، كما شمل برنامج الزيارة جولة للتعرف على مقتنيات المكتبة من المخطوطات النادرة والتحف الفريدة من مختلف حضارات العالم ■

الوطن غالي

الشاعر راشد بن محمد بن عبلان الكتبي

ثـــرت أنـــــا يوم الخلـــي ســـالـــي
راقـــــد وطـــيب الكـــــرى لـــــده

مـــــن ضمـــيري ببـــدع أمثالـــي
انتقـــــي الأبيـــــات وا عـــــدّه

شفـــت وضـــع الوقـــت كـــد مالـــي
بالمشاكـــــل والخطـــر ضـــده

طالـــب اللـــــه ربـــي العالـــي
عالـــم الغيـــب وخفـــي عبـــده

يعـــــل يـــود السيـــل همّالـــي
مـــن حجـــاب ومـــزن مســـوده

ليـــن يجـــري كـــل مسيالـــي
وكـــــل وادي ينمـــــزر ســـــده

ع البحـــور وبلـــد ورمالـــي
وعلـى القـــوع لآخـــر الجـــده

عندنـــا هـــذا الوطـــن غالـــي
مـــن ضمـــير القلـــب ونـــوده

حاميينـــــه فـــي أول وتالـــي
يـــوم وقـــت العســـر والشـــده

باذلـــــين الحـال والمالـــــي
لجـــل ستـــر الحـال والســـده

مـــــا نحاســـب كـــثرة المالـــي
يـــــوم كـــل يوفـــي بعهـــده

وقـــت بيـــع ورخـص لأجالـــي
الوطـــن نفـــداه فـــي المـــده

كـــل موقـــف فيـــه رجالـــي
وكـــل واحـــد موقفـــه كـــده

فـي الوطـــن شجعـــان ورجالـــي
كـــان وقـــف السيـــف عـــا حـــده

وإنْ لفانـــا ضـــد عيالـــي
نبـــذل المجهـــود ونـــرده

نسمعـــه وش م الأمـــر قالـــي
صلـــح وإلا يامـــربهـــده

تـــم نظـــم الجيـــل فـــي التالـــي
عـــد ما جـــر الحـــرف مـــده

ع النـــبي يـــا خيـــر الأرسالـــي
ألـــف صلـــوا ركعـــه وسجـــده

القصيدة للشاعر راشد بن محمد بن عبلان الكتبي، ولد في منطقة هيلي في مدينة العين عام 1932 وانتقل إلى جواررب عام 2011. ورث الشعر من جده الشاعر حميد بن خلفان النعيمي المعروف بشاعر «الهاله». وللشاعر راشد العديد من القصائد في مختلف المجالات، وكان غزير الإنتاج رقيق المشاعر، يتركز أغلب شعره في الغزل والمشاكيات والمديح الذي يغلب عليه كثيراً، كما له قصائد اجتماعية تتنوع في شتى المضامين مثل الهجن والمناسبات الاجتماعية والنقد الاجتماعي وغيرها. شارك الشاعر في برنامج «شعراء القبائل» الذي كان يقدم في تلفزيون أبوظبي، وكان عضواً نشطاً في مجلس شعراء المنطقة الشرقية في العين في منتصف الثمانينيات، وظل في هذا البرنامج الشعري حتى توقفه.

التراث المعماري الحديث في الإمارات.. أصالة وابتكار واستدامة

12 **سياسة الشيخ زايد في التخطيط العمراني لمناطق البدو في إمارة أبوظبي..**
في سبعينيات القرن العشرين - خالد بن محمد القاسمي

16 **المشاريع المعمارية في الإمارات ما بعد الاتحاد:** سَبْقٌ وريادةٌ واستدامةٌ - منى حسن

20 **بينالي البندقية** يوثق المرحلة الأولى من التراث المعماري الحديث في الإمارات - شمسة حمد الظاهري

26 **قراءة في دليل أبوظبي - العمارة الحديثة** 1968 - 1992
دراسة جامعة نيويورك في أبوظبي لباسكال مينوريه
(مبنى الأميرة ومبنى المجمع الثقافي ومبنى الإبراهيمي ومبنى عبيد المزروعي نموذجاً) -محمد فاتح زغل

30 **ديوان العرب يوثّق النهضة المعمارية في الإمارات**
قصائد وثّقت إنشاء جبل علي وتوطين البدو ومجلس الإعمار
وتوصيل المياه العذبة إلى أبوظبي - الأمير كمال فرج

36 **بواكير المباني المعمارية في أبوظبي..** شواهد التاريخ الحديث للإمارة - خالد صالح ملكاوي

42 **البنية التحتية في عهد المغفور له الشيخ زايد..** مطار البطين نموذجاً - فاطمة سلطان المزروعي

46 **المصوّر صالح التميمي**
يوثق نهضة أبوظبي في سبعينيات القرن الماضي - علي تهامي

49 **أبوظبي.. لمحات تاريخية ومشاهد راسخة** - مريم سلطان المزروعي

52 **معالم عمرانية أصيلة في الشارقة**
ثلاثة مبانٍ سبعينية بطرز عمرانية متنوعة تحمل رسائل مختلفة - نوزاد جعدان

56 **الجزيرة الحمراء**
ذاكرة عمرانية متجذرة منذ قرون - لولوة المنصوري

60 **أضواء على المسيرة المعمارية في دولة الإمارات العربية المتحدة** - محمد نجيب قدورة

64 **النهضة الحضرية في الإمارات: مدن الرفاهية نموذجاً** - صديق جوهر

سياسة الشيخ زايد في التخطيط العمراني لمناطق البدو في إمارة أبوظبي..

في سبعينيات القرن العشرين

خالد بن محمد القاسمي

يضم مجتمع الإمارات شريحتين من السكان: الأولى البدو، والثانية سكان المدن، ولكن ما يميز هاتين الشريحتين أنهما متصلتان ومترابطتان ووجود التفاعل الدائم والمستمر بينهما، وهما مشتركتان في تكوين البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع[1].

اتجاهات الحكومة الاتحادية نحو استقرار البدو

كانت الاتجاهات الرئيسية لسياسة الحكومة الاتحادية في دولة الإمارات تهدف إلى استقرار البدو في أكثر المناطق الملائمة لهم عن طريق توفير السكن والخدمات اللازمة. وتوفير السكن لجميع مواطني الإمارات، مع إعطاء الأولوية للفئات ذات الدخل المحدود. وعمدت الحكومة الاتحادية ضمن برنامج سياستها الأولى في عملية إسكان البدو الرحل واستقرارهم، على تفضيل بقائهم بعيداً عن المدن، وإسكانهم على مشارف المدن الحديثة، وذلك لعدم تقبلهم الإسكان والعيش في مساكن حديثة داخل المدن التي أوجدها النفط. وقد أشارت بعض المصادر إلى أن أكثر السكان كانوا - طوال الفترة ما بين الأعوام (1971 - 1974) - لا يرغبون في أن يحيوا حياة المدن والمظاهر المعاصرة، التي بدأت تظهر هنا وهناك في الدولة في عصر النفط، حتى إن كبار السن من أبناء الإمارات كانوا يعلمون أبناءهم وأحفادهم أن يحيوا حياة آبائهم وأجدادهم وألا يتأثروا بالحياة العصرية. وظلت القبائل البدوية متمسكة بشدة بطريقة العيش القديمة باتباع الرعي وتربية الماشية[2].

بداية النهضة العمرانية في أبوظبي

تحدث الأستاذ محمد حسن جمعة، مستشار حكومة أبوظبي لشؤون التخطيط، عن النهضة التي شهدتها إمارة أبوظبي في عهد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - قائلاً: «إن الشيخ زايد وضع الحجر الأساس للنهضة العمرانية في أبوظبي وذلك من خلال توفير العديد من الخدمات الأساسية وتطوير البنية التحتية للإمارة»[3].

أما الدكتور مانع سعيد العتيبة، أول وزير للنفط في دولة الإمارات

العربية المتحدة، فقال: «إن إمارة أبوظبي كانت سباقة في مجال التنمية على أساس التخطيط الاقتصادي، ذلك عن طريق خطتها الخمسية الأولى ما بين الأعوام (1968 - 1972) بادئة بذلك عهد التخطيط لأول مرة في منطقة الخليج العربي. وقد خصص لتنفيذ الخطة نحو 3000 مليون درهم. وأضاف أن الشيخ زايد قاد نهضة حقيقية شملت العديد من المشاريع في حقول التعليم والصحة والطرق والمطارات والجسور والموانئ والمياه والكهرباء. ودون شك فإن اكتشاف النفط في أبوظبي أحدث تحولاً جذرياً في بنيانها الاقتصادي والاجتماعي وأدى إلى نقل المجتمع وجعله مجتمعاً آخذاً في النمو بعد أن كان بدائياً بسيطاً»[4].

ويمكن القول إن مراحل التطور العمراني في أبوظبي في حقبة السبعينيات من القرن الماضي تنقسم إلى ثلاث مراحل:

1 - مرحلة التأسيس العمراني الشامل ما بين الأعوام (1968 - 1973).

2 - مرحلة الانطلاق في المجالات كافة ما بين الأعوام (1974 - 1977).

3 - مرحلة التوسع (رأسياً وأفقياً) داخل جزيرة أبوظبي وخارجها ما بين الأعوام (1978 - 1988).

ويذكر الدكتور عبد الرحمن مخلوف، مدير تخطيط المدن في أبوظبي، آنذاك، أنه بتوجيهات المغفور له الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - تم إعداد مخطط عمراني شامل لجزيرة أبوظبي بأكملها يبين استخدامات الأراضي، والكثافات السكانية وشبكة الطرق الرئيسية، والتخطيط التفصيلي لمناطق التعمير والمنطقة المركزية، ومشاريع الإسكان والخدمات العامة (المساجد، والأسواق، والمدارس، والخدمات البلدية، وخدمات الشرطة) وتحديد أسس إعداد مشروعات المرافق العامة (الكهرباء، والماء، والصرف الصحي.. إلخ)، وغيرذلك من المشروعات والعناصر[5].

التخطيط العمراني لمناطق البدو في فكر الشيخ زايد

وعند تخطيط القرى التي سيعيش فيها البدو لم يكن المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد يكتفي بإعطاء الأوامر فحسب، بل كان يتابع التنفيذ بنفسه لأن النقلة الحضارية التي أرادها للبدو هو الأقدر على تحديد مراحلها لأنه أعلم بهم من غيره فهو لم يعش أبداً في برج عاجي، بل كان يعد نفسه مواطناً عادياً مثل باقي المواطنين.

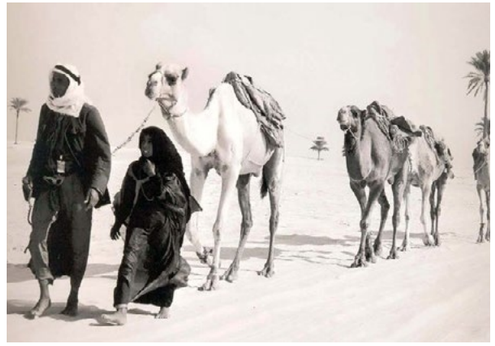

لذا كان يرى أن هذه النقلة الحضارية لا يمكن أبداً أن تتم بصورة مفاجئة وإنما يجب أن يكون هناك شيء من التدرج للوصول إلى هذا الهدف الذي كان ينشده، والذي وصل إليه بالفعل، فعاش مواطنو الإمارات كلهم عيشة التحضر والمدنية ووصلوا إلى درجة عالية من التقدم والرقي. وأوضح مثال على ما سبق، الجولة التي قام بها في 12 آب/أغسطس 1973 في القرى القريبة من طريق أبوظبي - العين، فمن ضمن التعليقات على الرسوم الهندسية للقرى النموذجية قال (رحمه الله):

«كل شيء جميل على الورق ولكنه لا يناسب البدوي الذي سيسكن هنا.

أولاً: يجب عدم وضع المدارس متجاورة كما في المخطط، بل يجب أن توضع مدرسة البنات في طرف القرية ومدارس البنين في الطرف الآخر، لأن هذا الفصل يجعل ابن البادية الذي لا تلائمه فكرة الاختلاط أكثر قابلية للاقتناع لإرسال ابنته إلى المدرسة، ونحن لا نريد ترك بناتنا بلا تعليم.

ثانياً: المسجد يجب أن يوضع في التخطيط على الطريق العام مباشرة، وذلك لأن أهل المنطقة متدينون، ووجود المسجد على الطريق يسهل وقوف السيارات أو العابرين، لينزلوا للوضوء والصلاة، لأن المسجد لو وضع بعيداً داخل القرية، فإن العابر سيصلي على الأرض إذا حان وقت الصلاة.

ثالثاً: يجب أن تُقسَّم بيوت القرية المئة، على جانبي الطريق العام، خمسون على كل جانب حتى يتوزع العمران.

رابعاً: يجب أن تنشأ خلف القرية مزارع، لكل بيت مزرعة مستقلة مساحتها 500×500 قدم مربع. ويجب ألا تُسلم هذه المزارع للسكان إلا بعد أربع سنوات من تسلمهم بيوتهم. إن الهدف من هذه القرى هو ربط ابن البادية بالأرض، وهذا الاستقرار لا يكفي لتأمينه البيت الذي سيأخذه، ولكن ملكية المزرعة الخاصة ستربطه بالأرض، سيجد منها النخيل الذي يحبه، والأشجار المثمرة كالحامض وغيره وهذا يغريه بالتمسك بالاستقرار. ولكن هذه المزروعات تحتاج إلى جهد ومصروف فوق طاقة البدوي، ولذلك علينا أن نتولى العناية بها والإنفاق عليها أربع سنوات ليسلَّم النخيل مثمراً، والأشجار منتجة، فتعطيه نفعها فوراً فيتمسك بها ويمنحها العناية المطلوبة.

خامساً: القرى متجاورة حسب المخطط وهذا غير مناسب، بل يجب أن تترك مسافة عشرة كيلومترات بين كل قرية وأخرى حتى يكون هناك خمسة كيلومترات لكل قرية لرعاية الإبل والماشية»[6].

وبالفعل، ومنذ عام 1974، وبناء على توجهات المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد قامت حكومة أبوظبي بمشروعات زراعية في المناطق البدوية، وتضاعفت هذه الجهود بعد عام 1977، حيث بدأت الدولة تمنح البدو أراضي زراعية مجاناً، وتتولى تكاليف الحفر، والأعمال المتعلقة بالري وتخصيب التربة، والتسييج ومصدات الرياح، بالإضافة إلى تقديم خدمات

الإرشاد والتوجيه لزراعة الخضروات، حيث يمتلك البدوي خبرة في زراعة النخيل، ويتم تزويدهم بالبذور والشتلات والأسمدة ومبيدات الآفات والحشرات.

ونتيجة لاتساع ظاهرة الهجرة من البادية إلى مراكز المدن واستقرار السكان فيها، أولى المغفور له - طيّب الله ثراه - الشيخ زايد أهمية كبيرة إلى المناطق التي استقربها البدو، وشرع في بناء مساكن لذوي الدخل المحدود. وكان الهدف الأساسي من عملية التوطين وتنمية الجماعات البدوية هو مساعدة السكان البدو على التكيّف مع أسلوب الحياة الحضرية الجديدة مع المحافظة على العناصر التقليدية[7]. وبحلول عام 1976، تم توزيع نحو خمسة آلاف مسكن على المواطنين في العاصمة أبوظبي، والعين وقرى عدة أُنشئت حديثاً، حيث جرى تشجيع المجتمعات البدوية على الاستقرار والمشاركة في الجهود المبذولة من أجل تطويرها، وكان يتم في الوقت نفسه تشييد المساجد والمدارس والعيادات والأسواق[8].

وهكذا، نجد أن المغفور له - رحمه الله تعالى - الشيخ زايد لم يكن بمعزل عن شعبه، وذلك لأنه يعتبرنفسه أحد أفراد الشعب، وقد ظهر هذا واضحاً جلياً عند إشرافه بنفسه على تخطيط المناطق والقرى التي أعدها لتوطين البدو، وذلك لعلمه التام بما يطلبه البدوي، مما كان له أكبر الأثر في التخطيط والبناء العمراني في تلك المناطق، وكان سبباً في استقرار البدو في المجتمعات العمرانية الجديدة ■

باحث في شؤون الخليج

الهوامش:

1. موزة عبيد غباش: التنمية البدوية - الريفية في مجتمع الإمارات العربية المتحدة، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، مج 8، ع 29 (1991)، ص 238.
2. حسين علي فليح الخزرجي: النفط والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة. ط1، داروميكتبة عدنان، بغداد، 2017، ص 275 - 276.
3. مجلة العربي، (الاستطلاع التاسع)، العدد 121، ديسمبر/كانون الأول 1968، ص 248.
4. مانع سعيد العتيبة: البترول واقتصاديات الإمارات العربية المتحدة، الكويت، 1977، ص 12.
5. إبراهيم الذهلي: أبوظبي .. ذكريات من الماضي. ط1، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2014، ص 190 - 191.
6. د. نبيل راغب: أصول الريادة الحضارية «دراسة في فكر الشيخ زايد». ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، 1995. ص 272.
7. موزة عبيد غباش، مرجع سابق، ص 254 - 255.
8. فراوكه هيرد - باي: من الإمارات المتصالحة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، ترجمة عايدة يتي خوري، موتيفيت للنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص 405.

المشاريع المعمارية في الإمارات ما بعد الاتحاد:
سَبْقٌ وريادةٌ واستدامةٌ

منى حسن

المباني ليست مجرد صروح معمارية، لكنها شاهد على التاريخ، ومكون أساسي في ثقافة الدول وتراثها وهويتها. والعمارة فن متجذر في تاريخ البشر، فهي التي تهتم بإيوائهم وتنظيم حياتهم، وأعمالهم، ولطالما شكلت المباني حصوناً تقيهم شر الأعداء، وسوء تقلبات الطقس. وقد أولى الحكام عامة، وحكام المسلمين خاصة، منذ القدم العمارة اهتماماً خاصاً، وشجعوا الفنانين والمهندسين وأجزلوا لهم العطاء، في مقابل تشييد القصور، والمباني، والقلاع، والمساجد على اختلاف أنواعها، وتزيينها وزخرفتها، فأبدعوا آثاراً خلدت أصحابها وشهدت على إنجازاتهم، وخلفت تراثاً عظيماً تتوارثه الأجيال، وفناً يعجز عنه المقلدون، كما في العمارة الإسلامية بالأندلس وغيرها. وتختلف طبيعة المباني من بلد إلى آخر باختلاف البيئة الجغرافية والمناخية، وطبيعة الحياة، كما تتنوع مواد البناء بتنوع البيئات، وحسب المواد المتوافرة في كل بيئة، لذا فإن للمباني في كل دولة خصوصيتها التي تستمدها من طبيعة المكان وجغرافيتها، وما يتوافر من خامات في البيئة المحيطة، ما يمنحها القدرة على التكيّف مع البيئة والحفاظ عليها بما يحقق أهداف الاستدامة.

النهضة المعمارية في الإمارات ما بعد الاتحاد

في فترة السبعينيات من القرن الماضي، وتحديداً ما بعد اليوم الاستثنائي في تاريخ دولة الإمارات، الثاني من ديسمبر 1971، مع البدايات الأولى لقيام دولة الاتحاد، كان الهم الأكبر للمغفور له - رحمه الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - هو تحسين الوضع المعيشي للمواطنين من خلال تحسين مستوى الحياة، وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم، وكانت المساكن هي الأولوية ضمن خطة تنموية شاملة في مختلف المجالات، وقد وجه - رحمه الله - حينها بإنشاء أحياء سكنية

تتضمن بيوتاً شعبية للسكان في إمارات الدولة كلها، التي عرفت باسم «الشعبيات»، وكانت ذات مواصفات معينة، فكانت مساحتها عبارة عن 24 × 24 متراً، تتكون من غرف تحيط بالفناء الداخلي الواسع، تم تخطيطها بصورة شرعية تحرص على الالتزام بالتعاليم الإسلامية والتقاليد الاجتماعية فيما يتعلق بالفصل بين الجنسين، بحيث تكون مجالس الرجال منفصلة عن بقية المنزل، وذلك حفاظاً على عادات المجتمع الإماراتي وتقاليده، واحتراماً لخصوصية الحياة داخل البيوت واستدامة للقيم الأخلاقية والاجتماعية. وتطورت هذه المباني مع تطور الدولة، وتحوّلت البيوت الشعبية إلى شواهد ورموز للتحول الاقتصادي والتطور المعماري والاجتماعي في الإمارات، من خلال التطورات والتحسينات التي مرت بها، وما صحبها من تحول في مسار الهندسة المعمارية، ووسائل البناء، وخاماته، بحيث تواكب التطور الحضاري الكبير في الإمارات.

وتشكل المراكز الحضرية القديمة في دبي والشارقة التي تحتوي على شقق متوسطة الارتفاع، وبنوك ومجمعات مكتبية، ومناطق تجارية دليلاً على هذا التطور خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي التي شهدت اكتمال شقق شارع البنوك في الشارقة، وبرج ديرة في دبي، ومبنى الإبراهيمي في أبوظبي. وجلبت الزخارف المبتكرة إلى واجهات المباني كنوع من الاحتفاء بالتراث والتاريخ المحلي. وتم الانتهاء من مركز التجارة العالمي في دبي في عام 1979 أيضاً، ما أدى إلى تغيير مسار التنمية الحضرية في المدينة، وأصبح أحد الرموز المعمارية لفترة السبعينيات، ومؤشراً ودليلاً لما سيعقبه من توجهات وتطورات. فنشأت المباني الشاهقة، وتوالت الإنجازات خلال فترة التسعينيات، وبلغت ذروتها مع برج العرب في عام 1999، الذي شكل مَعْلَماً ثقافياً أعلن عن وصول الإمارات العربية المتحدة إلى المسرح المعماري العالمي.

يتضح مما سبق حدوث تغيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية هائلة ومتسارعة للغاية في دولة الإمارات العربية المتحدة في فترة السبعينيات. وعزز هذه التغييرات اكتشاف النفط واستثمار عائداته في المنطقة والثروة الاقتصادية الكبيرة التي ارتبطت به. فقد كان اكتشاف النفط وتصديره من داخل دولة الإمارات العربية المتحدة في أواخر الخمسينيات، ومنتصف الستينيات الحافز الأول للتغييرات الكبيرة التي توالى حدوثها، ما أدى إلى تغير العديد من جوانب المجتمع والثقافة بسرعة، وكان لهذا الازدهار الاقتصادي تأثير كبير على الهندسة المعمارية والبيئة المبنية. فالمباني الحديثة، على سبيل المثال، حلت محل العمارة

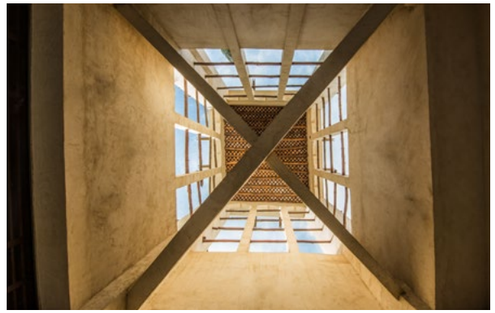

القديمة، وتحول نمط الحياة التقليدي للسكان إلى نمط حديث. وكان للتغيرات الاجتماعية والثقافية التي حدثت في دولة الإمارات العربية المتحدة ما بعد الاتحاد تأثيرها الكبير على تطور العمارة كجزء من ظاهرة التطور والنهضة العالمية في أجزاء كثيرة من العالم، تزامنت مع تحول المزيد من المدن الخليجية إلى مدن عالمية وحضرية، وكان للخبرات الهندسية الغربية دور كبير في النهضة العمرانية، حيث تمت الاستعانة بهم نظراً إلى قلة الخبرات العربية وندرتها حينها، وكانت دولة الإمارات، مثلها مثل العديد من دول العالم الثالث، حريصة على اتباع النموذج الغربي في التحديث والتطوير. ونتيجة لذلك، تم تغيير البيئة الحضرية لتلبية الطموحات الجديدة، حيث حلت المباني الحديثة محل العمارة القديمة وتحول نمط الحياة التقليدي للسكان إلى أسلوب حديث. وسمحت شبكات الطرق التي تم إنشاؤها باستيراد مجموعة أكبر من مواد البناء ونقلها إلى الداخل، ما أنشأ شكلاً من أشكال الحداثة المعمارية في الإمارات في السبعينيات مع لمسات شرقية وتراثية تحقق رؤية حُكام الإمارات في استدامة البيئة، وتلبي احتياجات الإسكان والمؤسسات والشركات.

وتزامن بناء المدن في دولة الإمارات العربية المتحدة مع الحاجة إلى خلق واقع حضري حديث، من هنا جاءت الحاجة لإعادة إحياء التراث التقليدي للماضي كممارسة هادفة، لتحقيق هندسة معمارية مميزة، تعكس الهوية الثقافية للإمارات وتعززها، وتواكب الازدهار الاقتصادي والتغيرات الاجتماعية والثقافية، فبرع المهندسون في زخرفة المباني السكنية الحديثة، والاستفادة من الزخارف التراثية والتصميمات الهندسية للمداخل والأبواب والديكور الداخلي المستمدة من تراث البيوت

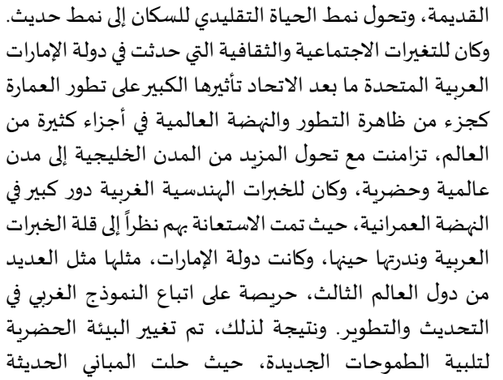

مركز دبي التجاري العالمي

بيت العائلة الإبراهيمية- أبوظبي

سكان المنطقة، وذكائهم الفطري في التكيّف مع طبيعة المنطقة القاسية، وبراعتهم في استخدام الخامات المتوافرة في البيئة المحلية، مما أهّل المباني القديمة لتكون نموذجاً للاستدامة والحفاظ على البيئة. وكانت طبيعة المباني في الإمارات فترة ما قبل الاتحاد تختلف حسب المنطقة، سواء كانت ساحلية أم جبلية أم صحراوية، حيث جسدت العمارة التقليدية أنماطاً متنوّعة من المباني التي بنيت عن وعي كبير بالظروف البيئية، وكيفية التعايش معها. وكانت مباني العريش تستأثر بنحو 80 % من المساكن في دولة الإمارات. من أهم نماذج التكيف البيئي في فن العمارة الإماراتي، تميزت به الإمارات قديماً أيضاً، هو «البراجيل» ويقصد بها «الأبراج الهوائية» التي تعلو المباني، والتي تشكل مكيفات هواء طبيعية، وتتضمن فتحات لتمرير الهواء، وشكّلت الحل الأمثل لتبريد حرارة الجو وتلطيفها في الصيف داخل البيوت في المباني القديمة قبل استخدام المكيفات، والتي أصبحت تراثاً يزين بعض المباني الحديثة في الإمارات.

تلا ذلك عقود من البناء المتطور المتسارع، الذي دعمته رؤية حكام الإمارات في تجديد المشهد الحضري. فارتفعت قيمة الأراضي، واكتسبت المضاربات العقارية زخماً كبيراً، وتدفقت الثروات إلى البلاد، وتم تشييد المزيد من المباني التي شكلت واجهات حضارية لتقدم الفن المعماري في الإمارات، مثل أبراج الإمارات. ثم برج خليفة، الذي أعلن للعالم عن الطموحات غير المحدودة لحكام الإمارات في التميز والريادة. وتواصلت متابعة مشاريع البنية التحتية والثقافية الطامحة للتفرد والإنجاز غير المسبوق في المنطقة، مثل: مترو دبي، ومتحف اللوفر - أبوظبي، وغيرها من المشاريع المعمارية الكبيرة.

ختاماً

شهدت دول قليلة تحولاً معمارياً كبيراً كالذي شهدته الإمارات العربية المتحدة بدءاً من تشكّل الاتحاد في السبعينيات، حيث تحوّلت الصحراء القاحلة، والموانئ الصغيرة، وقرى الصيد إلى وجهات سياحية، ومراكز عالمية للتمويل والسياحة خلال 50 عاماً منذ تأسيسها. وتطورت لتصبح مناطق حضرية حضارية وسياحية رائدة، وذلك تزامناً مع الازدهار النفطي في سبعينيات القرن العشرين في الإمارات. ويعتبر ما وصلت إليه الإمارات الآن من حضارة معمارية متفوقة شهادة على نتائج التطوير الذي تم تنفيذه وفقاً لأحدث الأنظمة والخبرات المعمارية منذ قيام الاتحاد، والذي يضم أطول مبنى في العالم، ومراكز التسوق الفاخرة، والجزر الاصطناعية، وعدداً لا يحصى من ناطحات السحاب المبهرة ■

كاتبة من السودان

بينالي البندقية

يوثق المرحلة الأولى من التراث المعماري الحديث في الإمارات

شمسة حمد الظاهري

شهدت دولة الإمارات العربية المتحدة نمواً عمرانياً ملحوظاً في معظم إماراتها خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي؛ بفضل عوائد النفط والرؤية الحكومية القوية. ومن بين العوامل الرئيسية التي أسهمت في هذا التحول الكبير في الهيكل الحضري والبنية التحتية الحديثة العمارة المدنية التي واكبت التطورات الهندسية المستقبلية للدولة. وكان حكام المدن الرئيسية في الإمارات، أبوظبي ودبي والشارقة، منخرطين مباشرة في مشاريع البنية التحتية والعمارة المدنية وفي أعمال التصميم. فجاء تنفيذ المشاريع المتعددة خلال تلك الفترة شبه فوري.

تنهت دولة الإمارات العربية المتحدة بأهمية توثيق تاريخها المعماري الحديث وقدمته ضمن فعاليات معرض العمارة الدولي الرابع عشر المنظم في بينالي البندقية، وبجناح حمل عنوان: «معالم خالدة في ذاكرة الإمارات العربية المتحدة»، حيث استعرض الجناح مراحل التطور المعماري والحضاري لدولة الإمارات على مدى سنوات القرن الماضي، غير أن الاهتمام الأكبر انصب على السنوات

الأولى التي شهدت نشأة الدولة وعلى بداية السبعينيات حيث بدأ التلاقي مع الحداثة. ولعل أكثر ما يثير الاهتمام في هذا الجناح هو كيفية الجمع بين مواد خاصة بالشركات المعمارية والهندسية والبلديات والهيئات الفيدرالية من جهة وذكريات الشعب الذي خاض تجارب مميزة مع هذه البنى وأخذ لها صوراً حفظها في ألبومات العائلة. لذا مَنَح جناح دولة الإمارات زائريه رؤية مميزة تصوّر بقعة أرض دائمة التطور حسبما يراها شعبها الذي يعيش فيها. وقد نشرت مؤسسة الشيخة سلامة بنت حمدان آل نهيان، المفوض الرسمي عن هذا الجناح الوطني لدولة الإمارات في بينالي البندقية (2014)، دليلاً يقدم لمحة عن محتوى جناح الإمارات التي أشرفت عليه في البندقية، ويسلط الدليل الضوء على الترابط بين عمل الحُكّام والمفوضين والمعماريين والمهندسين، والمخططين الحضريين، والمقاولين، والبنائين. كما يعرض الدليل ذكرياتٍ وصورَ الناس الشخصية ممن سكنوا أو كانت لهم تجارب عاشوها في هذه المناطق الحضرية، بالإضافة إلى صور التقطها المعماريون والمهندسون والمخططون المدنيون لتوثيق الهياكل المعمارية ودراستها، وتحيط بالصور المنشورة أقوال قصيرة وتعليقات لمجموعة متنوعة من الأفراد المهتمين بالسياقات الحضرية والمعمارية في الإمارات بمن فهم المعماريون والمؤرخون والمخططون الحضريون والمرممون والصحافيون والفنانون والأساتذة، والطلاب والمقيمون والمسافرون. وتشكّل هذه الصور والتعليقات ذكرى مشتركة للأجزاء المتلاشية من تاريخ العمارة في القرن العشرين في دولة الإمارات، في كلٍّ من أبوظبي ودبي والشارقة.

مدينة أبوظبي

شهدت مدينة أبوظبي تطوراً كبيراً في العمارة الحديثة منذ أن أصبحت عاصمة للاتحاد، واستخدمت تصاميم وأساليب هندسية حديثة ومبتكرة لإنشاء مبانٍ بتصاميم فريدة وملهمة. كما شهدت العاصمة في تلك الفترة بناء المزيد من المناطق السكنية التي صممت في مناطق تلبي احتياجات السكان وتوفر لهم جميع الخدمات والمرافق وتمّ بناء المجمعات التجارية المتكاملة. وتحولت العاصمة الإماراتية من مدينة صحراوية صغيرة إلى مدينة حديثة وعصرية، ومركز حكومي وثقافي، ومن أهم المباني المعمارية التي سلط الدليل عليها الضوء في أبوظبي خلال فترة السبعينيات من القرن العشرين المنصرم:

المجمع الثقافي

تقرر في العالم التالي من اتحاد دولة الإمارات، بناء مركز للفنون والنشاطات الثقافية، على أن يتم تشييده في ساحة «قصر الحصن»، فشيدت المكتبة الوطنية والمجمع الثقافي وبتصميم جمع بين تقاليد العمارة العربية الإسلامية والعمارة الحديثة، وقد أوكل تصميمه لشركة «ذا آركتيكتس كولابريتيف»، التي تتخذ من مدينة بوسطن الأمريكية مقراً رئيسياً لها، وتولى المهندس هشام ن. أشكوري، المولود في بغداد وتلميذ المعماري الرائد لويس كان، مسؤولية المهندس الرئيسي للمشروع. وقد تميز هيكل المبنى بالسعة وبخطوط ومكونات واضحة ومتباينة، حيث يستوعب هذا التصميم وبسلاسة عناصر الهندسة المعمارية الإسلامية

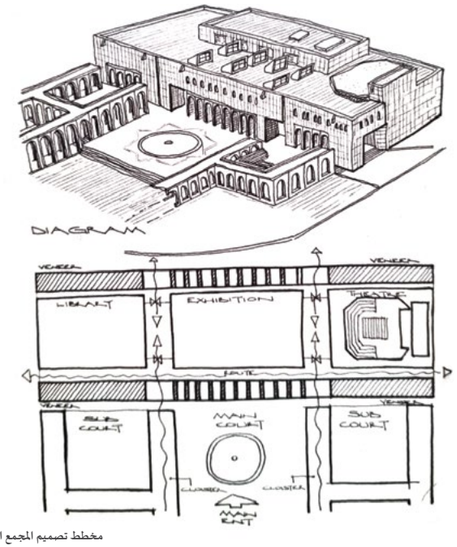

مخطط تصميم المجمع الثقافي

المجمع الثقافي الواجهة-الشمالية الغربية

المميزة مثل الأقواس والساحتين الداخلية والخارجية والنوافذ الصغيرة والأرضيات المزججة المحفورة بالنجوم الهندسية.

وافتتح المبنى، وهو واحد من روائع الهندسة المعمارية الحديثة، مكتبته وقاعة الموسيقى وقاعة فنون الأداء والسينما وقاعة المعارض الفنية والفصول الدراسية والحدائق للجمهور في عام 1981.

مدينة زايد الرياضية

يعتبر مبنى مدينة زايد الرياضية من أوائل المشاريع التطويرية الضخمة في مدينة أبوظبي، وهو يعكس شغف البلد بالرياضة، حيث أقيم بين مركز المدينة والمطار الدولي الجديد، وجاء التخطيط لتشييده في عام 1975 وتم الانتهاء منه في أكتوبر 1979. صمم المبنى على غرار المدرج الروماني العملاق «الكولوسيوم» مع محيط رائع من الأقواس، ومدرجات داخلية طويلة وتضاعفت سعته فيما بعد بتوجيهات من المغفور له - صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - وتولى تصميم هذه المدينة الرياضية مهندسون معماريون فرنسيون، وهم: هنري كولبوك وبيير داليديت وجورج فيليب.

وقد حظي هذا المشروع بشهرة عالمية كبيرة عبر تقارير «ناشيونال جيوغرافيك» وغيرها من وسائل الإعلام العالمية. أما المبنى فقد افتتح في يناير 1980.

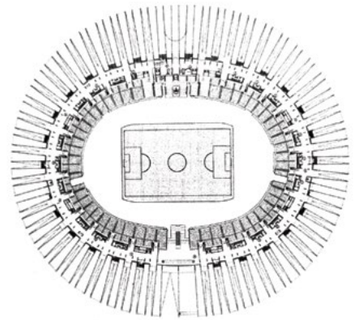
مدينة زايد الرياضية

مبنى دار القضاء الشرعي

بدأ العمل في تنفيذ مشروع مبنى دار القضاء الشرعي في أبوظبي في مارس عام 1979 وبتصميم من قبل المكتب العربي للتخطيط والعمارة وهو للمهندس الدكتور عبد الرحمن مخلوف، ويقع هذا المشروع الذي تشرف على تنفيذه دائرة الأشغال في شارع الشاطئ، وبالقرب من مدينة زايد الرياضية، ويتكون المبنى من ستة أجنحة بارتفاع ثلاثة طوابق وبترتيب إشعاعي بين حلقتين دائريتين، الحلقة الداخلية نصف قطرها 8 أمتار وارتفاعها ثلاثة طوابق وداخلها مسجد يتسع لـ 250 مصلياً، والحلقة الخارجية نصف قطرها 43 متراً بارتفاع طابقين. وإجمالي مساحة المباني المذكورة نحو ستة عشر ألف متر مربع، والمبنى مزوّد بتكييف مركزي ويشتمل على عدد من المصاعد وعلى أثاث داخلي لقاعات المحاكم حسب الرسومات والمواصفات. وقد شيد المبنى على موقع مربع الشكل طول ضلعه 200 متر، واشتملت الأعمال الخارجية للموقع على ممرات ومواقف ومظلات للسيارات وعلى أرصفة ومسارات للمرافق العامة وعلى سياج محيط بالموقع، وبشكل عام جاء تصميم المبنى على الطراز العربي الإسلامي الحديث. والجدير بالذكر أن هذا المشروع لم يرد في دليل معرض العمارة الدولي لبينالي البندقية 2014، ولكن أشرنا إليه لأهميته في توثيق عمارة السبعينيات من القرن الماضي.

مدينة دبي

شكلّت فترة السبعينيات علامة فارقة في التاريخ المعماري لمدينة دبي، فقد شهدت تحولاً كبيراً في النهضة الاقتصادية والعمرانية؛ أسهمت بشكل كبير في تحويلها من مجتمع صحراوي صغير إلى مركز عالمي للأعمال والسياحة. كما شكل «برج راشد» علامة فارقة في تاريخ الإمارة، فهو يؤرخ لنهضتها العمرانية عبر السنين، وقد جاء بناؤه مترجماً للرؤية المستقبلية لحاكم دبي المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم (1990-1958). وقد سلط الدليل الضوء على مباني دبي السبعينية كالتالي:

مجمع مركز التجارة العالمي (برج راشد)

عندما قرر المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم - رحمه الله تعالى - البدء في مشروع مركز التجارة العالمي ما بين عامي 1973 و 1974 وهو عبارة عن مجموعة من المباني مكونة من قاعة للمعارض وفندق هيلتون وبرج للمكاتب مؤلف من تسعة وثلاثين طابقاً وهو معروف باسم «برج راشد»، أدخل بذلك إرباك إلى قلوب جميع مستشاريه الذين انتقدوا موقع المشروع وحجمه، غير أن الشيخ راشد وَثِق بالمعماري البريطاني «جون هاريس» الذي عرض عليه مجموعة مباني كبيرة الحجم ولا تتخطى السبعة طوابق، ولكن الشيخ أمر هذا المعماري بزيادة ارتفاع هذه المباني على أن تكون أكثر بكثير من سبعة طوابق؛ لتترجم رؤيته الثاقبة لمستقبل التوسع الحضري والتجاري السريع في الإمارة. فجاء التصميم جامعاً بين الأساليب التقليدية السائدة والحديثة في العمارة. وتميزت واجهته الإسمنتية ذات اللون الأبيض بنوافذ صغيرة ومريحة، مع استخدام محدود للزجاج كوسيلة لتقليل الحرارة، ويحيط بالنوافذ إطارات خارجية تستمد خطوطها من الهندسة الإسلامية التي تتكامل مع السطح الخارجي للمبنى

يتوسط "برج راشد" المبنيين الظاهرين في الصورة

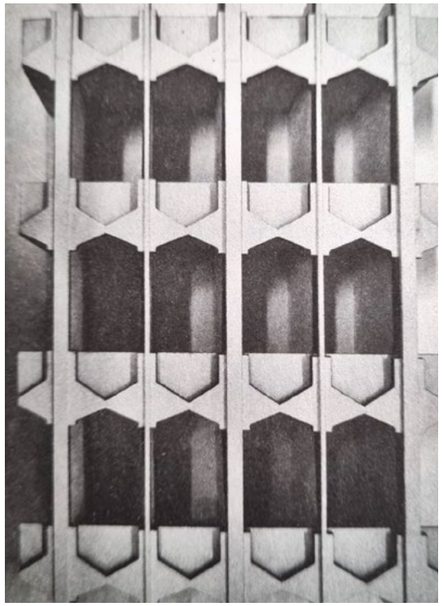

لتعطي طابعاً يمزج بين المحلية والعالمية. وقد صُنّف هذا المبنى حينها بأطول مبنى في الشرق الأوسط، وافتتحت ملكة بريطانيا، الملكة إليزابيث الثانية، هذا المبنى رسمياً في عام 1979 خلال زيارتها للإمارة.

مؤسسة دبي للبترول

تأسست «شركة دبي للبترول» عام 1963 عندما منح حاكم إمارة دبي امتياز التنقيب عن البترول لشركة كونتيننتال الوطنية للنفط بهدف البحث عن النفط البري، وتغير اسمها عام 2007 لتصبح «مؤسسة دبي للبترول». وقد وضع تصميم المقر الرئيسي للشركة عام 1978 المهندس المعماري الفلسطيني - الأردني المولد فيكتور بشارات الذي شارك في وقت سابق من حياته المهنية ضمن فريق تصميم «ديزني لاند»، ويتميز المبنى المنخفض، المكوّن من أربعة طوابق بتصميم بسيط يمتزج مع المحيط الرملي، وعملت الجدران الخارجية المائلة كحصون دفاعية هائلة ضمنت أعلى مستويات الأمن.

كما وفّرت الأسوار المبنية من الخرسانة المسلحة الحماية والخصوصية. ويعمل التصميم على تخفيف كتلة المبنى من خلال فناء داخلي واسع مملوء بالنباتات الخضراء، ويحيط بالمبنى الرئيسي فناء خارجي. وقد تم تصميم مجمع للمكاتب

تقام فيها الأنشطة الترفيهية والخدمية للموظفين وأسرهم أيضاً، حيث اشتملت هذه المكاتب على وكالة للسفريات وعيادة طبية وقاعة رياضية وحمام سباحة وكافيتريا.

مدينة الشارقة

يعد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، شخصية من الشخصيات البارزة في مجال تطوير العمارة والتصميم المعماري في منطقة الشرق الأوسط، وهو من المهتمين بتطوير وتجديد العمارة التقليدية والعربية في مشروعاته في الشارقة، من خلال مشاركته في تصميم العديد من المشاريع المعمارية، كما أظهر اهتمامه بالمحافظة على الهوية العربية والإسلامية في التصميمات المعمارية المعاصرة، ما أثرى المشهد المعماري بلمسة تقليدية تجمع بين العراقة والحداثة، وهذا النهج يعكس اهتمامه بالتوازن بين الحفاظ على التراث الثقافي المعماري للمنطقة وتطويرها بطرق تتناسب مع التطورات الحديثة واحتياجات المجتمع. وقد ذكر الدليل مشاريع فترة السبعينيات في الشارقة كالتالي:

السوق الأزرق

يعتبر السوق الأزرق، الذي بني عام 1978، أحد الصروح المعمارية الحديثة في إمارة الشارقة وهو مثال حديث عن الأسواق التقليدية لتلك الفترة. وقد شيد من قِبل مجموعة شركاء مايكل لايل (شركة بريطانية)، وبتصميم المهندس وايت يونغ وشركائه، حيث جسد هذا المهندس عناصر الهندسة المعمارية العربية الإسلامية والحديثة من خلال براجيله الـ20 وقبابة الزرقاء وجدرانه الملونة بالزخارف التي تمتد في سلسلة على طول جناحين متوازيين من طابقين لتقوم بوظيفتها التقليدية في تبريد الهواء في المساحات الداخلية الشاسعة.

وتضفي أنظمة الكهرباء والهاتف وحلول الاتصالات والمياه الجارية لمسة عصرية حديثة. ويشغل المبنى مساحة تتجاوز 80 كيلومتراً مربعاً تضم أكثر من 600 محل تجاري.

منتجع راديسون بلو

منتجع «راديسون بلو» (فندق كونتيننتال، وهوليداي إن، وراديسون ساس سابقاً) هو أحد المعالم المعمارية المعاصرة، وقد بدأت بتصميمه شركة «ذا آركتيكتس كولابريتيف»، وتميز التصميم بخطوط مائلة ظليلة وفريدة في الشكل، وبهيكل غير متناظر، أما الواجهة الهندسية الواضحة فقد كانت مبشرة بإيذان وصول العمارة الحديثة إلى الشارقة.

ويجسد المبنى بشكل متناغم التقاليد والأساليب المعمارية المحلية التي تظهر في الممرات الشبيهة بعيون المياه المتداخلة المطلة على الساحة الداخلية المفتوحة، وتحتضن الساحة المفتوحة الداخلية أشجار النخيل ومجموعة من النباتات الجميلة. ويعد مبنى هذا المنتجع واحداً من المنشآت الفندقية الأولى في الإمارة، وافتتح في عام 1982 مستضيفاً الزوار من رجال الأعمال والسياح، ومحتضناً حفلات الزفاف المحلية وغيرها من الأحداث المهمة ■

مركز زايد للدراسات والبحوث

المصادر والمراجع:

1. معالم خالدة في ذاكرة الإمارات العربية المتحدة: المحتوى الأرشيفي، الجناح الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة، بينالي البندقية 2014، لنلا ننسى، أبوظبي، 2018.
2. عبد الرحمن مخلوف، رحلة العمر مع العمران، توثيق تراث النهضة العمرانية لمدينة أبوظبي خلال الفترة من 1968 إلى 2014، المكتب العربي للتخطيط والعمارة، 2015.

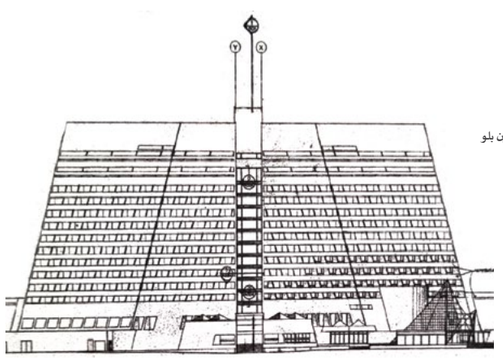

منتجع راديسون بلو

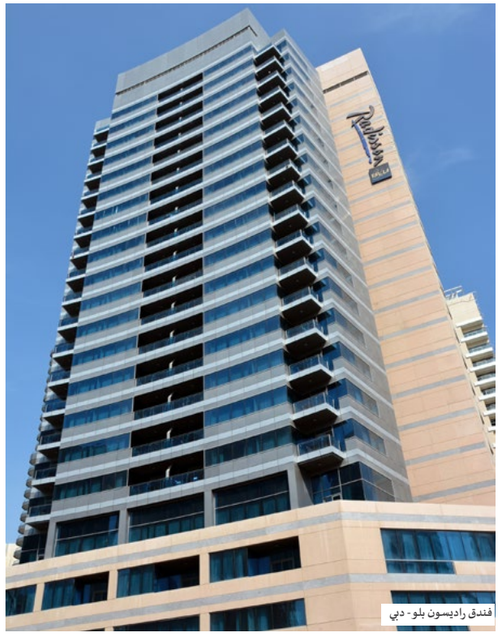

فندق راديسون بلو - دبي

مجمع مركز التجارة العالمي (برج راشد)

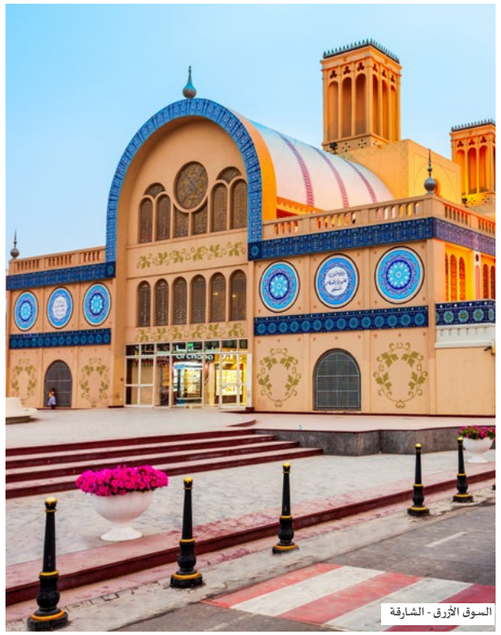

السوق الأزرق - الشارقة

المجمع الثقافي - أبوظبي

قراءة في دليل أبوظبي - العمارة الحديثة 1968 - 1992

دراسة جامعة نيويورك في أبوظبي لباسكال مينوريه

(مبنى الأميرة ومبنى المجمع الثقافي ومبنى الإبراهيمي ومبنى عبيد المزروعي نموذجاً)

محمد فاتح زغل

حسناً فعلت إدارة تحرير مجلة تراث عندما حددت في عددها ملف المشاريع العمرانية في الإمارات أن تكون في فترة السبعينيات من القرن العشرين وهي الفترة التي شهدت فعلاً نمواً عمرانياً ملحوظاً كان بمنزلة نقطة الانطلاق والتأسيس فيما بعد لثورة في عالم البناء وخاصة أن الإمارات أمة ديناميكية ذات أحلام جريئة، ولديها العزيمة والمرونة، ولديها شبابها وأبناؤها لتحولها إلى واقع تعزز هوية الأمة في هذه النهضة العمرانية الحديثة التي شهدت العديد من المباني المذهلة ليست موضوع البحث.

جامعة نيويورك وخدمة المجتمع الإماراتي

أصدر باسكال مينوريه، الأستاذ المساعد لدراسات الشرق الأوسط في جامعة نيويورك في أبوظبي كتاباً عام 2014 وثّق فيه بعضاً من البيئة المبنية في المدينة من عام 1968 إلى عام 1992. بالتعاون مع مجموعة من الطلاب والمهندسين المعماريين في الجامعة. دراسة شملت 30 مبنىً في أبوظبي وهي المباني التي شُيدت خلال «حقبة النفط المبكرة» في أبوظبي[1]، كما يسميها مينوريه، تتلاشى بالفعل عن الأنظار، بعضها هُدم وبعضها الآخر طغى عليه الأبراج الأكثر ارتفاعاً وأكثر لمعاناً في السنوات القليلة الماضية. بفعل الوتيرة المذهلة للتطور الحضري الحالي في أبوظبي التي تحجب الهندسة المعمارية للعقود السابقة.

كانت فكرة باسكال أن هذه الهياكل القديمة «لم يتم الاعتراف بها كجزء من التراث. ولم يكن لدى الناس أي مخاوف بشأن استبدالها وعلى سبيل المثال، تم هدم السوق المركزي الأصلي للمدينة في عام 2005. وقد هُدمت نافورة البركان التي كانت ذات يوم معلماً رئيسياً عند سفح طريق المرور، في عام 2004، أثناء إعادة تطوير الكورنيش. هذان الهيكلان هما من بين 30 مبنى تم فحصها في هذا الكتاب من خلال العمل الميداني، والمقابلات، والأعمال الأرشيفية ومعظم الموضوعات لا تزال قائمة، وبعضها لا يزال مهماً في حياة المدينة: جسر المقطع، ومحطة الحافلات المركزية، ومبنى البلدية، وفندق شيراتون وإنتركونتيننتال، ومبنى عبيد المزروعي المعروف شعبياً باسم «مبنى Connect Four» لأنه يشبه اللعبة الشعبية، ومبنى العمير الذي انتهى وقامت محله وكالة عمير للسفريات. وهذه المباني كانت عامة فقد كانت السبعينيات حقبة التنمية المتمحورة حول الدولة، مع وجود مبانٍ إدارية عامة ضخمة ومؤسسات عامة في قلب المدينة[2].

المجمع الثقافي قديماً

يشير مينوريه إلى أن المباني التي يغطيها الكتاب هي من عمل المهندسين المعماريين الأجانب فقد تم تصميم الملعب في مدينة زايد الرياضية من قبل الفرنسي هنري كولبوك وزملائه، على سبيل المثال، ونادي الضباط من قبل مهندس فرنسي آخر هو روجر تايليبرت. يقول مينوريه إن محطة الحافلات في المدينة عام 1989، والتي صممتها شركة بولغاركونسلت البلغارية، هي جزء من «المفردات المرئية للعمارة المستوحاة من الدولة في العصر السوفييتي في أوروبا الشرقية. ويشير إلى أن العديد من المهندسين المعماريين العرب كانوا نشطين أيضاً، مشيراً إلى عبد الرحمن مخلوف، المصري الذي كان شخصية رئيسية في التخطيط الحضري لأبوظبي في السبعينيات وما بعدها.

مبنى الأميرة

مبنى الأميرة هو واحد من 30 مبنىً حداثياً وصفها محرر الكتاب، باسكال مينوريه، ومجموعة من طلاب الهندسة المعمارية. بهدف استخدام الكتاب كدليل إرشادي للمدينة وبهدف نهائي هو الحفاظ على النسيج الحضري لمدينة أبوظبي.

نافورة البركان - أبوظبي

يقدم الكتاب خريطة مفيدة، إلى جانب تفاصيل نصية حول كل موقع من المواقع. ويذكر الكتاب أن مبنى الأميرة شيد في الثمانينيات من قبل «مهندس معماري غير معروف». «كان ذات يوم مبنى سكنياً فاخراً ويقع في شارع الفردوس بالقرب من أبوظبي مول وهو مكون من 14 طابقاً ويبدو أنه يفتقر إلى الجاذبية.

المجمع الثقافي

تروي روز ماري بيهان (Rosemary Behan) وهي مراسلة لمجلة The Daily Telegraph في لندن وتعيش في أبوظبي تقول: «أنا مفتونة بما أراه من نافذة الحافلة على يميني، بين شارعي حمدان وإلكترا، يوجد فلل قصر الحصن المنخفضة الارتفاع، التي شُيدت في السبعينيات، تعطي الفيلات الضخمة إحساساً بالحنين إلى المجد القديم.

عبرت الطريق إلى المجمع الثقافي، الذي يخضع لعملية تجديد ولكن تم هدمه تقريباً في عام 2010. لديّ مودة لهذا المبنى، جزئياً لأنه كان المركز الثقافي الرئيسي في أبوظبي وتم بناؤه في عام 1977 وافتتح في عام 1981 بتصميم المهندس المعماري هشام اِشكوري، وهو مهندس عراقي. والشيء الثاني الذي لاحظته هو الهندسة المعمارية للسوق المركزي الذي صممه نورمان فوستر».

ضمّ المجمّع الثقافي عند افتتاحه عام 1981 أول مكتبة وطنية، بالإضافة إلى مسرح لعروض الأداء ومركزٍ للمعارض. وقد شهد إطلاق عدد من البرامج الرائدة التي تحتفي بالثقافة الإماراتية والإقليمية، وقدم مجموعة متنوعة من أشكال الفنون لتشجيع

التبادل الثقافي مع العديد من ثقافات العالم. وقد حظي المجمّع الثقافي منذ ذلك الحين بإشادة إقليمية ودولية باعتباره صرحاً عالمياً للثقافة والفنون. كما نال مكانة بارزة كأحد معالم التراث الحديث، وتم تسجيله كأحد مصادر التراث الثقافي الأصيل لأبوظبي.

عمارة الإبراهيمي

المبنى يقع في شارع إلكترا وهو عبارة عن ناطحة سحاب إسطوانية، تتألف من 16 طابقاً، يجمع بشكل موفق بين الأماكن العامة والفضاءات الخاصة، ويعبّر عن وظيفته المزدوجة بشكل متميز، من خلال المداخل المختلفة التي تؤدي إلى مساحات منفصلة.

ويعرض لنا المبنى أحد أفضل أمثلة هندسة أبوظبي المعمارية. ويحطم البرج الأسطواني كل التوقعات، مع كل خطوة، حيث يتبدد شكله الكروي إلى مجموعة واسعة من الأنماط الهندسية. هذا، وتتكون واجهة المبنى من صفوف ذات مكعبات متشابكة، والتي تنحرف في زاوية ما، ويخدم جانب المكعب البارز بمثابة عمود، في حين أن قاعدة وسقف كل مكعب تحوي شرفة، بالإضافة إلى أن التيجان الموجودة على سطح المبنى تضفي جواً من الجلالة. ويُظهر التفاعل بين الإسقاطات والسكون تلاعب المهندس المعماري بالضوء والمكان بشكل ماهر. فمن العسير أن تعي أين ينتهي الفن في هذا المبنى، وأين تبدأ هندسته المعمارية.

إن النظر ملياً في الزخرفة الهندسية، والمقصورات مربعة الشكل

مبنى عبيد المزروعي

عمارة الإبراهيمي

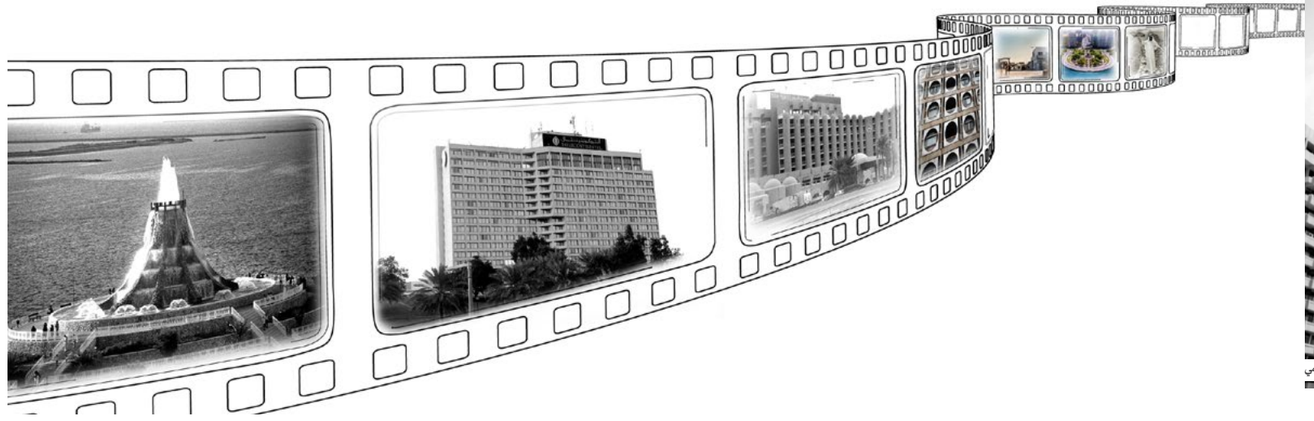

للشرفات، تذكرنا ببرج كبسولات ناكاغين الشهير (ناكاغين كبسول تاور- 1972). وكما أن الشكل الإسطواني، والتصميم العام لعمارة الإبراهيمي، يشبه برج فندق دورينت (1972) في ألمانيا، و«مارينا سيتي تاورز» في مدينة شيكاغو الأمريكية (1964).

مبنى عبيد المزروعي

من أكثر المباني التي تلفت الأنظار مبنى عبيد المزروعي - المعروف شعبياً باسم «مبنى Connect Four» لأنه يشبه اللعبة الشعبية - لا يزال قائماً، يقع المبنى في شارع إلكترا في أبوظبي، وقد أطلق عليه السكان اسم مالك المبنى، حيث لا يزال اسمه الأصلي والمهندس المعماري غير معروف.

يتميز مبنى عبيد المزروعي بنمط دائري على واجهته الخارجية، والذي يحيط بنوافذ المبنى وشرفاته، ويمنع أشعة الشمس المباشرة والحرارة من دخول الوحدات الفردية. من المحتمل أن تكون هذه الإطارات المطلية باللون الأبيض تخلق تبايناً لطيفاً مع اللون البيج للخرسانة الطازجة عندما كان المبنى لا يزال جديداً. يوجد تحت المبنى عدد من متاجر المجتمع المعتادة بما في ذلك متجر كتب ومطاعم ومطبعة وصيدلية. تم وضع مدخل المبنى في الخلف، مما يفتح على ردهة متقنة تتميز بأرضيات من الجرانيت الداكن.

خاتمة

يقول مينوريه إن الكتاب سيكون له جزء ثانٍ. «وسيكون لدينا 30 مبنى آخر في المجلد الثاني». وهكذا وُلد دليل أبوظبي: العمارة الحديثة (1968 - 1992). «أخذت هذه الفكرة الرائعة وأعدت منهاجاً دراسياً في الجامعة.

تعد خدمة المجتمع من أهم وظائف الجامعة في الوقت الراهن لأهميتها في تنمية القدرة على المشاركة والإسهام في بناء المجتمع وحل مشكلاته وربط البحث العلمي باحتياجات قطاعات الإنتاج والخدمات. إن الجامعة في أي مجتمع كان لا يمكن أن تؤدي دورها الكامل في التغيير الاجتماعي من دون تحقيق التفاعل بين الفرد من ناحية والبيئة الاجتماعية من ناحية، وهذا ما قامت به جامعة نيويورك في أبوظبي كمثال نموذجي في خدمة المجتمع الإماراتي والحفاظ على الذاكرة الوطنية، وهذا شأن مؤسسات التعليم كلها في الدولة التي تعمل لتكون مراكز إبداع وابتكار وتحدٍّ، ولطالما دافعت دولة الإمارات العربية المتحدة عن الابتكار والخيال وهي اليوم تبني مستقبلاً أكثر ذكاءً وأكثر استدامة ■

السوق المركزي

أكاديمي وباحث في التراث

الهوامش والمراجع:

1. دليل أبوظبي: الهندسة المعمارية الحديثة (1968 - 1992) متاح مجاناً في أبوظبي في ذا سبيس، ومنارة السعديات، ومعرض الفنون في جامعة نيويورك أبوظبي.

2. يقول مينوريه: إن الكتاب سيكون له جزء ثانٍ، «سوف أقوم بتدريس الدورة مرة أخرى في يناير المقبل وسيكون لدينا 30 مبنى آخر، في المجلد الثاني».

ديوان العرب يوثّق النهضة المعمارية في الإمارات

قصائد وثّقت إنشاء جبل علي وتوطين البدو ومجلس الإعمار وتوصيل المياه العذبة إلى أبوظبي

الأمير كمال فرج

رغم تباعد الأمر بين الشعر والعمران، فإن هناك علاقة وطيدة بينهما، وقد أصّل هذه العلاقة ابن خلدون في مقدمته، وكشف العلاقة الطردية بينهما. ورغم الجانب التوثيقي المبرهن في الشعر، الذي يشمل العمران والطوبوغرافيا والحركة المكانية للسكان أيضاً، تعمّق ابن خلدون وخطّ لنفسه درباً جديداً، ووصف «عمران الأرض وما تحتويه من أشجار وبحار وأنهار وأقاليم معتمداً في تقسيم المعمور على ما أورده بطليموس، عالم الفلك اليوناني، صاحب كتاب «المجسطي»، والشريف الإدريسي صاحب كتاب «رجار» الموسوم بكتاب «نزهة المشتاق»[1].

وليوضح العلاقة بين الشعر والعمران، قال ابن خلدون إن «الحضارة غاية العمران، ونتيجة حتمية له، وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة، والتخلّق بعوائدها»، وبالتالي «اعتبر الشعر من المعارف الإنسانية التي لا تحصل إلا بعد حصول فائض في المال والوقت، وهذا الفائض في المال والترف لا يحصل إلا إذا زاد العمران»[2]. وأوضح ابن خلدون أن «العلوم عمران فكري ولساني وفني ينتهي تطورها في صناعة الشعر، مشيراً إلى أن الشعر ليس جزءاً من العمران فحسب، بل حتى له بنية وعمران خاص، وهو ما سمّاه «عمران النص الشعري»[3]. واعتبر العلاقة بين العمران والشعر علاقة طردية، فكلما ازدهر العمران ازدهر الشعر، والتاريخ يعزز ذلك، حيث كانت عصور الازدهار الاقتصادي، مثل العصر العباسي، موزاية لازدهار الشعر، حيث تطورت أشكاله وفنونه وأغراضه.

ميناء جبل علي

قصائد توثق العمران في الإمارات

تعتبر دولة الإمارات العربية المتحدة من أسرع الدول تطوراً وتحديثاً في جانبي العمران والبناء، وقد شهدت منذ من القرن الماضي نهضة عمرانية كبيرة، وبالنظر إلى التحديات الكبيرة التي تفرضها البيئة الصحراوية، يمكن القول إن ماحدث في هذا القطاع معجزة معمارية.

فبعد اكتشاف النفط، انطلقت خطط التنمية الشاملة للدولة، وكان للقطاع العقاري دور محوري فيها، حيث تم إطلاق مشاريع عقارية ضخمة، لتلبية حاجة السوق والطلب المتزايد على الوحدات العقارية السكنية والتجارية. وقد واكب الشعر هذه النهضة، وسجّل بعض مظاهرها، والأهم أنه وثّق التأثير الوجداني لهذه المشاريع في قصائد عكست قوة الانتماء، وحب الوطن.

مرسوم للبناء والعمران

استشعر - المغفور له بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أهمية العمران والبناء في ترسيخ دعائم الدولة فأصدر مرسوماً ببناء المدارس والمنازل الشعبية والمستشفيات والعيادات، وهو ما ساعد على ارتفاع وتيرة العمران في هذه المناطق. ويصف الشاعر سالم الكاس حركة العمران في الإمارات الشمالية في بدايات الاتحاد فيقول في قصيدة «يا ميان الطاري

العالي»:

«بو خليفه المركز العالي
قايد لْمسيره يجدّها
جولته في طرف ليْبالي
يتفقّد البلد ومبانيها
صدّر المرسوم لازالي
وآمر بمّا هو يكفّيها
من مدارس حق لعْيالي
وبيوت شعبيّة تزهّيها
وكم سبيتار بجسر عالي
وكم عياده في مغانيها
للمريض لي يشكي اعْلالي
والضعيف إلْما يطالها
في مساح الدوله الخالي
حول لفْجيره وشمالها
يمشي البنيان بعْجالي
بأمر من يكرم أهاليها»[4]

توزيع البيوت الشعبية

دأبت الدولة على توزيع البيوت الشعبية، وقد وثّق الشعر هذه الخطة العمرانية، فقال الشاعر الكاس قصيدة في المغفور له الشيخ مبارك بن محمد آل نهيان، وله قصائد عدة في مدحه، وذلك بعدما تم توزيع البيوت الشعبية وسقط اسمه، ولم يحصل على أحد هذه البيوت:

يقول في قصيدة «اتفرقت لبيوت عن بيت»:

«اتفرقت لبْيوت عن بيت
واسْتانسوا هلها بلْبيوت
وانا على ذلك وولّيت
لا من ذكر صوبي ولا صوت
يا شيخ كل الربع وفّيت
وإلا الجوارح عنّي اسْكوت
يا معطي الربع المثابيت
كرتي سقط ما بين لكروت»[5]

التنفيذ الدقيق

البناء والعمران والتطوير أعمال تحتاج إلى إدارة واعية ورجال على الأرض يعرفون قدر المسؤولية، الشاعر سالم الكاس قال قصيدة في مدح المرحوم محمد بن سالم الظاهري، وكيل الدائرة الخاصة السابق، وثّق فيها جانباً مما يفعله المسؤول في البناء والتعمير.

يمتدح الكاس ديناميكية الظاهري وتنفيذه ما يؤمر به من شيوخ البلاد بكفاءة ودقة وفق المستهدف، مستحضراً لنا صورة مما يحدث على الأرض، فهناك مهندسون يعدون الخرائط وعمال يديرون الآلات، يصلون الليل بالنهار لتنفيذ المهام الإنشائية.

يقول في قصيدة «اتزخرف البيروميار به» :

«اتزخرف البيروميار به
عقب الوقوت الأوليه
ايقزّ لمخطّط سواجيه
ويخطّط افْيوي خلّيه
ومحمد بن سالم يباريه
ابخارطه ومهندسيّه
يلي طلب زايد يلبّيه
كل شي زين وع البغيّه»[6]

ويصف الأدوات المستخدمة في البناء وهي معدات قوية، قادرة على الحفر وتمهيد التربة والبناء، ومكائن مستوردة من لندن، يقول:

«يمشي العمل لو ما يوصّيه
عنده معداتٍ قويّه

تعتبر دولة الإمارات العربية المتحدة من أسرع الدول تطوراً وتحديثاً في جانبي العمران والبناء، وقد شهدت منذ من القرن الماضي نهضة عمرانية كبيرة، وبالنظر إلى التحديات الكبيرة التي تفرضها البيئة الصحراوية، يمكن القول إن ماحدث في هذا القطاع معجزة معمارية.

للحفر والشارع يساويه
ورقوق للمأ ديعبيّه
من واطي الأرض وخوافيه
اثْيَرّه مكاين لندنيّه
والبدوكلٍّ فيه مفاليه
مرتاح م اليرّ وسجيّه
وزانت فلى «مزْيَد» أراضيه
واخْضرّت اسْيوحٍ عذيّه»[7]

ويصف الشاعر سالم الكاس أحد المشاريع العملاقة التي أوكلت إليه أيضاً، مشيراً إلى أن لديه عدداً كافياً من العمال، وهو يحرص على متابعة العمل بنفسه، ومن خلال مراقبين، لإنجاز العمل في سرعة. يقول:

«وقصر «المقام» ولي حواليه
اشْيارهن متزخرفيّه
ومحمد بن سالم يعانيه
بنفسه وعنده امْراقبيّه
وعمال عنده لي تكفّيه
كلهم هل الدار اوْطنيّه
كلٍ على شغله يجدّيه
من عامل الى ادريوليّه
والعمل بالسرعة يمشيه
بامر وعنده عاقليّه»[8]

توصيل المياه العذبة

للعمران وجوه كثيرة، فهو لا يشمل البناء فقط، ولكن مد الأنابيب وتوصيل المياه العذبة إلى المناطق أيضاً، وقد وثّق الشاعر سلطان بن وقيش عملية توصيل المياه العذبة من قرية «الساد» القريبة من العين إلى مدينة أبوظبي عام 1963 بطول 90 كيلومتراً. وكان لذلك أثر كبير على حياة الناس في أبوظبي.

يقول في قصيدته «مياه الساد» :

«البارحه مرّيت ع البيت
ويلنّ خلق الله يروّون
على خطوط العين تركيب
ولوف للّي با يمرّون
ثْمركزن روسن العراجيب
والرمل سوّى شطّ يسقون»[9]

- ليصل إلى قوله:

«في «بوظبي» ريت الأنابيب
تنضح مياهٍ قطر لمزون
وتعجبوا منها تعجّيب
ناسٍ عليها ما يظنّون
بيْكون بيبٍ له لواليب
في «بوظبي» بيْسوّي عْيون
عقب البيادرياهم البيب
وان مرْ ع الشارع يَزْرعون
ياهم على كل المطاليب
مجّان واهْله ما يحسْبون»[10]

- في الاتجاه نفسه، يصف الشاعر سالم الكاس المناسبة ذاتها وهي توصيل المياه العذبة من قرية الساد إلى مدينة أبوظبي الذي كان بداية لتحول أبوظبي للنهضة الحديثة، يقول في قصيدة «مياه الساد» وهو نفس عنوان ابن وقيش:

«مدت البولينج ببياته
وارتوازي يبْذب عْيونه
وادفعت م الساد مایاته
عذب والعالم يروّونه
ما تحاتي من خساراته
لنّها بالجيك مضمونه
وقصّت «البيدر» علاقاته
والله سدّ النوب بدونه
بوظبي زادت طماشاته
يوم ماي «الساد» يسقونه
عمّ واسقي من صناعاته
والبدو والحضر يردونه»[11]

توطين البدو

وثّق الشعر النبطي الخطط العمرانية التي انطلقت عقب الاتحاد، والتي تضمنت إنشاء مساكن وطرق ومدارس ومساجد ومصادر للمياه ومستشفيات وأسواق، ومراكز للشرطة. قال الشاعر مبارك بن ناصر بن سالمين قصيدة بمناسبة زيارة الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، ممثل حاكم الظفرة لمنطقة ليوا، التي أوضح فيها أن والده الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - المغفور له بإذن الله تعالى - بنى للبدو مدناً في مضارب البادية وأماكن وجودهم في «السلع وبدع المطاوعة وغياثي ومدينة زايد ومحاضر ليوا» ضمن برنامج توطين البدو.

يقول في قصيدة «حمدان ياحمدان يا ابوزايد» :

«حمدان ياحمدان يا ابوزايد
من فضل أبوك إللي عطى مجّان
لوّل رمولٍ كلها قعايد
وفي حاضره غدا ليوا بستان
القيظ ياي وياب معه الفوايد
قاظ النخل فيه الرطب فنان
ياب الرطب بانوعه مثل اعقود وفرايد
اخلاص وخنيزي وابومعان»[12]

وأوضح الشاعر أن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - وفّر للبدو الخدمات جميعها من مساكن وطرق ومدارس ومساجد ومصادر للمياه ومستشفيات وأسواق، ومراكز للشرطة، حتى أصبح كل الناس في سعادة وفرح، يقول:

«وبناء البيوت إلهم مع المدارس مساجد
اورّه حق المواتر اتودي البزران
وإللي سكنها ناس ناسٍ وايد
كلٍ بها من الناس مستانس وفرحان
فيه الأمان وخيركله سايد
خضره وأمان إيعم في المكان

مخططات المناطق السكنية

ميناء حبل علي

شرطة وجيشٍ به عقيد ورايد
والدّربو في بعثة خارج وميدان»[13]

جبل علي ومجالس الإعمار

وثّق الشاعر سالم الجمري للنهضة العمرانية التي شهدتها دبي، في عهد الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، ومن بين مظاهرها إنشاء ميناء جبل علي أحد أكبر الموانئ العالمية، عام 1977، ومجلس الإعمار، وهو مؤسسة حكومية في دبي تمول المباني التجارية للمواطنين.

يقول في قصيدته «شيخ دبي»:

«كلٍ حصل نصيبه
من مجلس الإعمار
عطيّه لله وهيبه
من فضل راعي الكار
الشيخ لي نسميبه
لْنا ذري وحظار
في الضيجه نحتميبه
عن سطوّة الأشرار
شوفوا بعد ترتيبه
مينا الجبل وش صار» [14]

وهكذا وثّق الشعر النبطي ملامح كثيرة من ملحمة الإعمار في الإمارات عقب الاتحاد وهي ملحمة مستمرة حتى الآن، وهو رصد يؤكد أن الشعر مازال ديوان العرب القادر دائماً على توثيق قصص الإنجاز والعمران والنهضة التي تشهدها البلاد العربية، لتبقى دائماً مرجعاً غير تقليدي للأجيال، وهو توثيق أهمّ، لأن عمر القصيدة أطول من التقارير والمعلومات التاريخية ■

الهوامش والمراجع:

1. «الشعر والعمران في مقدمة ابن خلدون»، أم كلثوم دربالي، رسالة ما جستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
2. المصدر السابق نفسه.
3. المصدر السابق نفسه.
4. ديوان الكاس «سالم بن خميس بن عبد الله الظاهري «الكاس»، راشد المزروعي، نادي تراث الإمارات 2010، ص 43.
5. المصدر السابق نفسه، ص 114.
6. ديوان الكاس «سالم بن خميس بن عبد الله الظاهري «الكاس»، د. راشد المزروعي، نادي تراث الإمارات 2010، ص 228.
7. المصدر السابق نفسه، ص 228.
8. صدر السابق نفسه، ص 228.
9. ديوان ابن وقيش «سلطان بن وقيش الظاهري، د. راشد المزروعي، بيت الشهر في أبوظبي، نادي تراث الإمارات 2012، ص 46.
10. المصدر السابق نفسه، ص 46 - 47.
11. ديوان الكاس «سالم بن خميس بن عبدالله الظاهري «الكاس»، د. راشد المزروعي، نادي تراث الإمارات 2010، ص 318.
12. ديوان ابن سالمين «مبارك بن ناصر بن سالمين المنصوري»، جمع ومراجعة محمد بن يعروف المنصوري، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث 2022، ص 52.
13. المصدر السابق نفسه، ص 53.
14. ديوان الجمري «سالم بن محمد الجمري العميمي»، د. راشد المزروعي، نادي تراث الإمارت، مركز زايد للدراسات والبحوث 2013، ص 26.

صحفي وباحث ومصري

بواكير المباني المعمارية في أبوظبي.. شواهد التاريخ الحديث للإمارة

خالد صالح ملكاوي

بدأ النمو العمراني المتسارع الذي تشهده مدن دولة الإمارات العربية المتحدة بعد الطفرة النفطية في سبعينيات القرن العشرين، وبعيد قيام دولة الاتحاد، ومع زيادة الإنفاق الحكومي الاتحادي والمحلي وفتح باب الاقتصاديات المحلية التي أدت إلى ظهور مناطق تجارية وصناعية وتوسع في الأحياء السكنية، لتضيف إلى الكتلة العمرانية الصغيرة القديمة في مدن الإمارات مساحات عمرانية إضافية تعادل أضعاف مساحتها القديمة. فكان الرأي العام متوجهاً نحو تحويل البلدات القديمة في إمارات الدولة إلى مدن عصرية لترقى إلى مصاف المدن الحديثة، ولتوفي بمتطلبات الحياة الحديثة المعاصرة والانتقال من عصر البداوة وقرى الغوص إلى العصر الحديث والقرن العشرين.

شكّل إنشاء مدن عصرية حديثة كاملة الخدمات متطلباً حضارياً، لأنها ضرورة حتمية في إنشاء الدولة الحديثة ومتطلباً مهماً في عملية النمو في الدولة. ما جعل تلك الفترة من القرن الماضي تشكل مرحلة حاسمة في تاريخ الدولة، لا سيما مدينة أبوظبي، عاصمة الدولة الوليدة، إذ شهدت، حينها، تطورات معمارية وبنية تحتية ملحوظة، وعاشت تحولات مهمة تجاه التحديث والتطوير، ما أسهم في تحويلها من مستوى متواضع إلى واحدة من أبرز المراكز الحضرية في المنطقة، ودفع بخطوات رائدة نحو تحقيق رؤية مستقبلية للمدينة كواحدة من أبرز المراكز العالمية في مجال العمارة والتطوير العمراني، وأكسبها هوية حضرية فريدة ومستدامة موصولة النمو والتطور.

النمو العمراني المتسارع في دولة الإمارات الذي بدأ منذ نحو نصف قرن، واستمر في طفرات متتابعة، حوّل قرى الغوص وواحات الصحراء إلى مدن مزدهرة تقف على قدم المنافسة مع العديد من مدن العالم المتقدم. وانصهرت طوال العقود الماضية فنون الأمم الأخرى في المشروعات الأيقونية الإماراتية، لتصبغ فن العمارة بثراء لا نظير له، فعلاوة على الاحتفاظ بطابع الأصالة العربية، أغنى التنوع فن العمارة في ربوع الإمارات وأضاف إليها فنون آسيا وأوروبا.

قبل قيام الاتحاد، كان اكتشاف النفط في إمارة أبوظبي هو العلامة الفارقة في تاريخ المدينة الحديث، فنالت أبوظبي حظها مما تناله المدن أو المناطق النفطية من بدء حركة إعماروتطوير سريعة، ركزت في البداية على البنى التحتية الواسعة التي لا بد منها لاستيعاب حركة العمران النشطة التي يدفع إليها الوضع الاقتصادي الجديد، كمقار إدارات الشركات والبنوك ومد شبكة المواصلات وتطوير الميناء والمطار، وتوسيع منظومة الطاقة وافتتاح المراكز التجارية الجديدة، وكل ما تتطلبه سوق النفط العالمية لممارسة أنشطتها المتنوعة. ومع إعلان قيام دولة الاتحاد مطلع سبعينيات القرن الماضي، كانت أبوظبي على عتبة عهد جديد بعد اختيارها عاصمة الدولة الناشئة، فانطلقت فيها الموجة الثانية من البناء والتطوير لتقطع خلال السنوات الخمس الأولى من عهد الدولة الاتحادية أهم أشواط نهضتها في المجالات كافة، وتُعِدّ البنى التحتية للتطور الأفقي الذي بات يفرضه الواقع الجديد للمدينة، سواء في المنحى الاقتصادي الذي يشمل ازدهار سوق النفط وصناعاته، ونشوء القطاعات الخدمية والمصرفية المتعلقة به، أو المنحى السياسي الذي برزت معه أبوظبي كعاصمة للاتحاد ومركز للسفارات والبعثات الدولية. كانت مدينة أبوظبي من أسرع المدن نمواً في منطقة الخليج، وشكلت مساحات عمرانية ناجحة نسبياً تستهوي المواطنين والوافدين والزائرين من كل أنحاء العالم. وباعتبارها عاصمة وطنية امتلكت بنى تحتية حديثة ممتدة وتطلعات نحو العالمية، وتميزت ببنى تحتية واسعة، ومساكن ميسورة لمختلف الشرائح، وحققت عبر ما ينوف عن خمسة عقود تقدماً مهماً في طريق العالمية والوصول إلى أن تكون مركزاً رائداً في الميادين الثقافية والتعليمية والرياضية، ومركزاً تجارياً وسياحياً مهماً للمنطقة وخارجها. وجلبت إليها مجموعة كبرى من المتاحف والجامعات والفنادق الفخمة والمنتجعات وشركات الطيران العالمية المميزة، وتدفق المسافرين والمصارف والمؤسسات المالية.

رافق هذا التقدم المتسارع لأبوظبي نحو العالمية اتجاهات

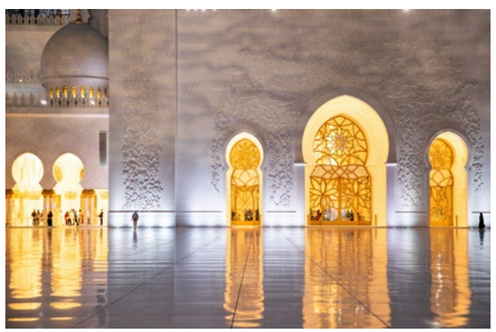

عصرية في المشاريع المعمارية التي تميل إلى الطابع الأيقوني، تجاوزت معه المباني الأيقونية دورها الوظيفي لتتحول إلى علامة بارزة في حد ذاتها، ما دفع الجهات الرسمية إلى بذل مساعٍ ومحاولات مستمرة لتحقيق المصالحة بين المعاصرة والتراث من خلال البحث عن جذور أصيلة في بعض المشروعات، وتعزيز القيمة التراثية للأيقونات المعمارية، والحفاظ على التراث المعماري للإمارة الذي من أركانه تلك المباني التي تم تشييدها مع بدايات النهوض العمراني في المدينة، وشكلت شواهد حية ومعالم بارزة في المدينة.

وتشكل هذه المباني عصب التراث الحديث، بسبب القيمة التي تحملها في الذاكرة الجماعية لسكان الإمارة، ولاعتبارها شهادة تاريخية حية، تحمل في طياتها سرد قصة أبوظبي من خلال هويتها المعمارية والحضرية، التي تجمع بين التراث التقليدي الماضي والتطلعات المستقبلية. فهي تقف شاهدة على تاريخ الإمارة ونموها وتطورها على مدى العقود الماضية، وتعكس، خلال تلك الفترة، الاستراتيجية الرامية لتحقيق تطور مستدام وتعزيز جودة الحياة. ويُسَجَّل لدائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي سعيها إلى فهم وتقدير التراث المعماري لإمارة أبوظبي في مرحلة ما بعد النفط، وتقييم أهميته، ووضع استراتيجيات فعالة لحمايته للأجيال المقبلة، وحرصها على رصد البيئة الحضرية وتحديد أهم المباني والمواقع التراثية الحديثة التي تروي التاريخ الحديث

للإمارة لحماية هذه المواقع والحفاظ عليها. وتضم قائمة المواقع أنواعاً مختلفة من المباني متباينة الوظائف والاستخدامات، منها عدد من المباني التي رافقت بدايات قيام الدولة في سبعينيات القرن الماضي، وربما سبقت ذلك ببضع سنوات، مثل مسجد زايد الثاني، ومدينة زايد الرياضية، وقصر المنهل، وفندق هيلتون أبوظبي (راديسون بلو حالياً)، ومستشفى الجزيرة، وغيرها

العشرات من المباني التي لم تزل تمدّ الإمارة بالحياة.

ولا شك أن حماية التراث الثقافي الذي تختزنه مثل هذه المشاريع والمباني يمثل بُعداً عميقاً في الحفاظ على مظهر المدن بهويتها وأصالتها وتراثها العمراني والحضري. ويؤكد أهمية المواءمة بين القديم والحديث وتعزيز علائق التواصل وعرى الحياة لسلامة المسيرة الساعية لتطوير مدن ذكية لمستقبل أكثر استدامة، ولتعزيز جودة حياة المجتمع. وقد يكون من المفيد استعراض بعض هذه المباني التي ستبقى حافظة لبعض من صفحات مسيرة هذا البلد.

مدينة زايد الرياضية

تُعد مدينة زايد الرياضية المرفق الرياضي والترفيهي الأول في المنطقة. تأسست عام 1979م.

مع افتتاح الاستاد الرئيسي فيها. وقد تم إنشاؤها تحقيقاً لرؤية المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في إنشاء مجمع رياضي عالمي المستوى، يعكس شغف مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة بالرياضة. وكانت توجيهات سموه الكريمة صدرت عام 1974م إلى دائرة تخطيط المدن بإنشاء مدينة رياضية حديثة في أبوظبي، بحيث تشمل الأنشطة والمرافق الرياضية والثقافية كلها التي توفرها مثيلاتها على المستوى العالمي. واستضافت المدينة أول حدث رياضي في نوفمبر 1979 تصفيات شباب آسيا.

تضم المدينة خمسة مرافق مهمة، وهي: استاد مدينة زايد الرياضية، واستاد مجمع التنس الدولي، بالإضافة إلى مرافق تم إنشاؤها خصيصاً للبولينج والتزلج على الجليد. كما تحيط بهذه المرافق خمسة مرافق مكشوفة إضافية بأحجام مختلفة، تتوزع بين ملاعب مغطاة بالعشب وساحات عامة ومساحات معبّدة، وتلعب المدينة دورها المحوري في دعم الفرق والمنتخبات الوطنية، وتواصل ترسيخ سمعتها كموقع عالمي المستوى للتدريب، كما تواصل نموها، وتستمر في الوقت نفسه في لعب دور أساسي في الحياة اليومية لمواطني الدولة، وتُعتبر مركزاً لأنشطة تضم مجموعة واسعة من الفعاليات.

جسر المقطع

تمت عملية تشييد جسر المقطع عام 1968م؛ ليحافظ الجسر بصورته الحالية على مكانته الحيوية كعقدة مواصلات رئيسية بين جزيرة أبوظبي والمناطق البرية من الإمارة، وليواكب حركة بناء المجتمع الجديد أيضاً مع المباشرة ببدء تصدير النفط من الحقول البحرية في أبوظبي الذي بدأ عام 1962م. وما يلزم ذلك من بناء شبكة طرق ومواصلات تتناسب والحالة الجديدة من البناء والنهضة والتنمية.

لعب جسر المقطع دوراً حيوياً مهماً في تيسير الانتقال، وتذليل حركة الشركات العاملة في عمق الصحراء، ما أتاح زيادة الإنتاج اليومي من النفط بشكل كبير. وأسهم هذا الإنتاج، كما هي عليه الحال اليوم، في تغذية آليات التطوير، وتحقيق حياة أفضل لسكان أبوظبي، وأصبح هذا الجسر جسداً خالداً وشامخاً، وشاهداً على مسيرة عقود من التطور والتقدم والازدهار. وصار

جسر المقطع قيد الإنشاء 1968

من الصعوبة بمكان الحديث عن تاريخ أبوظبي الاجتماعي والاقتصادي، دون التطرق إلى تاريخ منطقة المقطع التي تعد بوابة أبوظبي الرئيسية نحو حدودها الجنوبية. فغدا الجسر في هذه البوابة الجنوبية يمثل جزءاً أصيلاً من جغرافية واستراتيجية المكان وأصل تسميته، وصارت منطقة المقطع تشكل جزءاً رئيسياً من منظومة الحراك الاجتماعي التاريخي لإمارة أبوظبي خاصة في العقود الأولى من النصف الثاني من القرن العشرين.

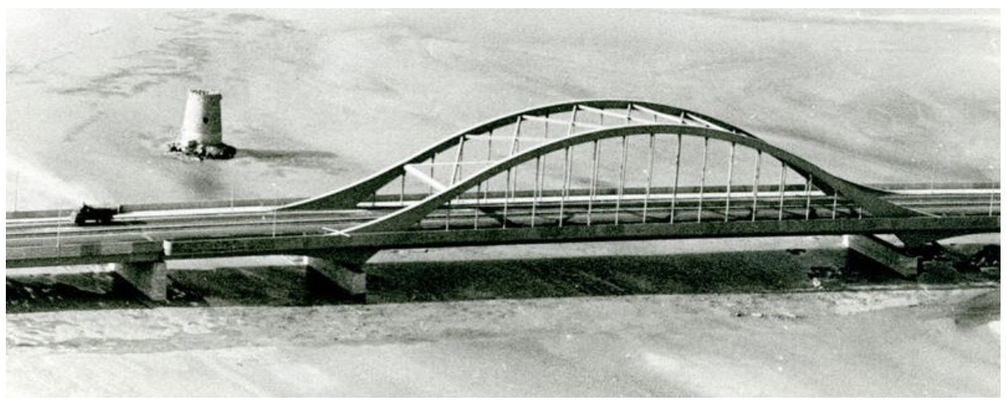

مسجد زايد الثاني

استقبال ملحقة به لاستقبال كبار المسؤولين أيام المناسبات

يعد مسجد الشيخ زايد الثاني في أبوظبي، أو المسجد الكبير، الأقدم في العاصمة، وأحد أقدم المساجد في الدولة، وهو يشكل صرحاً إسلامياً بارزاً وفريداً بطرازه المعماري والإنشائي في الإمارات، وكانت توجهات المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - ببناء هذا المسجد قد صدرت في عام 1969 ليكون صرحاً إسلامياً يرسّخ ويعمق الثقافة الإسلامية ومفاهيمها وقيمها الدينية السمحة، ومتماشياً مع التطور المعماري السائد في دولة الإمارات، ومتبعاً أحدث نظم البناء الموجودة في العالم من حيث الحجم والتصميم.

والمسجد يتوسط المدينة وهو في مكان مرموق، فقد بُني في منطقة حيوية، إذ يقع بين قصر الحصن وقصر المنهل. كما بُني على الطراز الإسلامي التراثي، إذ خلا من الزخرفة والنقوش، اكتفاء بما كانت عليه مساجد السلف قبل التأثر المعماري بجماليات الحضارة الإسلامية اللاحقة.

وصُمّم صحن المسجد الموجود على مساحة مكشوفة بلا سقف، تتوسطه بركة ماء كبيرة كانت فيما سبق تستخدم في الوضوء، لإضفاء بعض الجماليات، وتحيط بالصحن من الجهات الثلاث أروقة تزينها الأقواس المقنطرة. وتحيط بالمسجد حدائق غناء لا تزال بلدية أبوظبي تولها عناية جيدة. ويحوي المسجد قاعة الدينية، إذ كانت الاحتفالات تقام في هذا الجامع الكبير، ويحضرها كبار رجال الدولة، وكبار الشخصيات كالاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، وذكرى الإسراء والمعراج، ويوم الهجرة النبوية، وليلة القدر المباركة، وغير ذلك من المناسبات.

قصر المنهل

يعد قصر المنهل مقر الإقامة الرسمي في أبوظبي للمغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي كان يستقبل فيه الزوار والضيوف، وهو كذلك المكان الذي شهد العديد من الأحداث المهمة التي مهدت لتكوين الاتحاد. فهو أحد أبرز المعالم المعمارية والثقافية في الإمارات، وينقل تاريخاً حافلاً من التطور والتحول، ويعكس تراث الإمارات وقيمها. كما أنه رمز للسلطة والرفاهية، ومركز للاجتماعات والفعاليات المهمة. وعلى ساريته رُفع لأول مرة في أبوظبي علم دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر عام 1971م.

إذ شهد هذا الحدث التاريخي المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان الذي كان ولياً للعهد ورئيس الوزراء.

وقصر المنهل يبعد أقل من كيلومتر عن قصر الحصن، الشاهد الآخر على قيام الدولة الحديثة واتحادها، الأمر الذي جعل مسيرة

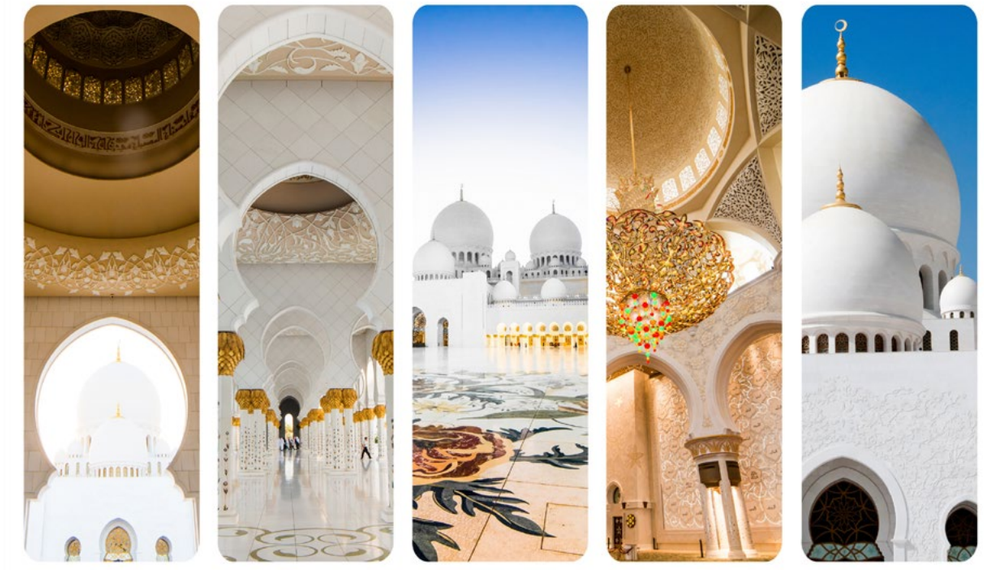

يعد قصر المنهل مقر الإقامة الرسمي في أبوظبي للمغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي كان يستقبل فيه الزوار والضيوف، وهو كذلك المكان الذي شهد العديد من الأحداث المهمة التي مهدت لتكوين الاتحاد. فهو أحد أبرز المعالم المعمارية والثقافية في الإمارات

قصر الحصن السنوية تنطلق من قصر المنهل الذي بناه الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - إلى وقائع أسلافهم المؤسسين في قصر الحصن.. مسيرة إلى الماضي الذي يتدفق الحاضر منه ويتعمق ويمتد، وهي مسيرة في الوقت نفسه إلى المستقبل الذي يظل أبداً يلوح في الروح والمخيلة، ويسكن الخطط، ويعشعش في جوهر الاستراتيجيات والرؤى الجديدة ■

باحث وإعلامي مقيم في الإمارات

المصادر والمراجع:

1. الإعلام والحداثة والتنمية في دول الخليج العربية، فياض قازان، تقديم فريدريك فراي، الطبعة الأولى، واشنطن، معهد تطوير المصادر، 1999م.
2. استكشاف أماكن التعايش في الإمارات، رحلة معمارية، أبوظبي، وزارة الثقافة وتنمية المعرفة، 2019م.
3. الدليل العمراني لدولة الإمارات العربية المتحدة، هندريك بوليه، جان ديموغ، ترجمة موسى الحالول، أبوظبي، مشروع كلمة للترجمة بمركز أبوظبي للغة العربية التابع لدائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي، 2021م.
4. رحلة العمر مع العمران، نصف قرن مع تخطيط المدن، عبد الرحمن مخلوف، أبوظبي، المكتب العربي للتخطيط والعمارة، 2013م.
5. العمران التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة، محمد مدحت جابر عبد الجليل، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ التابع لنادي تراث الإمارات، 2000م.
6. من المحل إلى الغنى، قصة أبوظبي، محمد عبدالجليل الفهيم، لندن، مركز لندن للدراسات العربية، 1996م.

الصحف والمواقع الإلكترونية:

1. إيلاف، 23/7/2020، https://elaph.com
2. البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، https://u.ae/ar
3. صحيفة الإمارات اليوم، 17/1/2017، https://www.emaratalyoum.com
4. صحيفة الإمارات اليوم، 21/5/2008، https://www.emaratalyoum.com
5. صحيفة البيان، 21/4/2009، https://www.albayan.ae
6. صحيفة البيان، 10/4/1999، https://www.albayan.ae
7. صحيفة البيان، 4/12/2020، https://www.albayan.ae
8. صحيفة الخليج، 26/7/2023، https://www.alkhaleej.ae
9. صحيفة الخليج، 8/9/2008، https://www.alkhaleej.ae
10. مدينة زايد الرياضية، https://www.zsc.ae
11. موقع 24 الإلكتروني، https://24.ae/article

البنية التحتية في عهد المغفور له الشيخ زايد.. مطار البطين نموذجاً

فاطمة سلطان المزروعي

في ظل التطور والازدهار الذي بدأ في إمارة أبوظبي، نشرت الحكومة العديد من الإعلانات في أبرز الصحف العربية والأجنبية، تعلن فيها رغبتها في تنفيذ مشروع بناء المطار، وقد رسي المشروع على شركة كانسلت ليمتد وهي المجموعات الكندية للاستشارات الهندسية في الثاني من ديسمبر عام 1965م، وعُقدت أول اتفاقية مع الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان بتاريخ 1 مارس 1966، واحتوت هذه الاتفاقية على تفاصيل قياسات بناء المطار الجوي، ونستطيع القول إن بداية تأسيس الطيران المدني بمفهومه الحديث والمعاصر في أبوظبي بدأ في عهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي استطاع أن يضعه في مساره الصحيح وذلك من خلال القيام ببعض الخطوات الإدارية، منها: عقد اتفاقية الطيران المدني مع بريطانيا عام 1966، وتأسيس دائرة الطيران المدني في أبوظبي عام 1968، وتعتبر اتفاقية الطيران المدني بين أبوظبي وبريطانيا حجر الأساس التي أهّلت أبوظبي إلى دخول عالم الطيران المدني الحديث.

يعتبر مطار البطين أول مطار رسمي يحمل مواصفات المطار الحديثة في إمارة أبوظبي ويرجع تأسيسه إلى عام 1969، وظل يعمل كمطار رئيسي لإمارة أبوظبي إلى أن تم بناء مطار أبوظبي الدولي الجديد وافتتاحه في عام 1982. وقد بدأت أعمال البناء في تشييد المطار منذ عام 1966 في أول شهر مايو ، وخلال شهر أغسطس في عام 1967 أي بعد مرور عام كامل أصبح مدرج المطار مؤهلاً لاستقبال الطائرات، ووصلت تكلفته حسب التقارير إلى نحو 26 مليون درهم وكان المدرج قد صمم بنظام يتكون من مدرج بطول 10,500 قدم وعرض 150 قدماً، وطريق آخر محاذٍ للمدرج بعرض 75 قدماً لتمر عليه الطائرات قبل الإقلاع وبعد الهبوط.

في عام 1967 أي بعد عام من تولي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مقاليد الحكم في أبوظبي وضع اللبنة الأولى في تأسيس المبنى الجديد في مطار البطين وذلك في نطاق حرصه على توسعة المطار خاصة بعد النجاح الذي حققه مدرج المطار في استقبال الطائرات وازدياد عدد المسافرين والقادمين من خلال المبنى القديم، فرأت حكومة أبوظبي ضرورة توسيعه وإلحاق عدد من

المباني الجديدة فيه تخدم حركة المسافرين القادمين إليه، من هنا بدأت أبوظبي تشق طريقها في تطوير موقع المطار ، فشرعت في بناء مبنى المسافرين والتسهيلات المرافقة له منذ صيف عام 1967 وتم الانتهاء منه في إبريل عام 1970 ووصلت تكلفته الإجمالية حسب التقارير إلى 40 مليون درهم، وقد افتُتح رسمياً من قِبل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - في 26 يوليو 1970، ويعتبر هذا التاريخ إيذاناً رسمياً بدخول إمارة أبوظبي عالم الطيران المدني الحديث بافتتاح أول مطار حديث في تاريخها المعاصر .

ثم قامت دائرة الأشغال العامة بالعمل على تطوير مبنى المسافرين من خلال عقد مع شركةContracting & Maintenance، وصمم مبنى المسافرين في تلك الفترة ليستوعب في وقت ذروته 150 مسافراً وتم تصميمه بطريقة يتم من خلالها التعامل مع إجراءات السفر والشحن في الطابق الأرضي وزوّد بتكييف مركزي وبوسائل اتصال، أما الطابق الثاني فقد تم بناؤه بغرض استخدامه كمرافق ومكاتب إدارية ومكان مخصص للإقامة لموظفي خطوط الطيران، وازداد اهتمام إدارة المطار بتطوير وسائل أجهزة الاتصال والأنظمة المتعلقة بالهبوط خاصة مع ازدياد حركة إقلاع الطائرات وهبوطها، فبدأت إدارة المطار منذ سبتمبر 1971 بالتوقيع مع العديد من الشركات بهذا الخصوص كالعقد الموقع مع شركة المريخي للتجارة والمقاولات لإقامة المزيد من التسهيلات في مطار أبوظبي الدولي وبلغت قيمة هذه الأعمال 7.948.500 درهم وبوشر بالتنفيذ بتاريخ 29/10/72، وكان من المتوقع إنجاز هذه الأعمال في نهاية عام 1973 وتتضمن هذه الأعمال ما يلي:

مرابض الطائرات

تقرر أن يقام مربض للطائرات على قاعدة خرسانية. يبلغ طول هذا المربض 140 قدماً وعرضه 200 قدم وارتفاع 45 قدماً وذات زوايا مغلقة بالألمنيوم، كما يتضمن المشروع إقامة ورشة لصيانة الطائرات وتأمين احتياجاتها ملحقة بالمربض طولها 200 قدم وعرضها 40 قدماً وارتفاعها 24 قدماً وهي مكيفة بالهواء كلياً.

جهاز الهبوط الآلي:

قامت شركة إنترناشيونال إيراديو بتركيب جهاز الهبوط الإلكتروني الذي يعتبر أحدث ما وصل إليه علم الطيران وهو جهاز يُمكّن

مطار أبوظبي الدولي (مطار البطين الخاص حالياً)

الطائرات من الهبوط آلياً في حالات الطقس السيء وانعدام الرؤيا.

الطرق :

يتضمن المشروع تشييد طريق مبني من الخرسانة والإسفلت بطول ثلاثة كيلومترات وستعمل هذه الطريق على ربط مجمع وزارة الدفاع ومخازن الوقود مع مبنى المطار الحالي، وبدأ العمل لإعادة تعبيد مدارج المطار وشوارعه في عام 1972 وتم إنجازها مقابل 2.595.900 درهم.

توسيع أرضية المطار:

كما يتضمن المشروع إضافة أرضية خرسانية مساحتها 10600 ياردة مربعة لاستقبال الطائرات الضخمة في المطار، بالإضافة إلى أرضية أخرى مساحتها 8500 ياردة مربعة أمام مربض الطائرات الجديد.

ساحة الشحن:

رأى المسؤولون أن الزيادة المطردة في البضائع المشحونة جواً إلى أبوظبي تستدعي إنشاء مستودع كبير من الإسمنت لحفظ هذه البضائع كلها وعند إنجاز هذه المساحة ستزيد مساحة التخزين 6300 ياردة مربعة.

وأوكلت الأعمال الاستشارية للأعمال المذكورة أعلاه إلى الاستشاري كانسلت بما في ذلك التصميم والإشراف على التنفيذ.

صالة الشرف:

تم تكليف إحدى شركات المقاولات ببناء صالة لاستقبال الزوار في مطار أبوظبي الدولي. تتألف من قاعة فسيحة وغرفة للاجتماعات بالإضافة إلى المرافق الأخرى اللازمة، وتم إنجاز هذا المشروع الذي قدرت تكاليفه بعشرة ملايين درهم خلال ثمانية عشر شهراً من تاريخ بدء العمل.

وأوكلت أعمال تصميم صالة الشرف والإشراف على تنفيذها إلى الاستشاري الدكتور جلال مؤمن. وهكذا سايرت إمارة أبوظبي وبصورة متواصلة متطلبات الطيران المدني المتطورة بإنجاز هذه التسهيلات.

روعي عند تخطيط مطار أبوظبي أن يكون على مستوى المطارات الدولية الحديثة. وأن تكون لديه الطاقة لاستيعاب العدد المتزايد من المسافرين وشحنات البضائع الضخمة. الناتجة عن التطور السريع لإمارة أبوظبي، حيث كان من المتوقع أن يصل عدد سكانها إلى 100.000 نسمة كنتيجة لاستغلال واردات النفط في مضمار الحضارة والعمران.

شُيد المدرج على أساس قوة احتمال ضغط وقدرها 100 طن

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، أثناء مشاهدة نموذجاً لمشروع تطوير وتوسيع ميناء زايد في أبوظبي 1975

لكل عجلة على ضوء المواصفات التي وضعتها المنظمة العالمية للطيران المدني. كذلك صمم مبنى المطار على أساس قدرته على استيعاب 150 مسافراً في الساعة كحد أقصى.

يتكون المدرج من ممر منفرد طوله 10,500 قدم وعرضه 150 قدماً. ويوازيه مدرج جانبي بعرض 75 قدماً . وكذلك ممران للسرعة المرتفعة. وهناك ساحتان للمطار. تقع الأولى عند نهاية الطرف الشرقي للمدرج وهي مخصصة لمبنى المسافرين ومباني الخدمات الملحقة معه، أما الثانية فتقع عند نهاية الطرف الغربي، وهي مخصصة لجناح الجو في قوة دفاع أبوظبي. ولقد زوّدت هذه الساحات بالترتيبات والتسهيلات التي وردت في مواصفات المنظمة العالمية للطيران المدني. وتشمل هذه التسهيلات تسوية الساحات وتمهيدها. وتزويدها بالأجهزة الأرضية الخاصة بالرؤيا.

كذلك روعي في تصميم مبنى المطار أن تتم عمليات استقبال المسافرين والركاب وشحنات البضائع على مستوى الطابق الأرضي، أما الطابق الواقع فوق الطابق الأرضي مباشرة والذي يحيط بقاعة الانتظار فقد صمم خصيصاً ليشمل قاعة الطعام، والمطابخ، ومكاتب الإدارة، وقاعة الترانزيت، وتسهيلات لإقامة ملاحي الطائرات،.. إلخ. وصُمم المبنى العلوي بهذه الطريقة ليلقي ظلالاً على المنطقة الواقعة تحته. وتقوم المكاتب المخصصة لخدمة المسافرين على تقديم التسهيلات للمسافرين وشحن

الأمتعة الخاصة بهم والبضائع على خطوط الطيران الموجودة في المطار وهي ثمانية خطوط.

وقد تم تزويد المطار بنظام مركزي لتكييف الهواء والأنابيب الهوائية، ووسائل الاتصال اللاسلكية، وتسهيلات للملاحة الجوية، ونظام المعلومات المعمول به في المطارات الأخرى.

وأما برج المراقبة فهو متصل ومتكامل مع مبنى المسافرين، وقد زوّد بجميع المعدات اللازمة لتمكينه من القيام بأعمال المراقبة بنجاح تام. وتشمل مباني الخدمات تسهيلات لأعمال الصيانة الخاصة بالسيارات التي تخدم في ساحة المطار، ووحدة مولد كهربائي احتياطية، ووحدة لإطفاء الحريق، ومخازن للوقود، وبرج التبريد، ومحطات فرعية وتسهيلات أخرى. خاصة في ساحة المطار ومرابض الطائرات التي تم إنشاؤها آنذاك.

وتشمل تسهيلات الملاحة الجوية في ذاك الوقت نظام إضاءة تحت أرضية، ونظام إضاءة كثيفة على المدرج، وتسهيلات أخرى لنظام الهبوط الآلي ونظام الهبوط من الدرجة الثانية. وتم تشييد المطار بموجب عقدين شاملين، يغطي أحدهما المدرج، ويغطي الآخر مبنى المسافرين وملحقاته، ونظام الإنارة والتسهيلات الملاحية، وشرع بالعمل في تشييد المدرج في صيف عام 1966 واكتمل في نهاية عام 1967، وبلغت التكاليف الاجمالية 26.000.000 درهم، وجرى استعماله منذ ذلك التاريخ، أما العقد الثاني فبُدئ العمل به في صيف عام 1967، واكتمل في إبريل 1970، وبلغت التكاليف الإجمالية 40.000.000 درهم.

مطار أبوظبي قديماً 1967

وافتتح الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - مطار البطين في ذكرى عيد الجلوس الرابع في 7 أغسطس 1970 ■

رئيس قسم الأرشيفات التاريخية - الأرشيف الوطني

المصادر والمراجع:

1. فاطمة مسعود المنصوري، دراسات تاريخية في تطور البنية التحتية في إمارة أبوظبي، مطار أبوظبي وجسر المقطع وميناء زايد نموذجاً، نادي تراث الإمارات، الطبعة الأولى، 2016.
2. دور الأشغال في التنمية، إعداد البحوث والإحصاء والعلاقات العامة، وزارة الأشغال - أبوظبي، مؤسسة أبوظبي للطباعة والنشر ، ديسمبر 1973.
3. محمد مرسي عبد الله، أبوظبي بين الأمس واليوم، أبوظبي، الأرشيف الوطني، الطبعة الثانية، سنة النشر 2020.
4. ويكيبيديا - مطار البطين - مطار في دولة الإمارات العربية المتحدة.
5. https://daleelalmatarat.com/

المصوّر صالح التميمي

يوثق نهضة أبوظبي في سبعينيات القرن الماضي

علي تهامي

كانت مشاهد مدينة أبوظبي في سبعينيات القرن الماضي، وما طرأ عليها من تطور في العمارة والشوارع والميادين خلال تلك الفترة، موضوع ألبوم مصوّر التقطه المصوّر الفوتوغرافي اليمني صالح التميمي، وأقيم له معرض خاص العام الماضي حمل عنوان «استعارات من الماضي» وكان مثار حديث وسائل الإعلام العالمية.

الألبوم المصوّر الذي استمتع برؤيته جمهور (معرض 421)، وجهة الفنون والتصميم في أبوظبي وبالشراكة مع مركز التصوير الفوتوغرافي «جلف فوتو بلس»، قدّم توثيقاً للتطور المعماري الذي شهدته دولة الإمارات العربية المتحدة في فترة السبعينيات، وكذلك التطور الذي طرأ على مخططات الشوارع والميادين الانسيابي، وما تبعها من تطور عمراني.

بعين مغترب عاصر تلك التطورات وشهدها بأم عينيه وعدسات كاميراته. وقد تناولت صور معرض «استعارات من الماضي» لليمني صالح التميمي، بوجه خاص فترة السبعينيات من القرن الماضي، التي شكّلت مرحلة انتقالية إلى عصر تطوير مختلف القطاعات، من الاقتصاد، إلى الزراعة، والتربية، فالتعليم، كما أنه شهد ازدهاراً في قطاع البناء، والعمران، وجميع مكوّنات البنية التحتية للبلدان الحديثة، حيث تروي صور المعرض قصّة تطور المدينة، سواءً من خلال توسّعها الحضري، أو من خلال نموّها الاقتصادي، وارتقاء المستوى المعيشي فيها، وأمور أخرى.

وقد وثق لنا «التميمي» فترة نشوء مباني الجيل الأول المكوّنة من 5 إلى 10 طبقات، التي سبقت ناطحات السحاب الشهيرة التي شكّلت خط أفق المدينة كما نعرفها اليوم، مثل برج «كابيتال غيت» بتصميمه المائل غير الاعتيادي، وأبراج الاتحاد بهيكلها

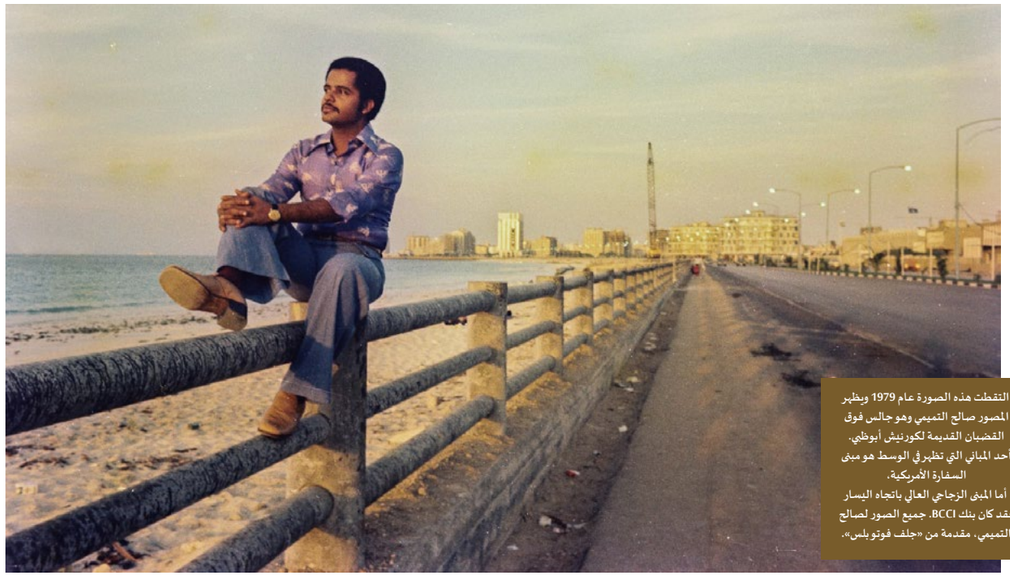

التقطت هذه الصورة عام 1979 ويظهر المصور صالح التميمي وهو جالس فوق القضبان القديمة لكورنيش أبوظبي. أحد المباني التي تظهر في الوسط هو مبنى السفارة الأمريكية.
أما المبنى الزجاجي العالي باتجاه اليسار فقد كان بنك BCCI. جميع الصور لصالح التميمي. مقدمة من «جلف فوتو بلس».

التقطت هذه الصورة في عام 1978 من سطح ADMA-OPCO. في ذلك الوقت كانت مباني أبوظبي تتكون في الغالب من 5 إلى 7 طوابق باستثناء المباني الواقعة على طريق المطار والتي ترتفع إلى مابين 10 إلى 11 طابقاً.

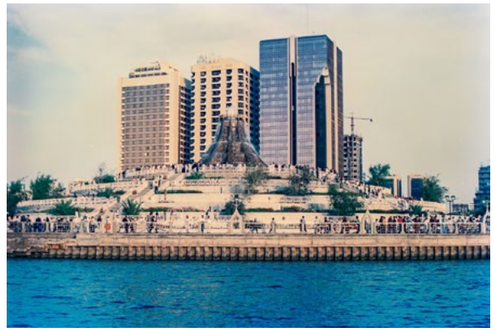

قمت بالتقاط هذه الصورة خلال عملي في أدكو (أدنوك الآن) كنت في رحلة بالقارب الشراعي مع عائلتي من الميناء إلى فندق الهيلتون. عند وصولنا، اعتقدت أن هذا سيكون الوقت المثالي لالتقاط صورة للنافورة.

واعتبرت وسائل إعلام عالمية بينها (CNN) أن مجموعة صور معرض «استعارات من الماضي» لليمني صالح التميمي، هي بمنزلة سفر عبر الزمن لاستحضار مشاهد حيّة لمدينة أبوظبي في فترة السبعينيات وما بعدها.

وفي حديثه لشبكة (CNN)، قال المصوّر اليمني صالح التميمي، إنه حين انتقل للإقامة في أبوظبي وهو في العشرينيات من عمره، لم يكن يتوقع أن تُصبح العاصمة الإماراتية منزله للعقود الخمسة اللاحقة، وأنه كثيراً ما أحب التجوال في المدينة مع عدسته.. وأن ذلك التجوال منحه فرصة فريدة لتوثيق أبوظبي من منظوره، وفي حوزته حالياً أرشيف من الصّور تتضمّن مشاهد تثير مشاعر

ربما تكون هذه إحدى أقدم الصور في مجموعتي. فهناك العديد من القصص والتطورات في هذه اللقطة الواحدة. تم التقاط هذه الصورة في عام 1978 من سطح مركز تدريب ADMA-OPCO حيث كنت متدرباً. الهيكل الموجود في المنتصف باتجاه اليسار كان مركز شرطة أبوظبي على الكورنيش. قطعة الأرض الرملية قبل البحر مباشرة كانت فارغة قبل بناء النافورة. في نهاية الصورة يوجد الآن سوق مينا للخضروات.

الحنين إلى الماضي، والدّهشة في الوقت عينه نظراً للتطوّر الذي اختبرته المدينة.

وقد تزامن انتقال المصوّر اليمني صالح التميمي للإقامة في أبوظبي، مع فترة تأسيس دولة الإمارات، وأنه نشأ مع فترة النمو والتطور التي شهدتها البلاد في تلك الفترة، وبحسب قوله فإنه يتذكر مشاهدته للاحتفال باليوم الوطني الخامس لدولة الإمارات العربية المتحدة.

يقول صالح التميمي المقيم في الإمارات منذ السبعينيات، أنه بعد 4 عقود من إقامته في الإمارات، راح يقلب في أرشيف ذكرياته، وحينها عثر على ألبوم صور معرضه «استعارات من الماضي»، ولم يصدق حين رأى تلك الصور بعد عقود من التقاطها أن مدينة أبوظبي نمت وتطورت بتلك الوتيرة السريعة وذلك بحسب قوله.

قام بتصوير نمو أبوظبي منذ أن كان شاباً ويمتلك الآن مجموعة كبيرة من الصور الأرشيفية إلى جانب ثروة من المعرفة حول التحول الحضري للمدينة. عمل التميمي في أدنوك (شركة بترول أبوظبي الوطنية) لأكثر من 45 عاماً ويكرس وقته الآن لتصوير جوانب مختلفة من الحياة بعد التقاعد.

وعن علاقته مع التصوير الفوتوغرافي يقول: «كنت واحداً من قلة من الأشخاص الذين امتلكوا كاميرا فيلم في ذلك الوقت. اكتشفت أبوظبي من خلال الصور. بعد أربعة عقود، بينما كنت أبحث في الألبومات خلال تنظيف غرفة التخزين في منزلنا، عثرت على هذه الصور ولم أصدق الوتيرة التي نمت بها أبوظبي. نعم، لقد شاهدت هذا التغيير كوني كبرت في هذه المدينة، لكن كان الأمر مختلفاً عند مشاهدة كل ذلك بأثر رجعي. في تلك اللحظة

تُظهر بعض الصور الحديثة للبمبي كيفية تطوّر أبوظبي على مر العقود، ويمكن رؤية الفرق في هذا المشهد الذي التقطه لشاطئ الكورنيش منذ فترة قريبة.

قررت العودة إلى المواقع نفسها بالضبط وإعادة تصوير النسخة المزدهرة لبعض شوارع ومباني أبوظبي الشهيرة».

كان اقتصاد الإمارات قبل اكتشاف النفط في الخمسينيات من القرن الماضي يعتمد على تجارة اللؤلؤ وصيد الأسماك. وشكّل اكتشاف النفط في أبوظبي عام 1962 نقطة تحوّل كبرى في تاريخها، ودخل المجتمع والاقتصاد مرحلة تحولات كبيرة، وفي عام 1971 تم تأسيس شركة بترول أبوظبي الوطنية «أدنوك».

خاصة وأن الصور تُظهر كورنيش أبوظبي وقد تغير تماماً خلال هذه العقود، حيث أدى استصلاح الأراضي إلى مزيد من التطوير على الكورنيش مع إضافة الشواطئ العامة والفنادق والمطاعم، وتُظهر الصور في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات عندما كانت أبوظبي تتوسع على خلفية الطفرة النفطية، حيث تطورت

التقط صالح التميمي هذه الصورة في مطلع الثمانينيات، وهي تُظهر قصر الحصن. وكان قصر الحصن يتكوّن من برج مراقبة واحد، ولكنه سرعان ما تطوّر ليصبح مقر السلطة.

يُذكر أن معرض 421 الذي استضاف عرضاً لألبوم صور المصوّر اليمني صالح التميمي، كان قد افتتح عام 2015 كمساحة ثقافية تشجع على التعبير الفني، وتدعم المفاهيم الفنية لتعزيز إبداع المجتمع الإماراتي. كما يعد منصة للفن والثقافة والتصميم والإبداع أيضاً وعروض الأداء والموسيقى لفنانين ومصممين ومثقفين من داخل الإمارات العربية المتحدة وخارجها.

ويتيح المعرض للزوار تجربة العديد من المجالات المختلفة من خلال المعارض والبرامج الثقافية والمشروعات الفنية. ويقدر قيمة التعبير الفني للمجتمعات المحلية، ويستكشف التحول المستمر للمجتمع الاماراتي، ويسبر أغوار دقة وجمال الفن الإماراتي الملموس وغير الملموس، ويجلب معارض جديدة وفنانين جدداً. ليس لمجرد تقديم مجموعة عربضة من الأعمال الفنية فحسب، بل للمساهمة في الخطاب العام والأنشطة التفاعلية والتطوير الإبداعي للمجتمع أيضاً.

العمارة وظهر عدد من البنايات المعروفة في المدينة من بينها المقر الرئيسي لبنك BCCI - بنك الإمارات، الذي يتميز بغطاء خرساني أبيض وألواح زجاجية، وفندق هيلتون أبوظبي (راديسون بلو حالياً) الذي افتتحه صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله وطيّب الله ثراه - في عام 1973 ■

إعلامي مصري

أبوظبي قديماً

أبوظبي.. لمحات تاريخية ومشاهد راسخة

مريم سلطان المزروعي

دولة الإمارات العربية المتحدة تقع في الركن الشرقي والجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، ما جعل مناخها يكتسب صفات قارية صحراوية، تتميز بارتفاع في درجات الحرارة وندرة موارد المياه، ولقد تركزت أماكن الاستقرار في المناطق التي يتوافر فيها الماء والتربة الصالحة للزراعة والري خاصة في الواحات، فكان على البدوي أن يتحدى الصحراء والظروف حتى يستطيع أن يصل إلى بر الأمان هو وأسرته.

أبوظبي مدينة التميز والحضارة، تميزت بوجود صرح شاهد وقوي وهو الحصن أي (قصر الحصن)، وتعريف الحصن في مختار الصحاح بأنه: «واحد من الحصون، ويقال حِصْنٌ حَصِيْنَ، وحصّن القرية تحصيناً بنى حولها ما يحميها وتحصّن العدو»، والحصن اصطلاحاً: «أكبر الاستحكامات الحربية وأمنعها، وهو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها ويحصّنها ضد أيّ اعتداء من داخل البلاد أو خارجها، ولذلك كانت أسوار المدن تعرف في العصور الوسطى باسم الحصون». إن تحصينات أبوظبي تميزت بطرازين معماريين، الأول أطلق عليه «الطراز الصحراوي»، ويتميز بعناصره المعمارية بالطابع المميز لتراث صحراء شبه الجزيرة العربية، وتأثره بالطراز المعماري للبنّائين البدو الآتين من مناطق نجد واليمن، وهو طراز شاع في المناطق الداخلية من الإمارة. وتميزت التحصينات التي شيّدت على هذا النمط بمساحتها الكبيرة، وبساطة التصميم الداخلي، واستخدام مواد بسيطة في البناء، مثل أحجار الجبال والطوب اللبن غير المحروق، وقلة الزخارف، وتنتمي قلاع منطقة العين إلى هذا الطراز الصحراوي. أما الطراز الثاني فقد أطلق عليه «الطراز الساحلي»، وتأثر بالبيئة البحرية للخليج العربيّ بشكل عام، وشاع في المناطق الساحلية من الإمارة. واحترف البنّاؤون المهاجرون من سواحل الخليج العربي من الجزر العربية وسواحل بلاد فارس هذا الطراز، ويتميز باستخدام مواد مستخرجة من البحر، مثل الحجر المرجاني، واستخدام الجصّ للتغطية وكمادة لاصقة، والطين المخلوط

قصر الحصن

بالتبن المسمّى بـ(الصاروج)، واستخدام عناصر معمارية وافدة من بلاد فارس، مثل: البراجيل (أبراج الهواء)، والأواوين، والأعمدة وتيجانها وقواعدها، والأقواس المزخرفة، وهو طراز ثري بالزخارف الجصّية، والمصنوعات الخشبية المتأثرة بالفنون الفارسية والهندية. وقد شهدت فترة الستينيات من القرن العشرين مولد «أبوظبي الحديثة»، فبعد اكتشاف النفط عام 1958 وتصدير أول شحنة عام 1962م، تغيّر وجه الحياة جذرياً في أبوظبي وتحولت من إمارة محدودة الموارد وغير معروفة للأغلبية العظمى من الناس في الوطن العربي إلى واحدة من أسرع المدن نمواً وأكثرها استقطاباً للقوى العاملة. يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - مقولته المشهورة: «إن شعب أبوظبي يجب أن يجني ثمار الثروة الطبيعية التي منحه الله إياها والتي تتمثل في عائدات البترول مصدر الدخل الرئيسي، إن مشروعات الخدمات والصناعة لا تتحمل الانتظار ويجب أن تسعى الأجهزة والدوائر كلها لإنجاز ما تستطيعه من مشروعات في أسرع وقت ممكن». ويذكر السيد حمدان غانم الفلاحي في كتاب ذاكرتهم تاريخنا3: «كان أغلب أهل البر وأهل البلاد في أبوظبي يسكنون في منطقة طريف، وكانت طريف في الستينيات مهيأة لأن تكون مدينة كبيرة؛ فقد كانت تضم الناس وشركات البترول، وأصحاب سيارات الأجرة... والآن ليس بها سوى العسكر والدكاكين، وعندما كنت أعمل في المجلس البلدي في بلدية أبوظبي كنت أريد أن يبنوا منطقة طريف؛ فطلبت من المجلس البلدي أن يساعدونا ويقيموا بيوتاً شعبية وتستوطن طريف، وترجع مثل الماضي، وهي على البحر، وفائدة البحر أكثر من البر، ففي البر نعيش على الإبل وعلى الغنم فقط، أما البحر ففيه الكثير من الخيرات فمنه نصيد السمك ويستفيد منه الناس، والجزر معروفة، وهي مناطق سياحية أيضاً ويجب أن تستوطن ولا تترك مهجورة».

إن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - أسهم في الكثير من الأعمال التي استطاع فيها أن يطور أبوظبي ويجعلها نواة بأساسها القوي حتى تنمو وتصبح كما هي الآن في مصاف الدول العظمى، فقد اكتملت مشاريع البنية التحتية في أواخر عام 1970م. ويذكر السيد سعيد بن جابر: «لقد تطورت الإمارات كثيراً عما كانت عليه في الماضي؛ فمنذ أن حكم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إمارة أبوظبي، حدثت تغييرات في معالم كثيرة ودخلت عهد التطور والتغيير والازدهار وأصبحت مكاناً جذاباً للعيش الأفضل، أذكر أن العرب كانوا يمرون على أبوظبي ولا يستطيعون المكوث فيها والمبيت غير فترات قليلة لا تتعدى اليومين، أما الآن فالناس تتمنى المبيت فيها والعيش بين ربوعها». وتذكر السيدة رفيعة محمد الخميري: «ولدت وعشتُ في مدينة أبوظبي، في بيوت كانت على شاطئ أبوظبي، وأقمت بين ربوعها وأحيائها، أسرتي ومعارفي وجيراننا سكنوا في منطقة بين شارع حمدان وشارع زايد الأول حالياً الذي كان يعرف قديماً بشارع ألكترا وفي أواخر السبعينيات من القرن الماضي انتقلوا إلى مناطق جديدة، انتقلوا للسكن مقابل قصر الشيخ محمد بن زايد آل نهيان كعائلة هامل الغيث، وعائلة عبدالجليل الفهيم وإخوانه. والدي عمل في شركة أدما

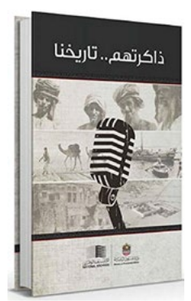

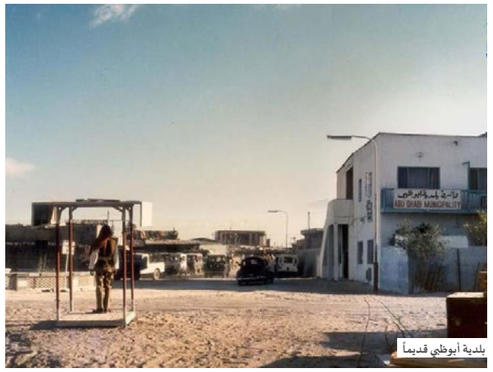
بلدية أبوظبي قديماً

البترولية، في فترة الخمسينيات نحو إحدى عشرة سنة، ثم عمل في دائرة الماء في فترة السبعينيات، وأذكر أنه انتقل إلى رحمة الله وهو يعمل في هذه الدائرة، كما كان سعيد عتيق الخميري مدير الدائرة. وكانت أول عيادة في أبوظبي بالنسبة لي عيادة أدما وقد كانت قريبة من مبنى الاتصالات، وهذه العيادة تأسست أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات. وفي مستشفى الواحة بالعين كانت تعالج المرضى الطبيبة ماريان (الدكتورة مريم) وزوجها بات الكندي الجنسية. البيوت التي كنا نسكنها كانت عبارة عن حوطة سور كبير الحجم، والبيوت حولنا تحوطنا من كل جهة وصوب، وكل بيت لابد أن يحتوي على مخزن، ولم يكن لكل شخص حُجرة مستقلة، فالصغار لهم حُجرة، والكبار لهم حُجرة، وأمام الخيمة يصنعون لهم «عريش» و«بارجيل»، يستخدمان عند ارتفاع الحرارة في الصيف، وكان سوق أبوظبي مجموعة من الدكاكين المبنية من الجص والحصى ولم نكن نعرف الطابوق، وكان الباعة يضعون بضائعهم أمامهم، أو تكون مغطاة باليواني.

وعندما حكم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله تعالى - إمارة أبوظبي قبل قيام الاتحاد طلب من الأهالي إلحاق أبنائهم وبناتهم بالمدارس، وأذكر أول مدرسة كانت المدرسة الفلاحية قرب شاطئ البحر والقنصلية البريطانية وكانت مبنية من الطابوق ومقسمة إلى صفوف في الداخل، ومقابل شاطئ البحر، وبفضل الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - تغيرت أبوظبي وأصبح البيت الواحد خمسة بيوت ولكل أسرة من عائلتي بيت تستقر فيه». يقول سعادة سيف سلطان السماحي: «لقد عملت في شركة المسعود المعنية ببناء البيوت الشعبية وأذكر بأن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - قد أمر أن يتم بناء البيوت الشعبية في إمارة الفجيرة قبل إمارة أبوظبي ومدينة العين، وكان هذا في عام 1966م، انتقلت بعدها الشركة للعمل في مدينة العين وتسلمت مشروع بناء 100 بيت شعبي في منطقة الجاهلي عند مستشفى الواحة، وبعدها انتقلنا إلى مدينة أبوظبي سنة 1969، وهي حالياً مدينة زايد التي تقع عند شارع حمدان، اذكر جيداً كان عدد البيوت 200 بيت، وكنا نسكن في منطقة النادي السياحي. أما قيام الاتحاد فله ذكرى خاصة لا تغيب عن الأذهان، فقد كنا نرتقب الساعات والدقائق بانتظار إعلان الخبر وقيام الدولة، أشعر بالسعادة الغامرة لمشاركتي هذه اللحظة العظيمة، لأني كنت مشاركاً عن إمارة الفجيرة في مجلس التطوير في مدينة أبوظبي».

لقد تميزت مشاريع البنية التحتية لإمارة أبوظبي بالجودة والاستدامة، فقد حصلت على المركز الأول على مستوى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والمركز الحادي عشر عالمياً في مؤشر البنية التحتية في عام 2022؛ حيث تعتبر خطة أبوظبي إطاراً متكاملاً يساعد على اتخاذ قرارات مستنيرة في التخطيط تأخذ في الاعتبار البيانات البيئية والاجتماعية والاقتصادية، كما يوفر إطاراً مرناً ومستداماً قابلاً للتكيف مع جميع التغييرات، وتركز مبادرة استدامة على أربع ركائز للتخطيط الحضري بالتنسيق مع الوكالات الحكومية والمطورين، كإطار تنظيمي وقانوني للمساعدة في إنشاء نموذج للتنمية الحضرية المستدامة في أبوظبي. فقد تم الاعتراف بأبوظبي كعاصمة عربية مستدامة من خلال تبنّي برنامج الاستدامة والبرنامج الأمريكي للتيسير الذي صنف أبوظبي كواحدة من أكثر عشر مدن مستدامة في العالم.

كاتبة وباحثة إماراتية

معالم عمرانية أصيلة في الشارقة

ثلاثة مبانٍ سبعينية بطرز عمرانية متنوعة تحمل رسائل مختلفة

نوزاد جعدان

تحظى إمارة الشارقة بمكانة عالمية على الصُّعُد كافة، ولا سيما في مجالها الثقافي والعمراني، مستندة بصلابة على موروثها الجمالي والحضاري والإنساني؛ بحيث تقف مبانيها وصروحها العمرانية شامخة، تمتزج فيها المعاصرة بالأصالة، والقديم بالحديث، وبالتالي، شاهدة على النهضة التي تعيشها الإمارة بتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة.

وتعتبر المباني في الإمارة منارات ثقافية وحضارية، تعكس صورة مشرفة عن الصنعة الهندسية المتقنة وتسهم في تعزيز الرسالة الحضارية للإسلام ومد جسور التقارب الثقافي والحضاري بين مختلف الثقافات والشعوب حول العالم. وتمزج تصاميمها بين التراث الإسلامي على مختلف أنماطه والطابع الجمالي والفني للعمارة الحديثة بمختلف أنواعها مع التأكيد على الهوية الإماراتية المحلية في مختلف أجزاء البناء الداخلي والخارجي لهذه المباني.

هذا ما تعيشه الشارقة التي تشهد نمواً يتجلى بالتمدد العمراني والتنوع الاقتصادي حتى أصبحت الوجهة المفضلة للكثيرين. وبالتالي، تنوعت مبانيها ما بين مبانٍ عمرانية تخدم الدوائر الحكومية والمجتمع ومرافق ومنشآت خدمية، فتجاوز عدد مساجدها الثلاثة آلاف، كما بلغ عدد صروحها الخلّابة ونصبها التذكارية التي تحكي كل منها جزءاً من تاريخ الإمارة ما يقارب العشرين نصباً تذكارياً وكما تنتشر في رباها المروج الخضراء ليصل عدد الحدائق إلى ما يوازي المئة حديقة.

هذه الشواهد الحضارية والمعمارية التي استُخدمت فيها أساليب بارعة، وجرى الاهتمام فيها على التفاصيل الدقيقة، تنم عن الذوق الفني الرفيع المستوى، وتمثل بمجموعها ازدهاراً وشاهداً مميزاً يبعث على الفخر والاعتزاز. تتجلى فيها روعة الخطوط والكتابات المنقوشة من آيات قرآنية وأشكال هندسية متداخلة بالغة الدقة والإتقان، مع زخرفة واجهات الأبواب والنوافذ، وجوانب الغرف وقاعات المباني المعمارية.

الشارقة الإمارة الشاهقة والمشرقة بمجالاتها كافة تحفة تلفت الأنظار في كل مَعْلَم من معالمها، وتسحر العيون في كل جزء من تفصيلاتها، هذه النهضة الحضارية للإمارة مع مطلع السبعينيات شهدت بناء صروح معمارية بقيت شاهدة إلى الآن على نقلتها النوعية ولعل من أبرز هذه المعالم السوق المركزي في الشارقة ومبنى قاعة أفريقيا ومبنى الطبق الطائر.

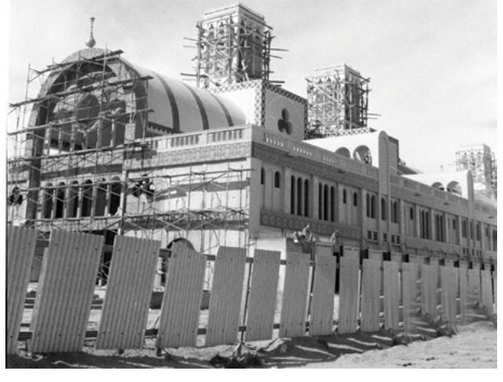

قاعة أفريقيا

وتعد قاعة أفريقيا من المباني البارزة على نهضة الإمارة فقد أدت منذ تأسيسها عام 1976 دوراً كبيراً في تفعيل الحراك الثقافي للشارقة، بوصفها المنصة الأساسية التي احتضنت تاريخياً مختلف التعبيرات الثقافية والفنية، آنذاك، من المسرح والشعر والندوات والمؤتمرات وسائر الفعاليات الأخرى ولاتزال القاعة إلى الآن تحتضن الأنشطة الثقافية كافة. ويعبر هذا المبنى عن مشروع الشارقة الثقافي المنفتح على مختلف الثقافات الإنسانية، لاسيما الثقافات التي تزخر بها المنطقة، ومن ضمنها الثقافات الأفريقية التي نالت حظوة في الحراك الثقافي المحلي منذ مطلع السبعينيات حتى الآن.

واحتضنت قاعة أفريقيا في مسيرتها التي تقارب الخمسة عقود معارض الكتب والفن التشكيلي والمحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية والموسيقية والعروض السينمائية والبرامج التلفزيونية، إضافة إلى المهرجانات والملتقيات والدورات والورش الثقافية والاحتفالات الوطنية وفعاليات الجاليات العربية والأجنبية والأسابيع الفكرية والثقافية العربية والعالمية التي تنظمها المؤسسات على مستوى الدولة، كما أن هناك برامج مهمة صورت حلقاتها في قاعة أفريقيا مثل «برنامج نادي الأطفال» الذي قدّمه بابا ياسين، وبرنامج المسابقات الثقافي «سين جيم» الذي كان يقدمه الإعلامي شريف العلمي. وقاعة أفريقيا هي المنصة الأولى التي تبلورت بين جدرانها الكثير من المبادرات والفعاليات الثقافية والفنية التي نراها ماثلةً بيننا الآن، وتوالدت منها الكثيرُ من المؤسسات والمرافق الثقافية التي تشكل الهويةَ المعمارية والحضارية للشارقة، كما أنها احتضنت كثيراً من العروض المسرحية والملتقيات والندوات والأمسيات

ميدان الساعة في الشارقة في السبعينات

الشعرية، وكانت المنبرَ الأبرز الذي استضاف أهمّ القاماتِ الثقافية العربية من شعراءَ ومفكرينَ ومثقفين، وشكّلت الشارقة محطةً فارقةً في مسيرتهم الإبداعية. وسميت القاعة «أفريقيا»، تكريماً للمثقفين الذي شاركوا في أول مؤتمر عقد في القاعة وهو مؤتمر العلاقات العربية - الأفريقية، وهناك الكثير من الشخصيات البارزة العالمية والإقليمية التي مرت بقاعة أفريقيا وتركت بصمتها، ومنهم الأدباء العرب، مثل: محمود درويش، ونزار قباني، وعبد الوهاب البياتي، وعبد الرحمن الأبنودي، وسعد أردش، أما القيادات السياسية وتحديداً الفلسطينية فكان أبرزهم الرئيس الراحل ياسر عرفات، والرئيس الفلسطيني الحالي محمود عباس، ومن الأدباء الإماراتيين: الشاعر راشد بن طناف، وربيع بن ياقوت، وحبيب الصايغ، ومحمد المطوع، وغيرهم

الكثير.وتم تزيين الجدران بالعقود والمشربيات المصممة على الطراز الأندلسي كما روعي في التصميم التخطيط الهندسي والتنظيم الرياضي للفن الإسلامي القائم على ترابط العلاقات الهندسية المجردة، كما تحاط بالأقواس مشربيات تضفي على الأعمدة جمالاً أخاذاً، لينصهر ذلك كله، مع النقوش الإسلامية، أما الديكورات الداخلية للقاعة، فقد استُخدم في تشكيلها الرخام، والمنحوتات الزخرفية الإسلامية المعقدة التي تعطي في شكلها النهائي لوحة فنية من لوحات الفن الإسلامي المميز عن غيره من الفنون، كما استخدمت تصاميم نباتية دقيقة لتزيين جدران القاعة وأعمدتها، فضلاً عن استخدام الرخام ونقوش الموزاييك بشكل متقن. مبنى قاعة أفريقيا يجمع الماضي بالحاضر الأصالة بالحداثة، ليشكل لوحة فنية إبداعية غاية في الروعة والجمال تعكس العمارة الإسلامية بتفاصيلها كلها، لتتجلى للناظر على شكل تحفة فنية متناغمة تفوق الوصف وتبهج النفس، وما إن تلج المبنى لتجد نفسك أمام رقي التصميم وفخامته ودقة التنفيذ وتمازج الألوان والزخارف والخطوط والديكورات والأعمدة والنوافذ والسقوف والثريات فكل مفردة من تلك المفردات تشكل وحدها قصة جمالية تعكس روح العمارة الإسلامية وكلها مجتمعة تشكل مستوى عالياً من الذوق الهندسي.

السوق المركزي

وليس بعيداً عن قاعة أفريقيا يقع السوق المركزي الذي يشكل هويةً تميز الإمارة أيضاً لتصميمه الفريد على طريق الملك فيصل، الذي يعود تاريخ بنائه إلى عام 1976، ويعتبر هذا السوق تحفة معمارية ومن أروع المعالم في الشارقة، وبني على نمط محلي، واستخدمت فيه المفردات الزخرفية والمعمارية الخليجية بشكل رائع لاسيما مصائد الهواء (البراجيل)، الذي هو برج مربع له أربع فتحات موجهة إلى الجهات الأربع، فإذا ما هبت الرياح من الشمال دخلت من الفتحة الموجهة إلى الشمال. بينما الفتحة الجنوبية وهي الفتحة المعاكسة لحركة الهواء، تساعد في إخراج الهواء الحار من الحجرة تلقائياً.

قسم الكسوة - متحف الشارقة للحضارة الإسلامية

ويتألف السوق من جناحين رئيسيين لبناية مكونة من طابقين يشتملان على ثمانية قطاعات ويتصلان بجسرين ممتدين يربطان بينهما، يطل أحد هذين الجناحين على بحيرة خالد مباشرة بينما يطل الجناح الآخر على شارع الملك فيصل، ويبلغ عدد المحلات التي يضمها السوق ستمئة محل ويستقطب السوق الزوار الراغبين في التسوق في أجواء من العراقة نظراً لشكله المعماري النادر المستمد من التراث المعماري الإسلامي، حيث يعد تحفة معمارية حقيقية، كما يستقطب السوق المجموعات السياحية الأجنبية، خاصة الراغبين في شراء التحف والهدايا التذكارية والمشغولات الذهبية والملابس وغيرها، وتعكس الأقواس والبلاط الكلاسيكي ذات اللون الأزرق الذي يزين جدران السوق الخارجية روعة وفن العمارة الإسلامية، وقد التقت على سطحه مع التراث الإماراتي القديم الذي تجلى في أبراج البراجيل التي كانت تستخدم قديماً كوسيلة تبريد تقليدية، حيث يبلغ عدد البراجيل الموجودة فيه 22 برجيلاً صبغت جميعها بلون الصحراء الطبيعي، أما على المداخل فكانت نوافير المياه تأخذ مكانها لتكمل جمالية المشهد. والعبور من جناح إلى جناح آخر للسوق عبر الجسور يثير دهشة الزائر وانتباهه، حيث يصادف دهاليز وأروقة مزدانة بما يعجب الناظر من تحف وأحجار كريمة،

منطقة الشارقة التراثية

وبعد أن يصعد المتجول بالسلم المتحرك، سيعثر في السوق العلوية على مجموعة من المحال متجاورة في رواق طويل على كلا الجانبين للسوق الواحدة، إلى جانب تلك المحال التي تقع في دهاليز الجسر العلوي، وتعرض المحال بضائع من مختلف أنحاء العالم، ومنها الأحجار الكريمة الأصلية والمصنعة من الفضة والذهب، وأماكن لصناعة المجوهرات بالطرق الحرفية القديمة. أما محبو السجاد العجمي أو الفارسي سيجدون تشكيلة من السجاد الحريري الكشميري تنافس السجاد العجمي إلى جانب منتجات من أفغانستان وتركيا، وتلك المصنوعة في مصانع عربية أيضاً، وبقربها المطرزات التي تزين القصور والبيوت، مثل اللوحات المشغولة باليد، ومفارش الطاولات وغيرها من المشغولات اليدوية. كما توجد محال عدة تعرض بضائع أصلية من التحف القديمة التي توارثت من جيل إلى آخر، وفي النهاية قرر أحدهم بيعها ولذلك يعتبر السوق فرصة للبحث عن كنوز ثمينة، مثل العملات الأثرية والبنادق والسيوف والخناجر والقلائد الآتية من اليمن وغيرها من الدول العربية.

الطبق الطائر

ومن المباني التي سبقت عصرها في الشارقة مبنى الطبق الطائر الذي يعتبر أحد أشهر المباني التي كانت لها بصمة خاصة في وجدان رواده من مختلف الأعمار، فقد تم افتتاحه عام 1978 مستمداً تصميمه من مزيج استوعب تأثيرات «الهندسة الوحشية» ومن فلسفة العمارة الحرّة ذات البعد الغرائبي والمستقبلي، وتشمل عناصره التصميمية البارزة، قبة دائرية واسعة تطفو على حلقة مؤلفة من ثمانية أعمدة، ومظلة على شكل نجمة تلقي بظلالها على واجهة بانورامية مزججة بالكامل،

تحظى إمارة الشارقة بمكانة عالمية على الصُّعُد كافة، ولا سيما في مجاليها الثقافي والعمراني، مستندة بصلابة على موروثها الجمالي والحضاري والإنساني؛ بحيث تقف مبانيها وصروحها العمرانية شامخة، تمتزج فيها المعاصرة بالأصالة، والقديم بالحديث

ويمتد الهيكل الدائري المستقبلي الشكل مع القبة ويتميز بواجهة زجاجية كاملة مع أعمدة مائلة على شكل حرف" V"، ما يشكّل تصميماً داخلياً بانورامياً. وارتبط طويلاً المبنى مع القيم الفنية والمجتمعية لسكان إمارة الشارقة، حيث إن تصميمه المعماري تم استلهامه من خبر ظهور صحن طائر دائري الشكل، يمتلك حوافاً مضيئة ومركزاً مظلماً فوقه قبة، وقيل إن هذا الطبق شوهد في سماء مدينة دبي، بالإضافةً إلى ذلك، استوحي تصميمه المعماري من الأدب الغربي في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي خصوصاً أن موقعه الجغرافي في قلب المناطق الحديثة بالإمارة، والمتصلة بشارع حيوي يؤدي إلى دبي، أضفى على المبنى بُعداً بانورامياً يجمع المكان الواقعي بالآخر الافتراضي، كما تعبّر واجهاته الزجاجية وأعمدته الإسمنتية عن العلاقة الجمالية بين الثيمات المتضّادة مثل الإضاءة والعتمة، والصلابة والرهافة، والغموض والشفافية.

وللتاريخ، تمر الشارقة بنهضة ثقافية وعمرانية ستكون الأبرز في مسيرتها، فالسيمياء العمرانية التي تشهدها في مبانيها يوازيها سيمياء ثقافية تؤكدها إصداراتها وفعالياتها التي لا تتوقف ■

كاتب وشاعر سوري

الطبق الطائر

الجزيرة الحمراء

ذاكرة عمرانية متجذرة منذ قرون

لولوة المنصوري

يُقال إنه يعود تاريخ تشييدها في إمارة رأس الخيمة إلى أكثر من 200 عام، إلا أنه من المؤكد أن الجزيرة الحمراء ضاربة في جذور التاريخ، ولا يمكن أن يتم إصدار حكم زمني حاسم حول حقائق البناء الأول مالم ينتهِ علماء الآثار من عمليات التنقيب، فلقد تم مؤخراً إدراج القرية ضمن قائمة اليونسكو، وبالكاد تشهد هذه القرية بدايات التنقيب والبحث في أغوارها عن مصدر مؤكد للولادات البشرية على أرضها. أقول لايمكن أن نحدد للقرية انتماءً زمنياً؛ الشاهد هي تفاوت التشكيل العمراني للمنازل والمساجد، فقد بُنيت أغلبها بصورة تقليدية مثل البيوت المبنية قبل قرن أو قرنين، وهناك بيوت تمتزج مع الشكل العمراني القائم في أزمنة الغوص، كما أن هناك بيوتاً تأخذ الطراز الستينيّ. تعد الجزيرة الحمراء واحدة من أفضل المناطق لدراسة الهندسة المعمارية للقرى التراثية المبنية من الحجارة المرجانية التي استخدمت على طول ساحل الخليج العربي. كما أن هناك آثاراً مدفونة لمجموعة من القلاع والحصون والأبراج ، وتتألف آثارها المكتشفة من مجموعة مبانٍ تراثية، بينها مساجد ومحال تجارية وسوق صغير ومدرستان وقلعة دفاعية. وقد اكتشف فيها ركام ضخم من الهياكل والأسطح الخارجية، إضافة إلى أدوات من الصوان والخرز وشباك الصيد، ما يدل على انتعاش الأنشطة الإنسانية التي كانت سائدة فيها.

فيما أعمال البحث والتنقيب مستمرة لتكوين تصوّر افتراضي لما كانت عليه، مع الاستعانة بواقع الأقنية التي تدل على طبيعة الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الزمن، حيث عاش سكانها على الصيد وتجارة اللؤلؤ، ولا يزال أكثر من 100 منزل موجود فيها بوضعه الأصلي نسبياً، كما تكشف البيوت المبنية من الحجارة المرجانية عن مفردات جمالية على طول الجدران وعند الشرفات.

الطراز الصوفي

يبدو للزائر منذ الوهلة الأولى لعبوره قرية الجزيرة الحمراء الساحلية المهجورة في إمارة رأس الخيمة أن هناك نفحة روحية صوفية طوافة في المكان، بدءاً من النفحة المقدسة المتراكمة للجمال المهجور، ومروراً بوهج المعمار الصوفي البسيط على أغلب المنازل والمساجد والأزقة وعتبات البيوت. وقد يستغرب الزائر من العدد الهائل لتلك المساجد القديمة المتنوعة في

طرازها والتي مازالت هياكل مآذنها قائمة حتى الآن من أموية ومملوكية وشبه عثمانية، فهي بالكاد تتلاق في بنائها الهندسي. ورغم أن القرية باتت مهجورة تماماً فإن ملامحها الأصيلة مازالت عالقة في الزوايا والسكك والفناءات، بل إن هناك سحراً خاصاً وغامضاً ينضح على امتداد الحواس وتأهب النظر لما وراء الطبيعة.

إن الفن المعماري في هذه القرية حدسي بامتياز، يتوارى بخفة ضمن الركام والغبار واللقى الأثرية وسيرة الرحيل وحقب مديدة من التجارة والسفر والتواصل الحضاري مع الموانئ والقوافل وعابري السبيل والفرق الصوفية الحدَّادية التي تعود إلى أيام القطب عبد الله الحداد في القرن السابع عشر. وقد أرّخ الباحث الإماراتي الراحل أحمد راشد ثاني جزءاً مهماً من سيرة المكان؛ إذ أتى على ذكر الجزيرة الحمراء وصلتها بالحركة الصوفية في كتابه: (رحلة إلى الصبر)، ذاكراً أن «ضريح زين العابدين بن عبد الله الحدّاد كان في الجزيرة الحمراء وعليه قبة، وكان شمسياً. كما كان يزور الضريح العديد من المريدين والأهالي، بل إن هناك من يُفضل دفنه عند هذا الضريح، ومنهم الولي نور الدين علي وهو أحد أبناء الحسين بن عبد الله الحداد «القطب»[1].

التصور الافتراضي

اليوم لم تعد هناك قبة ولا ضريح ولا حتى إشارة إلى وجود ذلك الضريح، فلعل التنقيب الذي بدأ حديثاً ومتأخراً جداً لم يبلغ مبلغه العميق حتى الآن ولم تصل كشوف علماء الآثار إلى هذه المرحلة التي تؤرّخ ضمن القرن الثامن عشر، ومن المؤكد أن الضريح قد ناله التخريب إثر فترة التعصب الديني الوهابي الذي طال أجزاءً من الجزيرة العربية. ولكن دعونا نضع تصوراً لذلك الضريح الخاص بزين العابدين بن عبد الله الحداد، إنه يبدو في المخيلة على شكل قُبة بيضاء كُروية، موصولة من العالم الأرضي إلى العالم السماوي، هكذا تبدو القِباب الإسلامية الضريحية، وقد يحوي الضريح شبابيك وخزائن حائطية، ومدخله حتماً في اتجاه المحراب أو أحد الأضلاع الجانبية، ولا شك أن للقِباب الضريحية دلالات ورموزاً روحية يخضع لها المريد بالخشوع ويستشعر العظمة والصفاء الداخلي مُحاطاً بالإيحاء والارتقاء .

جماليات ودلالات

إن معظم المنازل بُنيت من «الأورال» البحري، وهي الشعب المرجانية والأصداف.

الأبواب المقوسة:

تكثر في الجزيرة الحمراء بيوت ذات أبواب مقوسة على شكل حدوة الحصان، والقوس رمز روحاني يعادل دلالة التأهب والاستعداد والتهيئة، وانبثاق الزائر للدخول الحُر نحو الفضاء السار والمُشرق عبر المدخل المُرحَب به، وعبر عتبة تحكي قصة التلاقي مع شعوب الأرض.

الأيقونات النباتية والطيور: تكثر هذه الرسومات على الرواشن والأعمدة ونقوش العتبات والمداخل والأبواب والسقوف الجصية والفواصل الجصية بين الغرف أو الليوان، ويبدو أنها مقتبسة من الهندسة المعمارية الهندية وغابات الهند العظيمة إثر التلاقي التجاري العريق ما بين الهند والخليج العربي منذ حقب مديدة من تاريخ الاتصال والتواصل الحضاري، فنجد بتلات زهرة اللوتس على شكل موتيفات تجريدية متناظرة.

الرموز الفلكية الإسلامية: مثل الهلال والنجوم أو الدورة القمرية وحافة قرص الشمس الدوّار المنبثق عنه دوائر صغيرة متناظرة ومتوازية: وقد تكرر ذلك التأثر بالفلسفة الشعبية الصينية عبر رموز لا مباشرة من خلال التشكيل الملخص في (التناغم) تناغم ورقتين متشابهتين واتحادهما وسط فراغ هائل، أو رموز متضادة في لونها واتجاهها، لكنها متشابهة في شكلها، كدلالة موحية بـ(القطبية) فكل الأشياء المتضادة تعطي حياة/ والتشابه وعدمه هو الشيء نفسه/ ثم إن كل الحقائق ما هي إلا أنصاف حقائق، وقد يمكن التوفيق بين المتناقضات كلها، كمبدأ أصيل في التوازن ما بين اللين واليانع.

الدوائر: كذلك نجد على الأبواب الأشكال الهندسية المتداخلة بتبسيط متناهٍ ومكرر، مثل الدوائر التي تحوي في أرحامها المربعات ويعلوها قوس مقطعي. تكرار الوحدة الواحدة والفراغ والتوريق والتسطير.

الخطوط المستقيمة: ثلاثة خطوط تأخذ شكل شعاع الشمس المخترق للدائرة (الأرض) وخاصة على مداخل أبواب البيوت.

عناقيد العنب: كما برز التأثر بالطابع البيئي اليمني عبر تنميط جمالي لرسم أوراق العنب ذات الثلاثة فصوص، وعناقيد العنب المتعانقة في انحناءات وحلزونات تتخذ شكل كؤوس مكررة.

النقط: نجدها بوضوح على شكل نقطة مركزية على باب فرعي داخل البيت، أو تبرز كمسامير دائرية تأخذ تشكيلاً منسقاً بدقة وموزعاً بين فراغات هائلة على الأبواب الخشبية للبيوت. وللنقطة دلالات روحية عميقة، فهي الوحدة التي ظهر منها كل امتداد طبيعي تصميمي للمكان والزمان والحدث، هي مركز الوجود الذي تدور حوله أفلاك الأشياء، هي الجزء العظيم الذي يتجزأ بديمومة كبيرة، وتعود الأجزاء إليه. وما الحياة إلا نقطة بين نقطتين (حياة / موت). يقول الحلاج: «النقطة أصل كل خط، والخط كله نقطة مجتمعة، فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط، وكل خط مستقيم أو منحرف هو متحرك من النقطة بعينها، وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين».

الشعاع: تتكرر الأشعة المتوازية في التشكيل المعماري وخاصة على مداخل البيوت والأبواب والممرات الفاصلة بين الغرف.

الخطوط المتموجة: تكون على شكل موتيفات مبسطة تجريدية متناظرة تشكّل إطاراً لعتبة باب مربع أو إطاراً متموجاً مقوساً للأبواب أو النوافذ أو بين ممرات الغرف والليوان. ولشكل الموجة دلالة الحركة والنشاط والتدفق، وهي مستوحية في البيوت الشاطئية من البيئة البحرية.

وقد يكون التموج الناعم دالاً على حركة التيار الهوائي وانتعاش البيت ببركة الطاقة والرزق.

الكتابة الدينية: تكثر على السقف العالي لباب البيت المواجه للفناء الخارجي والعابرين أو الزائرين، وهي متكررة بعبارات مثل: (الله أكبر)، (بسم الله الرحمن الرحيم)، وتأخذ طابعاً وظيفياً للإعلان عن هيبة أهل البيت ووقارهم وأمانهم، كما أنها بمنزلة دعوة الزائر بالتلفظ المبارك أو الاستئذان المشروع بكلمات الله قبل الدخول إلى أهل البيت.

البرج: كان البرج يشكل جزءاً رئيسياً من الوحدات الدفاعية للمنطقة، استخدمت في بنائه الدعامات الخشبية المأخوذة من أشجار المانجروف وسعف النخيل والحجارة المرجانية وحجارة الشاطئ، واستعان العمال على ترميمه عبر حقن خليط من المواد التقليدية في جدرانه، مثل الجير لتدعيم المبنى. ولم تدخل في أعمال الترميم أي مواد كيماوية أو حديثة، وذلك لمحاكاة طريقة البناء الأصلية والحفاظ على الهوية التاريخية للموقع ■

كاتبة وروائية إماراتية

الهوامش والمصادر:

1. رحلة إلى الصبر، أحمد راشد ثاني، ص 23، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2007م.
2. تصوير: لولوة المنصوري.

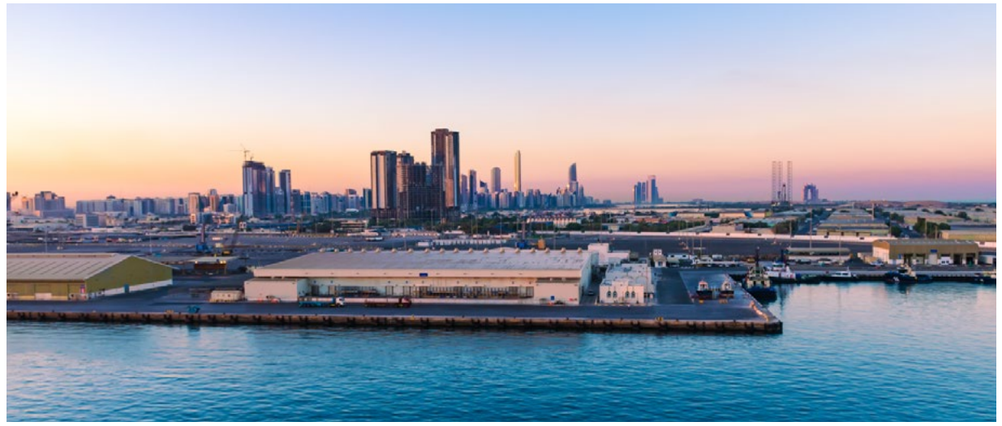

أضواء على المسيرة المعمارية في دولة الإمارات العربية المتحدة

محمد نجيب قدورة

عندما نتحدث عن المنشآت المعمارية في دولة الإمارات، فهذا بالضرورة يستدعي منا قراءة تاريخ طويل لبدايات نشأة دولة حديثة، بدأت بالتصميم على ترميم جراحات الماضي، لتنتقل إلى قفزة نوعية في البنية التحتية التي تؤسس للعبور من عصر إلى عصر، وهذا العبور يتضح من خلال استبصار ما كان، لوعي ما سيكون أولاً ثم استقراء البناء المعماري الذي رسّخ الواقع الجديد في أبهى صوره كما نراه في حاضرنا المستمر.

لم يكن الأمر بتلك السهولة أن تبدأ إمارة أبوظبي مثلاً في تطوير مطار أبوظبي وتأسيس جسر المقطع على أحدث المعايير ليكون (ميناء زايد) المعبر الثالث إلى الحداثة والعصرنة، هذه البدايات كانت نقطة انطلاق تحدد أهمية المكان الاستراتيجية، كما عبّرت عن ذلك الباحثة فاطمة المنصوري في كتابها الصادر عن نادي تراث الإمارات[1]، وبالطبع هذا النموذج المعماري سيغير الموازين عند قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة بقيادة المغفور له صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - وتنسيق الجهود الاستثنائية مع كامل إمارات

الدولة الناشئة وقطاعاتها المختلفة، بعد أن كانت الإمارات قبل الاتحاد تعتمد على المساعدات، أو لنقل على ضعف الإمكانات ومحدوديتها، وإذا راجعنا الكتب والمؤلفات والذكريات السابقة للاتحاد لعرفنا ووعينا قول المرحوم الشيخ زايد - رحمه الله تعالى - على كل الصُّعُد دعونا نجرّب.. ولا مستحيل.

هكذا كانت رحلة الانتقال بين الحجر والطين إلى ما يمكن تسميته التشكيل المتجاوز للأحلام لنسمع صوت الشاعرة عوشة بنت شملان تمجد المتغيرات بقولها:

مـــــروا على بـــرج المقاطـــــــع
فـــي مرســـدس مـــن صنـــع ألمـــــان
فـــــوق الجســـــر والسـيـر واســـع
والزيـــن متنومـــــــس وفرحـــــان
والورد زاهـــــــي فـــي الشـــــوارع
والجـــوجنـــــــه جـــــولبنـــان
يـــا فـــــــلان قـــم منـــل قبرطالـــــع
يـــا ذاكـــــــر الرقـــم الذي كـــان[2]

إلى هنا نحن مع صدى اللحظة الانتقالية فقط، ولندقق في المنظور لتلك النقلة في قول الشاعر راشد بن مسلم المنصوري:

عمّـــــــر عمـــــارات على عشـــرة طوابـــق
مثـــل الجبـــال الراسيـــه فـــي قرارهـــــا
وشوارع اسفلـــت تعجـــب اللي مشى بهـــا
حديثـــه ولا نعرف اسامـــي اشجارهـــــا

حقاً هي حديثة وقتها. فكيف إذا بدأت آلة الزمن تسرد الحكاية في شلال من قصّ شرائط الحرير بمقص المغفور له - بإذن الله تعالى - المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

ثم كان العنوان شبكة من الطرق والجسور، وتسمية من الباحث والإعلامي خليل عليبوني بأن أبوظبي مدينة العمارات الشاهقة والنخيل الشامخ فتتصل الأحياء والإمارات والدول المحيطة بشوارع عصرية، وتختفي البيوت العشوائية ويكون المشروع الأخضر والتوسع العمراني، وتشجير في الصحراء، وتعمير في الأحياء والقصور والمنتجعات، وهذه الحالة الجديدة على مستوى الدولة، تتخذ شكلاً آخر من التطور العمراني في المباني الحكومية والخاصة على حدّ سواء في البرّ والجزر، في المدن الساحلية والداخلية، وهنا يتجلى غرس زايد.

أجل غرس زايد الذي شمل إمارات الدولة كلها، في إنشاء المصانع الحديثة، والزراعة بأحدث الأساليب، ويكون للجامعات دورها المستقبلي في استدامة الوعي للمراحل المقبلة التي بات ينتظر

منها الأروع. لم تكن المسيرة المعمارية مغامرة، بقدر ما كانت تأكيداً لكسر قاعدة المستحيلات، فتغدو الإمارات دولة العلم والعمل ومحط أنظار العالم في مطاراتها وجسورها وأنفاقها وموانئها وجامعاتها، حتى المنشآت النفطية والعسكرية والزراعية صار يضرب بها المثل من مدينة مصدر في أبوظبي، إلى جبل علي في دبي إلى التحف المعمارية للمباني في إمارة الشارقة على الطراز الإسلامي، ثم الحلم الطيراني والسككي.

أجل لم يعد البترول هو المصدر الأساسي للدخل القومي، بل تحوّلت دولة الإمارات العربية المتحدة إلى دولة جاذبة للسياحة والعمالة بفضل المنشآت الباذخة على مستوى العالم... ويغدو برج خليفة أمثولة معمارية عجيبة، والأسواق التجارية والمالية لا نظير لها، كل ذلك يؤكد أن المشاريع المعمارية البواكير في سبعينيات القرن العشرين كانت بحق نواة للتحول والتنوع الاقتصادي والثقافي، من يتابع السجل العمراني لقصر الرئاسة ومسجد الشيخ زايد الكبير والمستشفيات والمدارس والمعاهد والجامعات سيدرك كم كانت الكفاءات الحكومية رائدة في تأمين المتطلبات لخدمات عالية الجودة للمواطنين والمقيمين والزائرين والمستثمرين من كل جنسيات العالم، فالذي يراجع الأرشيف الوطني، لابدّ أن يجد ذاكرة حافلة لمشاهد التحول الجذري لما هو نحن عليه من إنجازات معمارية يشهد لنا فيها القاصي والداني بأن ما حصل، ويحصل في الإمارات كان معجزات في منجزات، وتجربة من التجارب تستحق الدراسة والتثمين وكل مكان في الإمارات يصلح أن يكون نموذجاً معمارياً لكن خصوصية لا توجد في سواها هي لمدينه الواحة العيناوية.

المعمار في مدينه العين نموذج من واقع التجربة

بلا استثناء المدن كلها في الإمارات وصلت إلى الإنشاء العالمي في تأمين مستلزمات الثبات كافة في المواصفات والمقاييس للوجود الحضاري، بما في ذلك مشاريع الحدائق، والمساجد والإسكان على أرقى الطرز المعمارية، لكنّ لمدينة العين مساقاً يؤخذ في الاعتبار. أهداني المهندس (طلال السلمان) كتابه عن تطور التخطيط العمراني لمدينه العين من واقع التجربة، قلت في نفسي... رائع عسى ابنتي المهندسة المعمارية تنتفع به فتزداد علماً، ومع أن زوج ابنتي مهندس من رباية العين، كنت على الدوام زائراً لأقاربي الكثر في العين من أبناء أخوالي وأعمامي، فامتزجت طمأنينة نفسي في واحة العين مع ما صّورة المهندس طلال من واقع تجربته في المنشآت المعمارية للعين، أقول: لا لشيء سوى أن مدينة العين لهندستها في البر الواحي وعلى تخوم الربع الخالي، فكيف إذا تجولنا في تراثها المعماري القديم في متحف قصر العين، وقلعة قصر المويجعي بعد الترميم وتحديث

التصميم. فما بين الوديان والكثبان وجبل حفيت تبرز الدانات المعمارية في امتداد أفقي بين واحات كواحة العين وواحات هيلي والمعترض والجيمي والقطارة والمويجعي، كل الواحات تُسقى بمياه الأفلاج تحت ظلال النخيل والمتنفس من النسيم العليل ولعل الزائر والمقيم يلمس جماليات في المعمار الهندسي للعين، لن يجدها في مكان بري آخر في الإمارات نظراً لما تحرص عليه الدولة في توزيع البقاع السياحية الداخلية التي ترى في العين كحديقة آثار هيلي، وعين الفايضة، وحديقة الحيوان، وصولاً إلى المركز الإداري ومستشفى توام والمنشآت الرياضية ومطار العين الدولي ومدينة ألعاب هيلي وجامعة الإمارات، ذلك كان تجسيداً لرؤية المرحوم الشيخ زايد - رحمه الله تعالى - في تطوير مدينة العين لتكون منشأه معمارية لها طابعها المميز، والقادم أروع في العهد الميمون للقائد صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد بن سلطان آل نهيان - أطال الله عمره - في المشهد الإماراتي الرائد... هذا وللحديث بقيه لا تتسع له مجلدات من ورق الحجم الكبير، أما تشجيع السياحة الداخلية، فالأمر ما نرى لا ما نسمع، وصلى الله وبارك في الجهود الجبارة والنيات المعمارة ■

أديب وباحث سوري

الهوامش والمراجع:

1 - الكتاب بعنوان (دراسات تاريخية في تطور البنية التحتية في إمارة أبوظبي مطار أبوظبي وجسر المقطع وميناء زايد نموذجاً).

2 - المصدر السابق عن كتاب فاطمة المنصوري ص (187).

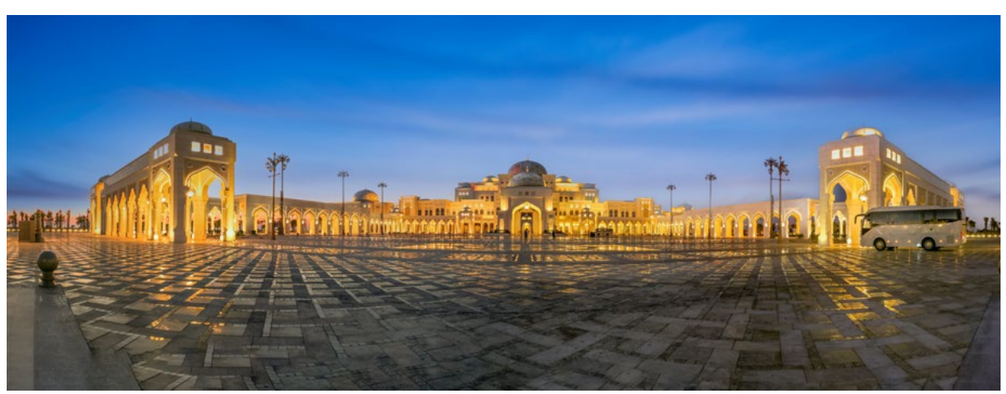

النهضة الحضرية في الإمارات: مدن الرفاهية نموذجاً

صديق جوهر

في عام 2012، صنّف تقرير وحدة البحوث الاقتصادية التابعة لمجلة «الإيكونوميست» دبي في المرتبة الأولى باعتبارها المدينة الأكثر تنافسية في الشرق الأوسط، تليها مدينة أبوظبي في المرتبة الثانية. في عام 2013، وفي ضوء تقرير المعهد الدولي للتنمية الإدارية، احتلت الإمارات المرتبة الأولى على مستوى دول الشرق الأوسط والرابعة عالمياً في مؤشر الانفتاح على المؤشر العالمي. تم تثمين الدور الذي تلعبه دولة الإمارات العربية المتحدة في عصر العولمة ومابعدها، حيث إنها تعتمد سياسة الباب المفتوح فيما يتعلق بالأنشطة التجارية والاقتصادية والتجارية والثقافية والصناعية والسياحية. في الآونة الأخيرة استقطبت مدن الإمارات العديد من الفعاليات والمشاهير العالميين على مدار العام كما فازت أخيراً في مسابقة تنظيم «معرض إكسبو» الذي أعطى زخماً هائلاً لتنمية المدن الإماراتية كافة. في هذا السياق تستكشف هذه الدراسة من خلال منهجية تاريخية كرونولوجية التغيرات غير المسبوقة والتطورات الهائلة في البنية التحتية التي شهدتها المدن الإماراتية بعدما توسعت المناطق العمرانية في دولة الإمارات العربية المتحدة وتحولت الدولة بأكملها إلى منطقة حضرية ضخمة تمتد من أبوظبي إلى الفجيرة ومن دبي إلى رأس الخيمة، حيث رُبطت المناطق الحضرية جميعها الممتدة والمترامية الأطراف بعضها ببعض عن طريق شبكات الطرق السريعة بالإضافة إلى المطارات ومرافق الاتصالات عالية السرعة التي وضعت الإمارات على خريطة السياحة والتجارة العالمية منذ الهزيع الأخير من القرن العشرين.

نشأت المدن في منطقة الإمارات منذ عصور ما قبل الإسلام وتطورت مع مرور الزمن حتى وصلت إلى ذروة التقدم في الوقت الحاضر بعد ظهور المدن الذكية والمدن المستدامة. وترتبط المدن والمناطق الحضرية الإماراتية حالياً بالعالم من خلال تقديم الخدمات لا سيما النقل والعبور وإعادة التصدير والخدمات المالية إلى جانب السياحة وتجارة الجملة والتجزئة وأسواق العقارات والاستثمارات

مليحة - الشارقة

الدولية. علاوة على ذلك، ترتبط هذه المدن بالعالم أيضاً من خلال الشركات متعددة الجنسيات ومدن المعرفة والمدن الذكية ومراكز البحث والإبداع. وتستقطب مدن الإمارات العالمية أعداداً هائلة من كبار الموظفين من المخترعين والمهندسين والاستشاريين ومديري الشركات المحلية والإقليمية والعالمية. وتتميز هذه المدن بوجود طفرة في بناء الأبراج وناطحات السحاب، وتشييد المجتمعات السكنية الفاخرة، وتقديم الخدمات الترفيهية المتنوعة لتلبية الاحتياجات المتزايدة للسكان، وجذب المزيد من السياح إلى البلاد. وتجري على قدم وساق مشروعات وأنشطة التجديد في مناطق محددة من المدن القديمة من أجل تحويلها إلى وجهات سياحية واستثمارية عالية الجودة. وفي ظل صعود المدن العالمية وازدهارها أيضاً في الإمارات هناك زيادة في عدد الوظائف التي تقوم بها المجموعات المساعدة المرتبطة بزيادة الخدمات المطلوبة لتلبية الاحتياجات الاستهلاكية والشخصية للمراكز السكانية والسياحية والصناعية والتجارية الناشئة.

تاريخياً مر تطور المدن في منطقة الإمارات بمراحل عدة قبل أن تصل هذه المراحل إلى مرحلة المناطق العمرانية والحضرية المعاصرة. وتشمل هذه المراحل عصر ما قبل الإسلام والفترة الإسلامية والقرون التالية لها حتى عهود الوجود الإمبريالي في المنطقة بما في ذلك الاستعمار البرتغالي وأخيراً مرحلة الهيمنة الكولونيالية البريطانية ما بين الأعوام (1820 - 1971)، وفترة

ساحل ديا

نشأة الدولة وبداية تطور المدن والضواحي ما بين الأعوام (1971 - 2000) ثم فترة تطوير المناطق الحضرية بعد عام (2000) حتى الوقت الراهن.

في عهود ما قبل الإسلام نشأت المدن العتيقة في منطقة الإمارات نتيجة للتجارة البحرية مع شرق أفريقيا والهند والصين بالإضافة إلى وجود روابط تجارية مع مناطق الشام والحجاز ومصر وغيرها من أقاليم الإمبراطورية الرومانية. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن مدناً مثل الدور ومليحة ودبا وتوام كانت من بين المدن القديمة المعروفة التي اشتهرت بالتجارة في هذه الفترة في منطقة الإمارات علماً بأن هذه المدن نشأت قبل بناء الحواضر الشهيرة مثل القاهرة وبغداد. كانت المدن في منطقة الإمارات في هذه الفترة بمنزلة حلقة وصل بين المحيط الهندي ومدن الحجاز ومصر وبلاد الرافدين والشام بالإضافة إلى الإمبراطورية الفارسية. وكان اللبان والمر والبخور من بين البضائع التي تم تصديرها من الإمارات ومنطقة الجزيرة إلى العالم الخارجي. فقد كان التجار يستوردون بضائع مثل التوابل والعطور والحرير والخزف الصيني من آسيا عبر المحيط الهندي لإعادة تصديرها من المدن الواقعة في منطقة الإمارات إلى أماكن مختلفة في جميع أنحاء العالم.

لقد ازدادت أهمية المدن في الإمارات في الفترة التي تلت انتشار الإسلام في المنطقة نتيجة الاستقرار السياسي في أعقاب انتهاء الحروب التي كانت تندلع من حين إلى آخر بين الساسانيين والبيزنطيين. وبشكل غير مباشر أصبحت المدن في منطقة الإمارات مهمة في هذه المرحلة بسبب وصول الإسلام إلى الأندلس وربط البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الهندي عبر البحر الأحمر ما أدى إلى زيادة عدد المناطق المشاركة في إنتاج البضائع المختلفة واستهلاكها التي كانت تمر بمدن الإمارات القديمة. وقد استفادت منطقة الإمارات من هذا التغيير لأن مدن المنطقة كانت تلعب دور الوسيط بين جنوب آسيا وشرقها من ناحية والعالمَين الإسلامي والأوروبي من ناحية أخرى. وخلال فترات مختلفة من عهود ما بعد انتشار الإسلام ارتبطت المدن التجارية في المنطقة الإماراتية بمدن عديدة في منطقة الخليج، مثل: صراف وقيس وهرمزة. وفي العصر الإسلامي استمرت بعض المدن من بقايا مرحلة ما قبل الإسلام في الازدهار مثل دبا بينما أقيمت مدن أخرى، مثل: جلفار في رأس الخيمة، وجميرا في دبي، ومدينتا خورفكان وكلباء.

في فترة المد الاستعماري ما بين الأعوام (1500 - 1820) أصبحت المدن الواقعة في المنطقة الإماراتية تحت سيطرة المستعمرين البرتغاليين الذين لعبوا دور الوسيط التجاري بين آسيا وأوروبا. لقد حوّلوا تجارة المحيط الهندي في اتجاه أوروبا دون الاعتماد على التجار العرب الذين فقدوا دورهم في ذلك الوقت. بعد ذلك استطاعت دولة اليعاربة تحرير مدن الخليج العربي من الاستعمار البرتغالي. وفي أعقاب سقوط دولة اليعاربة وظهور القوة البحرية الضاربة لحلف القواسم في الإمارات عادت المدن

جزيرة النخيل

التجارية النابضة بالحياة إلى الازدهار في المنطقة، مثل: بني ياس، ورأس الخيمة، والشارقة، ولنجة عاصمة القواسم الواقعة في شرق ساحل الخليج العربي. في نهاية هذه الفترة الاستعمارية دمّر البريطانيون المدن التجارية الإماراتية بهدف القضاء على حلف القواسم وفرض سيطرتهم على منطقة الخليج العربي وحماية مستعمراتهم في الهند ما أثر سلبياً في تطور المدن في هذه المرحلة الشائكة.

في فترة الهيمنة البريطانية وتحديداً من عام 1820 حتى عام 1887 انهارت معظم المدن في منطقة الإمارات لكن مدينة دبي برزت كمركز تجاري في المنطقة لأسباب عدة منها: تراجع أهمية لنجة عاصمة القواسم، ووصول السفن البريطانية إلى دبي لأول مرة في عام 1902. ثم أصبحت دبي ميناءً مهماً لتصدير لآلئ منطقة الإمارات إلى بومباي في الهند وتحولت إلى مركز لإعادة تصدير السلع الاستهلاكية المستوردة من آسيا إلى منطقة الخليج وخاصة عُمان وقطر. في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي نمت إمارة دبي كمدينة لإعادة التصدير وظهرت أبوظبي كمدينة لتصدير النفط.

بعد ذلك نمت المدن في الإمارات الشمالية لوجود المشروعات التنموية والخدمية كما ذكرنا سابقاً، علاوة على ذلك زاد حجم سكان الحضر بسبب الهجرة الخارجية والداخلية والنمو الطبيعي للسكان. وبلغت نسبة السكان في المدن الإماراتية في نهاية ستينيات القرن الماضي نحو 78% من إجمالي عدد السكان لأن معظم المشروعات التنموية والخدمية والعمرانية كانت في المدن الساحلية خاصة في دبي وأبوظبي.

الدور - أم القيوين

في هذه الفترة منذ نشأة الاتحاد الإماراتي حتى نهاية القرن العشرين تحوّلت مدن الإمارات مثل أبوظبي ودبي والشارقة من مدن صغيرة إلى مراكز حضرية تحيط بها الضواحي من جميع الاتجاهات. كما توسعت بقية المدن الممتدة على الخليج العربي من الشمال في اتجاه الصحراء لأن هذه المنطقة تحدّ ساحل الخليج الممتد شرقاً وغرباً. وثمة عوامل عدة أسهمت في تطوير الضواحي مثل المشروعات العمرانية التي بنتها الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية للسكان الذين هاجروا إلى المدن. لقد جذبت مشروعات الإسكان الحكومي الأهالي إلى الإقامة في ضواحي المدن ولاسيما بعد أن شقت الطرق ووفرت الكهرباء والمياه وشبكات الهاتف في هذه الأماكن إضافة إلى انتشار المركبات والمواصلات العامة. وبسبب انجذاب الأعداد الكبيرة من العمالة الوافدة إلى مراكز المدن الإماراتية عرض المواطنون منازلهم للإيجار في الأحياء السكنية ذات الكثافة السكانية وانتقلوا للعيش في ضواحي المدن. لقد اتخذت الطبقات العليا والمتوسطة من الوافدين والإماراتيين أصحاب الوظائف والأعمال من ضواحي المدن سكناً لهم بسبب النظافة والهدوء والعوامل الأمنية المتوافرة في هذه الوجهات. وبسبب أغراض العمل والتسوق والترفيه ظل سكان الضواحي في هذه المرحلة مرتبطين بالمدينة حيث تقع جميع المؤسسات الحكومية والخاصة والخدمات الصحية والتسويقية.

في القرن الحالي تزايدت وتيرة الاهتمام بتنمية المناطق الحضرية علماً بأن المنطقة الحضرية هي منطقة واسعة تزيد مساحتها على مئة كيلومتر مربع وتشتمل على مدينة ضخمة، مثل: أبوظبي أو دبي أو الشارقة علاوة على العديد من المدن الصغيرة بالإضافة إلى المدن الأكاديمية والصحية والرياضية ناهيكم عن مراكز الترفيه والتسوق والمناطق الحرة والمجمعات السكنية والحدائق الفيحاء. ترتبط هذه المناطق بشبكة طرق ووسائل اتصال ومواصلات حديثة ولقد أسهمت عوامل عدة في تطوير المناطق الحضرية، مثل: توفير الخدمات الصحية ووجود مراكز التسوق والمؤسسات التعليمية داخل الضواحي. لذلك أصبحت مناطق الضواحي جذابة للمستثمرين في الآونة الأخيرة.

وبعد أن طورت الحكومة طرقاً سريعة وضخمة، مثل: شارع الشيخ محمد بن زايد، وشارع الإمارات، وطريق دبي- العين، وطريق أبوظبي - دبي، تم منح الحكومات المحلية والشركات العقارية إمكانية الاستثمار بالقرب من هذه الطرق العملاقة. وتشمل الاستثمارات إقامة مشاريع مثل: بناء مناطق سكنية فاخرة

ومراكز تسوق راقية ومدن أكاديمية ومعرفية وصناعية. وتمكنت الشركات العقارية من جذب العملاء من داخل الدولة وخارجها إلى هذه المناطق، خاصة إلى مناطق التملك الحر. بالإضافة إلى ذلك تمكّنت الحكومات المحلية من جذب المستثمرين المحليين والأجانب إلى المدن الصناعية والأكاديمية والترفيهية. وأسهم تطوير المناطق الحرة ومجمّعات التملك الحر في جذب الشركات والمستثمرين الدوليين إلى الإمارات بسبب حوافز متعددة، مثل: الإعفاء الضريبي، والإقامة طويلة الأمد، بالإضافة إلى تميز الموقع والبنية التحتية الحديثة المتوافرة في معظم مدن الإمارات. وقد

انجذبت الشركات والمستثمرون الدوليون إلى هذه الأماكن لتوفّر الخدمات الأساسية كافة وسبل الرفاهية والراحة بالإضافة إلى التنوع الثقافي والسلامة والأمن إلى جانب توفير وسائل النقل والتكنولوجيا الحديثة. في هذه الفترة تمكّنت كل منطقة من جذب سكان وعملاء ومتسوقين جدد وتوفير فرص عمل للباحثين عن عمل وكان كل منها قادراً على جذب السكان والمقيمين من داخل الدولة وخارجها.

عالمياً المدن هي المواقع التي يحدث فيها التبادل الاقتصادي والثقافي العالمي. تتنافس المدن العالمية الكبرى حالياً على كسب الاستثمار الأجنبي والمجموعات الإبداعية بالإضافة إلى التجار والسائحين لتحتل المراتب الأولى وفقاً للمعايير الدولية. ومن أجل الحصول على مكانة عالمية تعمل بعض المدن من أجل الشهرة، حيث بدأت في وضع علامات مميزة لها من خلال تحسين بنيتها التحتية. وبدأت مدن أخرى في إقامة معالم ورموز ومراكز مالية لا مثيل لها، بالإضافة إلى إنشاء الحدائق ومراكز التسوق الضخمة والمرافق لاستضافة الأحداث الكبرى من أجل جذب المشاهير العالميين. كما تسعى بعض المدن إلى تعزيز تميزها من خلال إنشاء شعارات، مثل: المدينة الذهبية، ومدينة الطاقة النظيفة، والمدينة الذكية، والمدينة الآمنة، والمدينة المشمسة.

وفقاً لتعريفنا للعولمة يبدو أن مدن الإمارات العربية المتحدة جميعها أصبحت عالمية في أعقاب التطوير النوعي في البنية التحتية، وكذلك تشييد مراكز التسوق والمراكز المالية، وإنشاء مدن ترفيهية. تُعدُّ دبي وأبوظبي من بين المدن الشهيرة المؤهلة للتنافس عالمياً على أفضل المدن في جميع أنحاء العالم. فقد تمكّنت دبي وأبوظبي من ربط موانئهما ومطاراتهما بمدن العالم عبر أكبر شركات الطيران العالمية، مثل: «طيران الإمارات» (ثالث أكبر شركة طيران في العالم) و«الاتحاد للطيران» وهي شركة عملاقة يصعب التنافس معها.

اشتهرت مدن الإمارات العربية المتحدة بالعديد من الرموز والمعالم العالمية، مثل: أكبر مركز تسوّق في العالم (دبي مول)، وأكبر ميناء من صنع الإنسان في العالم (ميناء جبل علي)، وأكبر جزر صناعية في العالم (جزر النخيل: النخلة جبل علي - النخلة جميرا - النخلة ديرة)، وأطول فندق في العالم (برج العرب)، وأطول مبنى في العالم (برج خليفة)، وأول مدينة نظيفة في العالم (مدينة مصدر - خالية من انبعاثات الكربون)، وأكبر شبكة مترو في العالم تعمل من دون سائق. ويعد مسجد الشيخ زايد الكبير أحد أشهر المعالم العالمية أيضاً. كما تضم مدن الإمارات مجموعة من الوجهات الترفيهية والسياحية بمعايير عالمية، مثل: مدينة فيراري، والحديقة المرجانية بجانب جزيرة الرياضات المائية، ودبي لاند. بالإضافة إلى متاحف «اللوفر» و«غوغنهايم» ما يجعل مدن الإمارات على قائمة المدن العالمية التي شهدت تطوراً لامثيل له معمارياً وحضرياً ■

أكاديمي وناقد.. خبير الترجمة في الأرشيف والمكتبة الوطنية

خلف الباب

عبد الفتاح صبري
روائي وناقد مصري

حين يغلق الباب، ويفرغ المكان من البشر.. أو حين يغلق على مكان ليس فيه أحد إلا أنا... ماذا يحدث لي؟ أو برواية أخرى ماذا يحدث لك أو لنا حين نخلص إلى الجلوس في مكان معتم من البشر.. بالنسبة لي أنفاسي هي التي تؤنسني رتيبها المنتظم.. ووجيب الأعضاء الأخرى المتناثرة فيّ.. ! تتوحد في رتابتها وفي انتظام حركتها البيولوجية.. في دورتها الأبدية المستمرة في استحضار حركتها دون انتباه مني إلا لصوت آخر يفرض ذاته.. إنه صمت الفراغ المحيط حولي.. يحدثني بفداحة العزلة.. وانهمار صوت الأشياء المبهم وصوت الذات القارعة فيعلو همس النفس الملتاعة في انكماشها.. رهبة الهدوء القاني يفتح للعقل شهية الجموح للبحث في متابعات ودروب الحياة وفراغات النفس التي تتكور لتندلق دوماً بحرارة اليأس أو القنوط.. أو تفجير مكامن الوعي بالأشياء والأفكار والرؤى وتجارب الوقت وحوارات السنين التي عبرت دون تلكؤ..

العزلة خلف الباب المغلق تهيي بالنفس وتدفعها للبحث عن معنى الحياة عن الخلاص.. عن الأبد اللامنتهي في صيرورة لا ندرك كنهها. ولا تفتح لنا دروباً للوعي بمكنون ما هو كائن أو موجود أو مفروض أو نكون مأمورين به أو مجبرين عليه بلا سؤال وبلا إقرار منا لأنه بإقرار علوي. وعلينا اجترار حركتنا البندولية دون شغف السؤال ودون جنون البحث عنا فينا.. لماذا؟ وكيف؟ ومتى؟ أسئلة الوجود القابعة في حنايا العقل بلا إجابة ولا مجيب وبلا منير يفتح لنا كوات تُهدّىء النفس الجياشة بأسئلتها والملتاعة بقلقها. العقل الكامن فينا لا يملك إلا بحاراً ولا يملك التصور ولا يمكنه لمحدوديته رغم أنه لا محدود من المعرفة أو من اليقين أو من الاسترشاد إلا بدفء الإيمان وعزيمة القبول والإذعان بالرضا. العقل محدود ولا محدود لأنه يمتلك طاقات لا نهائية من جنون الخلق والابتكار والعشق والمراودة والوقوف على ظواهر الكون المبسوطة أمام الإنسان بعظمة خالقها ومحدث دورانها وسكونها. هذا المكتشف العظيم ما زال وسيظل في حيرته وجهله أمام ما لم يكتشفه بعد وكلما وضع ضوءاً على منجزٍ شعر أنه أحقر وأصغر وأن المحيط حوله عميق جداً وبعيد ولا يمكن الوصول إليه.. العقل البشري الذي هو في حد ذاته شحمة صغيرة حين تقف على تخومها ستجد العجب العجاب، وأن هذه الشحمة نورانية العقل والسيطرة وأنها سر أسرار الإنسان حين تحرك الأعضاء وحين تسيطر عليها بموجات كهرباء وموجات مغناطيسية ومعامل للصد والسيطرة وإنتاج آلاف المواد والعناصر والأملاح وكل بقدره وميسّر لما خلق له.. حين نتأمل كيف لهذا المخ البشري وبقدرة نورانية أن يدير آلاف العمليات في جزء من الثانية عمليات بيولوجية وكيميائية وهندسية وكهربائية وغيرها.. كي نتحرك.. كي نعيش كي نفكر كي نحيا ونتألم ونفرح ونسعد ونصحو وننام.

العقل الكامن فينا الذي صنع الآلة وهندس الحياة وسيطر على الكون بمخترعات لا حصر لها ولا حدود لدورتها في حياتنا.. وكلما تقدمت البشرية زادت هذه المخترعات التي تفتح للبشرية طاقاتٍ للتقدم والازدهار وعلو الحضارة.. هذا العقل صاحب الطاقات الجبارة يستمدها من إمكانياته بمعدل 5% فقط، ماذا لو فتح الإله لهذا العقل كي يتمكن من 10% مثلاً أو يزيد. هذا العقل رغم ما قدمه لنفسه وللإنسان وللبشرية ورغم ما أحدثه من تقدّمٍ وعلو ومكانة الإنسان فإنه لا يزال قاصراً في الفهم والوعي بمدركات الحياة بل وفي فهم بعض الظواهر والمكنزات التي أحدثها الإنسان نفسه في عصور سابقة.. فما بالك بظواهر الكون.. وإشارات عن مخلوقات الله الأخرى وجنوده التي لا نعلمها وما تحدثه في حياتنا وفي صيرورة الحياة ودورانها.. ماذا عن السموات؟ وماذا عن الأرضين؟ وماذا عن الجنة والنار؟ ماذا عن الجن والملائكة والشياطين؟ ولا تبعد بعيداً.. ماذا عن تكويننا نحن؟ عن أعضائنا؟ عن حركتنا؟ عن الروح التي تهبنا الحيوية والحركة والاتقاد والوجود؟

ماذا عن اللهب - النار التي نشعلها بأيدينا أو تشتعل هي من تلقاء نفسها - ما هي هذه النار؟ ما كنهها؟ ما مكوناتها؟... أي عظمة تلك تتقد وبسيطرة نستغلها وإذا فقدنا السيطرة عليها لا تبقي علينا أو على غيرنا- ما هي مادتها وعناصرها؟ ما هذا الذي يشتعل ويهبُ لنا الخشب والحطب والورق والأشياء؟ .. لكن المُحرق ما هو؟ كيف داخله وباطنه وظاهره؟ رغم أنه محسوس بالنظر ولا نطيقه ولا ندركه باللمس أو الاقتراب.

الهواء لا نراه ولا ندرك إلا أثره.. ما هو الهواء؟ ما هو كنهه ومكوناته؟.. نشعر به نسيماً نحتاجه في قيظ الوقت ويتحول إلى سموم بقدرة خالقه وإلى رياح عاتية تقلع المشجر والمدر وتهلك الحرث والنسل والمبنى. ما هو الهواء هذا الذي نحسه ونشعر بأثره ولا نراه؟

عشرات وعشرات بل آلاف من جنود الله ومخلوقاته نسمع عنها وربما نلمسها ولكننا لا نعرفها ولا ندركها. فأي عجز لهذا الإنسان ولهذا العقل حين يختلي بنفسه خلف باب موصد وحيداً مفكراً في نفسه وفي خلق الله من حوله يشعر بعجزه أكثر أمام هذا الفيض المكنون وهذه الإدراكات العلوية وهذه النعم التي قد لا يدركها أحياناً.. خلف الباب.. وفي عزلتنا علينا التيقن بأننا مجرد أصفار صغيرة وربما أقل في هذا الكون العظيم وفي هذا اللامنتهي والذي لا ندركه ولا نحيط إلا بأقل القليل جداً عنه- هذا الفضاء السحيق الذي يقاس بمليارات السنين الضوئية والمكتنز بمليارات النجوم والكواكب هل خُلق لنا نحن أهل الأرض فقط؟ سؤال يبحث الإنسان عن جوابه ولن يصل ولكنه سيظل يبحث ويكد إلى يوم الساعة. وبالتالي خلف الباب وفي عزلتنا يجب العودة إلى البارىء المصور الخالق صاحب الكون وصاحب البداية والنهاية جل شأنه وسلطانه. الأبواب صنعت لتكون مدخلاً ومخرجاً وعازلة ومهيئة الوقت والمكان لعزلة مؤقتة يمارس فيها الإنسان طقوس فكره كي يتأمل ويتعلم ويتصاغر أمام عظمة الكون وخلقه وأمام ما لم يدركه من ظواهر وأشياء وحتى عن مخلوقات وجنود الله محيطة به لا يستطيع أن يحصيها أو حتى يدرك منتهاها وفوائدها التي أرادها الخالق لها لنحافظ على الحياة والبيئة واستدامة الكون العظيم.

العزلة خلف الأبواب ربما تفتح للعقل أحياناً مجالاته وتهدي لنا مسارات نفسية وذهنية تقودنا إلى فتح أبواب في قلوبنا وعقولنا نحونا ونحو الآخر ونحو من نعايشهم في الحياة لتأكيد تواصلات من أحاسيس ومشاعر ودٍّ وحب، وكره وبغض أحياناً، وربما تهدينا أحياناً هذه الأوقات الصافية خلف الأبواب من الصخب والناس مسارات دفء؛ لننعم بالرضا والسكينة حين تكون النفس مطمئنة هادئة متلقية بوعي الإيمان لقدرها ولحتمية وجودها.

العزلة خلف الأبواب حالة لا بد من عيشها كي نتدثر بالأمن النفسي وطمأنينة الحياة ورضا السكينة ■

تلمسان (غرناطة أفريقيا)

ضياء الدين الحفناوي

سميت مدينة تلمسان (غرناطة أفريقيا) وذلك لما تتمتع به من تاريخ ثقافي ومعماري عريق فهي حاضنة للفن المعماري الإسلامي على وجه الخصوص، وتعد مركز الفن والثقافة في الجزائر، كما تتميز بطبيعتها الفاتنة وجغرافيتها الغريبة وألوانها الساحرة، وتعتبر تلمسان الوجهة المثالية لمحبي الطبيعة والبرية لما تتميز به من مرتفعات جبلية. وتقع مدينة تلمسان غرب الجزائر على ارتفاع 800 متر من سطح البحر وبسبب قرب المدينة من البحر تتمتع بمناخ متوسطي معتدل وموارد طبيعية متنوعة للغاية وهطول أمطار غزيرة ما منح تربتها خصوبة عالية فكانت مقصداً للراغبين بالحياة والعمل ولبدء الاحتلال البشري لتلمسان ومنطقتها منذ فجر التاريخ. ويتميز موقعها بأنه على مفترق الطرق الرئيسية التي تربط غرب الجزائر بالمغرب وتل الصحراء، وهذا الموقع الاستراتيجي جعلها مكاناً للتبادل الاقتصادي والتجاري بين المجتمعات الحضرية والريفية المتكاملة والرعوية والزراعية المحيطة بها، وولاية تلمسان جزء من سلسلة جبال تل أطلس على بعد نحو 150 كيلومتراً (93 ميلاً) جنوب غرب مدينة وهران الساحلية، ومن آخر تحديث معرفي في سبتمبر 2021 كان عدد سكان تلمسان يتراوح ما بين 150.000 و180.000 شخص وتعتبر الزراعة نشاطاً اقتصادياً مهماً في المنطقة وتشتهر بزراعة الحبوب والفواكه والخضروات والزيتون وإنتاج زيت الزيتون.

المواقع التراثية

تعد تلمسان موطناً للعديد من المواقع التراثية والسياحية المهمة التي تعرض تاريخها الغني وأهميتها الثقافية، ومن أكثر الأماكن شهرة «الجامع الكبير» وبُني هذا المسجد في القرن الثاني عشر الميلادي، وهو تحفة معمارية ذات تصميمات معقدة وزخارف مذهلة يعكس الطراز المعماري المرابطي والموحدي، ومسجد المنصورة أيضاً ويُعرف باسم «مسجد المنصورة الكبير» وهو مسجد مهم آخر في تلمسان ويعرض التراث التاريخي والمعماري للمدينة. و«قصر المشوار» الذي كان مقر إقامة حكام تلمسان خلال فترات مختلفة، وهو بحق مثال رائع للهندسة المعمارية المغربية ويتميز بالحدائق والساحات الجميلة، وهضبة (لالا ستي) وتقع في موقع طبيعي خلاب يوفر مناظر بانورامية خلابة لتلمسان ويعد مكاناً شهيراً لكل من السكان المحليين والسياح خاصة أثناء غروب الشمس.

ومن الأماكن السياحية أيضاً (كهوف بني عَد) وتقع هذه الكهوف القديمة على بعد نحو 40 كيلومتراً من تلمسان وتشتهر بفنونها الصخرية وأهميتها الأثرية في عصور ما قبل التاريخ، ويعد منتزه تلمسان الوطني من أجمل الأماكن للزيارة وتشتهر هذه الحديقة بالنباتات والحيوانات المتنوعة وتوفر فرصاً للتنزه والاستمتاع بالطبيعة، فهو مكان رائع لعشاق الهواء الطلق. ومن الأماكن السياحية أيضاً (جامع سيدي بومدين) وهو مخصص للولي الصوفي سيدي بومدين الذي لعب دوراً مهماً في التنمية الثقافية والروحية للمنطقة، ويمكن زيارة (أنقاض المنصورة) وهي مجموعة من آثار بقايا مدينة قديمة وقلعة بناها الموحدون في القرن الثالث عشر للميلاد، حيث إنها تقدم لمحة عن الماضي التاريخي لتلمسان. ويعرض متحف تلمسان الوطني مجموعة واسعة من القطع الأثرية بما في ذلك الفخار والمخطوطات والمنسوجات وغير ذلك، ويقدم رؤى حول تاريخ المدينة وثقافتها وتوفر هذه المواقع كلها وغيرها الكثير للزوار فرصة لاستكشاف مزيج فريد من نوعه من الهندسة المعمارية والتاريخ والجمال الطبيعي في تلمسان.

التأثير الأندلسي

استقطبت تلمسان باعتبارها مركزاً للثقافة والتعلم عدداً كبيراً من العلماء والفنانين والحرفيين الأندلسيين الذين قدموا مساهمات مهمة في المشهد الفكري والفني والمعماري لتلمسان ويتجلى التأثير الأندلسي في جوانب مختلفة من تراث المدينة فيمكن رؤية الأنماط المعمارية الأندلسية في تصميم وزخرفة المساجد والقصور والمباني، وتعكس عناصر مثل: عمل الجص المعقد والأنماط الهندسية وأقواس حدوة الحصان متأثرة بالعمارة الأندلسية هذه الفنون بوضوح، وقد أسهم حرفيون مهرة من الأندلس قديماً في الإنتاج الفني لتلمسان بما في ذلك صناعة الخزف والمنسوجات وغيرها من الحرف التي أظهرت اندماجاً بين الأنماط الأندلسية والشمالية الأفريقية. وترك المطبخ الأندلسي وتقاليد الطهي بصماتهما على فن الطهي في تلمسان أيضاً، حيث تأثرت الأطباق والنكهات بالتبادل بين الثقافات، وبشكل عام يضيف التأثير الأندلسي في تلمسان عمقاً جميلاً لثراء المدينة التاريخي والثقافي ما يجعلها مكاناً تلتقي فيه الحضارات والتقاليد المختلفة ويترك تأثيراً دائماً على تراثها وجمالها، وتشتهر تلمسان بصناعاتها اليدوية التقليدية بما في ذلك الفخاروالخزف والسجاد والمنسوجات وغالباً ما تعرض هذه المنتجات التأثيرات الفنية والثقافية المحلية في الأسواق الشعبية والأماكن السياحية. وتعمل تلمسان كمركز تجاري للمناطق المحيطة وتربط بين المناطق الريفية والحضرية، وتلعب الأسواق والأنشطة التجارية دوراً في الاقتصاد المحلي.

الزي التقليدي

يعكس الزي التقليدي لمدينة تلمسان الجزائرية تاريخ المدينة الغني وتراثها الثقافي، وتطورت الملابس التقليدية في تلمسان كما هي الحال في العديد من المناطق الأخرى مع مرور الوقت، وتأثرت بالعديد من الحضارات والفترات التاريخية فللرجال (الجبة) وهو رداء طويل فضفاض يمكن أن يكون سادة أو مزيناً بتطريز معقد وغالباً ما يتم ارتداؤه فوق القميص والسراويل، وسروال فضفاض يتم ارتداؤه تحت الجبة أيضاً، و(البرنس) للنساء وهو عبارة عن عباءة مغطاة بغطاء رأس ملفوفة على الكتفين، ويتم ارتداؤها للدفء أوللحماية، أما (كاراكو) فهولباس تقليدي ترتديه النساء في المناسبات الخاصة، يتكون من جاكيت ملائم مع تطريز مزخرف وأزرار زخرفية تلبس فوق فستان أو تنورة. وتلعب الإكسسوارات مثل المجوهرات والأحزمة والحجاب دوراً مهماً في استكمال المظهر التقليدي لكل من الرجال والنساء في تلمسان ويمكن أن يختلف نمط ومكونات الملابس التقليدية بناءً على الحالة الاجتماعية والمناسبات والتفضيلات الشخصية، غير أن أنماط الملابس الحديثة أصبحت أكثر شيوعاً في المناطق الحضرية، وما زال سكان تلمسان، حتى الآن، يحافظون على ارتداء الملابس التقليدية خلال المناسبات الثقافية أو الرسمية أو في الاحتفالات العامة ■

كاتب مصري

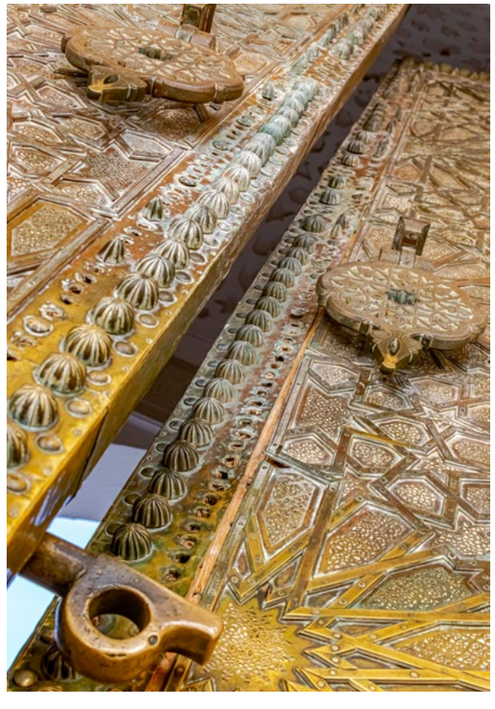

إعداد: نايلة الأحبابي

يا رشا

يـــا رشـــا يـــا فوعـــــة الفلّـــــي
يـــالْمِخَـــــدَّجْ فـــي عناقيـــــده
إنـــت لـــي كِـــلّك وانـــا كِلّـــــي
بَيْنَنَـــا يمشـــي الهـــــوى سِيْـــدِه
مـــا نحـــــبّ الحـــب يختلّـــــي
مثـــل مـــا تبغونـــــه نْريـــــدِه
ذاك حكـــم الفَـــــن يـــا خِلّـــي
والهـــوى عِسْـــره مصاعيـــــده
مِنْعِمـــــين بْيـــــارد الخِلّـــــي
يـــوم قلبـــي فـــي تِوَجّبـــــده
حَالِيـــه مـــن صـــدّك اعْتَلّـــــي
لا تِهَـــــوْن بِـــه ولا تْزيـــــده
رُوف بـــي يـــا كامـــــل الدَّلّـــي
يـــا حبـــوب القلـــب ألِمفيـــــدِه
كـــم ياملتـــــوا علـــى ذِلّـــي
يـــوم روحـــــي عندكـــم صَيْـــده
آه يـــامـــن حَالِـــه انسلّـــــي
لابـــو اسبابـــــه وتِجلّيـــــده
يوم حبّـــه فـــي الحشـــا حَلّـــــي
شَـــــلّ قلبـــي مـــن أساويـــده
لِـــيْ هَـــــدَابْ عْيونـــه مْظلّـــــي
والوضِيْحـــــي عَيْنـــــه وجِيـــــده
ذاك لَـــي بـــه مِنْتـــهى حِلّـــــي
عَـــاشْ لِـــيْ بايّـــــام سعيـــــده

القصيدة للشاعرة عوشة بنت خليفه السويدي، ولدت عام 1920 واشتهرت بإبداعها الشعري واتُخِذَت كمنهج ومدرسة شعرية عريقة يُنهل من فكرها ومن أسلوبها الجميل. وفي هذه القصيدة الرائعة التي تغنى بها العديد من الفنانين لعذوبتها وسلاستها وجمال معانيها نقف على مشارف القصيدة، وبأسلوب النداء والوصف تقول: "يارشا" يا صغير الغزال، "يا فوعة" أجمل أزهار الفل العابقة بشذاه وطيبه، ثم تقول موضحة مقدار المحبة وتفانيها. وفي البيت الثاني، "أنت كلك لي وأنا كلي لك" حتى أصبح الهوى بيننا متناصفاً معتدلاً لا يشوبه ميل أو شائبة، وهذا ما نريده نحن وأنتم وهذا هو حكم الهوى الذي عسر على من لا يتناصفه ولا يعرف ما له وما عليه حتى يبقى ثابتاً راسخاً لا يميل مع الأيام ولا تغيره الظروف. ثم تعود وتعاتب أحبتها المنعمين السعيدين في بارد الظل ولم يدركوا ما حصل لها من وجد وشوق عليهم، ثم تعود بالوصف بقولها سيدي يا من اكتمل حسنه يا دوا قلبي الناجع لكل ما يصيبه، كم قبلتم مجاملة من يريد بي الأذى رغم أنني كنت عندكم كالصيد الشريد البعيد أراضيه، فلماذا يجحف الأحباب في حق أحبتهم ولا يعاملونهم بالمثل وما تقتضيه المحبة الحقيقية. ثم تندب الحال على ما حصل لها من طول الصب وقوة الجلد مما أثر في حالها وبسبب تمكّن الحب من قلبها وسكناه في سويداء ولب الفؤاد على الرغم من كل شيء، وتعرج بالوصف الجميل لتصف جمال العيون وطول الأهداب فهو يشبه الوضيح بعينه وجيده، وهنا نجد أنها تصف الأحبة بجمال روحها وروعة معانيها على الرغم مما قد يحدث منهم، ولكن الحب الأصيل هو العفو وترك المساوئ وذكر المحاسن. وتقول هذا هو الصاحب الذي هو مناي وغايتي لسعادة العين ورغده حتى ننعم بالحياة الرضية، نجد في القصيدة سلاسة وعذوبة أدبية من استهلالها وتوجهها القصيدة بجمال الوصف ورقة المعنى، ومن المحسنات البديعة والتشبيهات كالتشبيه بالغزال الصغير وشذى الفل في عنفوان زهوره وفوحة عطوره، ثم ترسم لنا حدود الحب المنصف العادل حينما يكون متساوياً في البذل والعطاء ومصداقية الشعور وفلسفة الشاعرية العذبة من خلال ما تطرحه من أفكار وما تنسجه من معانٍ وما تخلده من قيم لتشرئب روح القصيدة وتحيا إلى المدى أصالة وقبولاً وجمالاً ينتشر عبقه عبر الأجيال، رحم الله الشاعرة عوشه. فقد كانت نعم القدوة بنهجها الحكيم وفطرتها السليمة والقيم الأصيلة التي تبنّتها من خلال إرثها الأدبي والشعري.

معاني المفردات: رشا: صغير الغزال. فوعة الفلي: طيب وشذى الفل. المخدج: البادئ في الظهور. يختلّي: فقد توازنه. منعمين: يعيشون بنعيم العيش ورغده. توجيده: من الوجد والحزن. تجليده: الجلد قوة الصبر. جيده: الجيد العنق. أساويده: سويداء القلب ولب الفؤاد.

«إيطاليا القرن السابع عشر» بعيون «أمير الحداثة اللبناني»

رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا 1613 - 1618م

محمد عبد العزيز السقا

«إيطاليا القرن السابع عشر» بعيون «أمير الحداثة اللبناني»

رحلة الأمير فخر الدين المعني إلى إيطاليا 1613 - 1618م

محمد عبد العزيز السقا

رجل دولة محنَّك، ومحارب عنيد؛ ومؤسس لبنان الحديث، واجه بتوازن أكبر إمبراطورية في الشرق دفاعاً عن شعبٍ أرهقته المظالم والحملات العسكرية المتتالية من الولاة العثمانيين. هو الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي ساقه قدره إلى رحلة طويلة زادت عن خمسة أعوام سجل فيها انطباعاته ومشاهداته عن المدن والبلدان التي زارها أو أقام فيها، جاء الكتاب بعنوان: «رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا (1613 - 1618م)»، الحائز على جائزة ابن بطوطة للرحلة الكلاسيكية عام 2006م من تحقيق وتقديم قاسم وهب[1] ليضعنا أمام نص من أقدم ما دُوّن عن أوروبا في عصورها الحديثة، إن لم يكن أقدمها على الإطلاق، ولتصبح ملاحظات الأمير وانطباعاته عما استحدثه الأوروبيون شاهداً على مشروع نهضوي كان الأمير فخر الدين قد شرع في تنفيذه خلال العقد الأول من القرن السابع عشر، وسخّر لإنجاحه المال والرجال لولا أن خذلته الظروف، وبسقوطه خسر الشرق العربي مئتي سنة من فرصة مواكبة الحداثة والإسهام في صنعها.

وإذا كان أدب الرحلة الغربي قد عمل على تنميط الشرق والشرقيين بواسطة مخيلةٍ جائعةٍ إلى السِّحري والأيروسيّ والعجائبيّ، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب ركّز على تتبع ملامح النهضة العلمية والصناعية، وتطوّر العمران، ومظاهر العصرنة فانصرف الرَّحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة مدفوعين،بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة العميقة الجارفة في الاستكشاف واستلهام التجارب، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالةِ الشلل الحضاري التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها، وما الكتاب الذي بين أيدينا اليوم إلا صورة على ذلك[2].

صاحب الرحلة

فخر الدين بن قرقماس بن فخر الدين المعني، الملقب بسلطان البر، من بني معن من سلالة ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان، انتقل جدُ الأسرة «أيوب» من نجد إلى الجزيرة الفراتية بعشيرته، وعُرف نسلهُ هناك بـ«بني أيوب» إلى أن ظهر فيهم الأمير ربيعة الذي غادر الجزيرة ليُقيم في الجبل الأعلى من نواحي حلب، ثم خلفه ولده معن بن ربيعة جد الأسرة المعنية الذي صاهر التنوخيين أصحاب معرة النعمان، وخاض حروباً عظيمة ضد الإفرنج، ثم اضطر إلى الرحيل إلى سهل البقاع، ثم التحصن بالجبال العالية من لبنان المشرفة على البحر ليشن غاراته على الإفرنجة في السواحل البحرية، فعمّر واستوطن منطقة «الشوف»[3] وتقاطر الناس إليه.

وخلفه ولده الأميرُ يونس، وتحالف مع الشهابيين من حوران إلى وادي التيم فقويت شوكته.

ولد الأمير فخر الدين المعني الثاني في «بعقلين»[4] حاضرة «الشوف» سنة 1572م، وشهد في طفولته مجازر إبراهيم باشا بحق أهالي الشوف وفقد والده الأمير قرقماس وهو في الثانية عشرة من عمره، وتسلم إمارة الشوف وهو دون العشرين من العمر، ثم تولى سنجقيتي بيروت وصيدا، ودخل في صراع مرير مع الدولة العثمانية لتوسيع نطاق إمارته لتشمل سنجق صيدا والبقاعين، وصفد، ومدسلطته المباشرة وغير المباشرة إلى ما وراء طرابلس ووادي التيم، وبعلبك والبقاع، وكلّس وضواحي حلب، وحوران، وعجلون، وبانياس، وكسروان، والثغور البحرية، وبيروت. كما حاول الحفاظ على شعرة معاوية مع الباب العالي.

سبب الرحلة

عندما عقد الأمير معاهدات تجارية ناجحة مع دوق تسكانا وربح منها أموالاً طائلة مكنته من تقوية جيشه وتطوير إماراته خاف العثمانيون من استفحال أمره فصدر الأمر للسردار أحمد باشا الحافظ بالمسير إلى ابن معن واسترداد الحصون والقلاع التي بحوزته فأعد جيشا عظيماً يقوده أربعة عشر أميراً، وخمسون لواءً (سنجقاً) أطبق على بلاد المعني من البر والبحر، فنصحه مستشاره بضرورة مغادرة البلاد للحفاظ على حياته وحياة عائلته لحين استقرار الأمور خاصة أن جيشه شديد الولاء له وسيتولى مهمة الدفاع لحين عودته، وعندما سنحت الفرصة غادر الأمير ميناء صيدا على متن سفينة هولندية، ترافقه سفينتان فرنسيتان تحملان أسرته ومرافقيه، توجهت السفن الثلاث إلى دولة تسكانا، فوصلت إليها بعد أن اجتازت مخاطر جمَّة فرقت بين سفينة الأمير والسفينتين الأخريين، وصلت سفينة الأمير في الخامس والعشرين من أكتوبر، عام 1613م إلى أسكلة الفورنا (ليفورنو) بعد ثلاثة وخمسين يوماً من الإبحار، ثم بعدها بأربعة أيام وصلت السفينتان الأخريان.

بقي الأمير في منفاه الاختياري نحو خمس سنوات وشهرين تنقل خلالها بين مدن تسكانا، وصقلية، ونابلي، وسجل في المذكرات التي بين أيدينا اليوم انطباعاته عن تمدن الغرب، وكان لهذه التجربة الأوروبية أثرها العميق في سعي الأمير فخر الدين للحاق بدول أوروبا الناهضة، واقتباس ما يفيد بلاده من منجزاتها.

النص ولغة السرد

لا بد لقارئ هذه الرحلة من أن يغض الطرف عن المعايير البلاغية واللغوية ذلك لأننا أمام نص مكتوب باللهجة الشامية المحكية قبل أربعة قرون، فعندما يرى برج بيزا سيسميه (مادنة) مأذنة أي (مئذنة بالفصحى)، وعندما يقول طبت فهو يعني سقطت، والخزانة عنده خرستانات وهي كلمة فارسية، ومخزن السلاح هو الجبخانة وهي تركية، والسفينة الصغيرة اسمها عنده شخاتير، فهو نص طريف شكلاً ومحتوى، لأنه يعكس صورة الزمن الذي كتب فيه، لكن أهميته تكمن في كونه يعطينا تصوراً عن خطابهم اليومي، ولغتهم ومصطلحاتهم التي يتداولونها، وأدواتهم، وأشيائهم

قلعة الصليبيين البحرية - لبنان - صيدا

البسيطة، وملابسهم، وطرائق عيشهم، والفرق بين الدارج من كلامهم والدارج من كلامنا، ومدى قربهم أو بعدهم عن اللغة التي نقرؤها في مؤلفات زمانهم، وطريقتهم في التعبير عن المستجدات، وتعريبهم للدخيل من الأسماء، إلى غير ذلك من الأمور التي تثير فضولنا وتجعلنا أقرب إلى فهمهم ومعرفتهم، كما يمنحنا النص فرصة الإصغاء إلى ما يقوله عن البلاد القاصية والمغايرة في آن معاً في توقيت فارق من الزمن.

مسار الرحلة

بدأ الأمير فخر الدين رحلته في سبتمبر عام 1613م بحراً من ميناء صيدا، إلى تسكانا فمر بجزيرة كنديا ومنها أبحر إلى صقلية، ثم جزيرة سردينيا فجزيرة قرصقا (كورسيكا)، ثم رست السفينة في مينا الكرنة (ليفورنو) ميناء دولة تسكانا، ثم مر بمدينة بيزا فمرجانة متوجهاً إلى إفرنسيا (فلورنسا) لمقابلة الغران دوكا، ثم عاد إلى الكرنة لاصطحاب أسرته والإقامة في فلورنسا تحت رعاية الغران دوكا، وبدعوة من سلطان إسبانيا انتقل من فلورنسا إلى «مسينا» مروراً بـ «الكرنة» (ليفورنو) ومن «مسينا» قام بزيارة إلى بلاده، فرست سفينته في «الدامور» من ساحل لبنان ولم يتمكن من النزول إلى البر، ولكنه التقى بأهله وذويه وأعيان بلاده على متن السفينة ثم قفل راجعاً إلى صقلية فمرّ برأس الخنزير على الساحل السوري ومنها إلى بر القرمان (كرمان) من الأراضي التركية، ثم أبحر إلى جزيرة زنتو (زنته) من ساحل اليونان الغربي، ومنها إلى جزيرة الجفلونية (كفلونيا) ثم إلى جزيرة مالطة ليحل ضيفاً على حاكمها، ثم إلى جزيرة صقلية حيث يقيم مضيفه فيها. فقام بزيارة بعض مدن الجزيرة وموانئها مثل «باليرمو» و«مازورة» و«بلد الكريك»، ثم عاد إلى «باليرمو» لينتقل منها بمعية الدوق إلى «نابلي» ليقيم نحو سنتين. ومنها عاد أدراجه إلى بلاده مروراً بـ «مسينا» فميناء عكا حيث انتهت رحلة العودة بعد مضي خمس سنوات وشهرين على خروجه من البلاد.

من الرحلة:

تصف لنا الرحلة العديد من المشاهد والوقائع، بدءاً من مشاورات الانطلاق، وتردد الأمير في ركوب البحر، ومواجهة القرصان وما جرى للمركبين في البحر، ومدينة بيزا، ومدينة مسينا، ومدينة فلورنسا، وقصورهم، وأعيادهم وألعابهم، وقدم لنا أقدم وصف عن المسرح في أوروبا، وحفلات الرقص، ومتحف التاريخ والجغرافية والمتحف الحربي، والكنائس، وصناعة البارود، والبيمارستانات ونظامها، والأديرة، والبنوك ونظامها، والطباعة، ومزارع السمك، ومالطة، وصقلية، وبليرمو، ونابلي، والأسرى العرب، والأمير فخر الدين يرفض عرضاً لاعتناق النصرانية والكثير من الحكايا والمشاهد..

• مدينة بيزا

وهي مدينة كبيرة عظيمة لها صور، ونهر شاقّ المدينة، ويطلع فيه الشخاتير (يقصد السفن الصغيرة) والقوارب إلى مدينة فرنسيا. ومن النهر المذكور خليج إلى إليفورنا أخذه أبو الدوكا لأجل الشخاتير فيه إلى مدينة بيزا. وفي وسط المدينة المذكورة ثلاثة جسور عظام، وفي هذه المدينة المادنة (المأذنة أي «المئذنة بالفصحى» ويقصد برج بيزا المشهور الذي بني عام 1174م) العوجا وكانوا معلقين فيها النواقيس لأجل معرفة الساعات، ولحضور الصلوات، ويسمونها: «ماريّا»، وانعواج هذه المادنة «المئذنة» أمر عجيب من صناعة البنائين معمولة مربعة، وجميع الحيطان الأربعة رخام. مدماك رخام أبيض، ومدماك رخام أسود. وإذا رميت حصوة على مساحة حيطها من محل ضرب الناقوس، ونزلت إلى تحت، توجد الحصوة طبّت بعيد عن حيطها الذي قرب الأرض خمسة عشر قدماً؛ فيكون انعواج هذه المادنة «المئذنة» خمسة عشر قدماً، ولا يوجد بها أي خلل أو أي عيب في بنيانها أبداً!

• من أعيادهم وألعابهم

وفي ذلك الوقت صادف عندهم عيد المرافع الذي يقومون به قبل صيامهم الكبير، ويعملون في ذلك العيد لعباً متنوعة: من ذلك أنهم يعملون وجوهاً مصبّغة ويلبسونها، ويشيلون ما في باطن بيض الدجاج، ويحطون موضعه ماء الورد، ويتضارب فيه الأكابر بعضهم مع بعض ومع النساء. وأما الأصاغر يضعون ماء

المسرح الروماني في فولتيرا ، توسكانا ، إيطاليا

برج بيزا المائل

ورد موضع الماء، ويتضاربون فيه. ويضعون خودة على خشبة، ويضربون الخودة في الرمح والفرس راكض، والرمح يمسكونه من أسفله، والرمح كل ماله بيدق أعلاه... والرمح ما يكون له حربة، بل يكون في رأسه منزل رصاص حتى يعلّم موضع الضربة.

ويتسابقون بين الخيل في زقاق عريض في وسط المدينة من طول المدينة إلى عرضها أيضاً، ويقف الناس متفرجين على الخيالة، ويركّبون الأولاد الخيل وتتراوح أعمارهم من عشر سنين إلى عشرين سنة، ويركبون الخيل من غير سرج في اللجام...

• المسرح

كذلك يقومون في الليل باللعب والرقص، الرجال والنسوان في بيت كبير، ويعملون في البيت شي حتى يبان أنه بعيد، وله حُمرة مثل حُمرة السماء، وناس ماشية وسط الحمرة على نوع الملايكة. وكذلك يعملون في أرضية البيت لوالب خشب، ويغطونها بقماش على لون البحر، واللوالب والخشب تبقى تدور معهم وتحتهم حتى يبان أنه مثل مواج البحر، ويمشُّون فيه شختورة من تحت على عجل، ومن فوق تبان وكأنها ماشية على البحر. ويطالعون [فيها] مقدار خمسة عشر شباً مُرَدَاً من أحسن الناس، ويطلعون يعملون رقص ومحاكاة[5].

• بانوراما

... وكذلك يعملون صورة مدينة إفرنسيا، وصورة إليفورنا بنهرها وجسورها، ويعملون دواب بعجل معدّية على الجسور، حتى صورة إليفورنا في قلاعها وخندقها، وماء البحر دايرة على الخندق ويعملون أشياء كثيرة، وما شاكل ذلك، ولعب وأحوال عجيبة وغريبة.

• حفلات الرقص

وكذلك يرقص النسوان والرجال، كل من يرقص مع ندّه: امرأة الدوكا مع الدوكا على مراتب أكابرهم من البيوت، لأن عادتهم ما تحتجب النسوان عن الرجال لا في الرقص، ولا في الزقاقات، حتى إذا غاب الرجل تقعد المرأة تبيع في الدكان عوضاً عنه.

• متحف التاريخ والجغرافية

وأطلع الأوروبيون حكام المدن الأمير على مواضعهم، وعلى التحف الموجودة. وكانوا حاطينها في خرستانات وأبوابهم من شريط النحاس مسكرة بأقفال، وتبان الحوايج التي فيها من غير فتح. وجميع سلاطين الإسلام، ومشايخ العرب مصورينهم، حتى كرة الأرض، والسبع سموات من نحاس تدور.

حتى مصورين الوقايع والأكوان التي صارت قديماً، وأخيراً اليهود الذين صلبوا شبيه المسيح على لبسهم القديم، كل زمان بزمنه، حتى الأقاليم السبعة مصورينها ببحورها، وجزرها، ومدنها.

• المتحف الحربي

وعرضوا على حضرة الأمير الجبخانة، حتى كانوا مصورين صورة

المنجنيق القديم الذي بقوا يضربون فيه الحصارات، وجميع التصاوير من نحاس حتى لا يندرس.

• **الكنيسة القديمة**

ومن عجايب المدينة الكنيسة القديمة من برا رخام، وتصاوير الحواريون والتلاميذ بكلفة عظيمة، ولها مادنة (مئذنة بالفصحى) مربعة مبنية بالرخام الملون، ولها سلم الذي يطلع إلى القبة التي يضربون فيها الناقوس أربعمئة وخمسين درجة، ولكن درجهم منخفض، وقبتها من نحاس مطلي بذهب تتسع لعشرة رجال.

أثر الرحلة

عمل فخر الدين فور عودته من المنفى واستعادته المناطق التي كان خسرها وتوسع إلى أن أضحى والياً على عربستان من حدود حلب إلى العريش ولقب بسلطان البر بموجب فرمان سلطاني ليصبح «حاكم العرب من كرك الشوبك إلى جبل أنطاكية»، وعمل على تحسين الصناعة والتجارة، وشيَّد القصور، وحصَّن القلاع، وطوَّر الزراعة، وعقد المعاهدات التجارية مع قناصل الفرنجة، وانصرف إلى تعمير بلاده وتوفير الثروات فيها مقتدياً بالأوروبيين في تحديث بلادهم وترقيتها.

نهاية السعي

أعمال فخر الدين جعلته عرضة لسعايات مناوئيه لدى الباب العالي، حيث قام أحمد الكجك أحد رجاله السابقين - بعد أن ترك خدمته وأصبح وزيراً في الأستانة - بالوشاية به عند الباب العالي فما كان من السلطان إلا أن أسند إليه مهمة محاربة الأمير والاستيلاء على مناطق نفوذه. جمع الكجك العساكر من حدود بلاد الروم إلى حدود مصر، وهاجم بها بلاد الأمير المعني وبعد حرب ضارية خسر الأمير ابنه وجنده وانهكه القتال، فتحصن في مغارة جزين إلى أن اقتيد أسيراً إلى الأستانة حيث قُتل مع أولاده الثلاثة منصور وحيدروبلك، فخسر الشرق بمصرعه رجلاً عظيماً قال عنه المحبّي في خلاصة الأثر: «إن ابن معن بلغ مبلغاً لم يبق وراءه إلا دعوى السلطنة»، أما محمد كرد علي فقد قال فيه: «كان واسع الصدر، بعيد الغور والنظر، متسامحاً، يسير مع المدنية سير تعقُّل، فهو بلا مراء مثال الأبطال في عصره. وكان على أتم الاستعداد للحرب، وعلى معرفة بالإدارة وطبائع الأمة، ولولم تصرف الدولة العثمانية قوتها كلها في قتاله لعمل في الشام في القرن الحادي عشر ما عمله محمد علي الكبير في مصر في القرن الثالث عشر ولم يكن دونه ذكاءً ومضاءً ودهاء». وقال عنه عيسى

إسكندر المعلوف: الأمير فخر الدين أعظم الحكام المتأخرين حنكة، وأعرق الأمراء محتداً، وأنبغ الشرقيين سياسة».

في الرجل، ولكن رحلته لم تفنَ، وحجزت مكانها في خزانة أدب الرحلات ويبقى أن أقول للقارئ العزيز إن هناك متعة بمذاق فريد لا يسع المرء تفويته، فهذه دعوة ملحة لقراءة هذه الرحلة النادرة والاستمتاع بما فيها من مشاهدات تنطق بحقيقة أن الهوة بين الشرق والغرب لم تكن واسعة إلى الحد الذي نتصوره.

وإلى إبحار جديد في رحلة قادمة ■

باحث في أدب الرحلات

الهوامش:

1 - نُشرت رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا لأول مرة في مجلة الجامعة المصرية سنة 1924م ثم تلاها بعد عشر سنوات نشر نص الرحلة في ثنايا كتاب تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني لعيسى إسكندر المعلوف معتمداً على بعض مخطوطات تاريخ الأمير فخر الدين للخالدي الصفدي.

2 - نقلاً عن مقدمة سلسلة ارتياد الآفاق، محمد أحمد السويدي، بتصرف.

3 - إمارة الشوف لها أسماء متعددة عند المؤرخين منها: إمارة جبل لبنان، إمارة الشوف، إمارة جبل الدروز، وإمارة معان، والمؤسس لها هو الأمير فخر الدين المعني الأول، عاصمتها بعقلين ثم دير القمر ثم بيت الدين. التأسيس عام 1516م، والزوال بمعاهدة لندن عام 1840م.

4 - بعقلين من أجمل مناطق لبنان الجبلية، تبعد عن العاصمة بيروت مسافة 45 كيلومتراً.

5 - المحاكاة هنا بمعنى المحاورة، والحديث هنا عن المسرح والتمثيل، وفي نسخة المعلوف رقص ومحكي، وهذا أقدم وصف عربي للمسرح الأوروبي في بداية القرن السابع عشر، (قاسم وهب، المحقق).

المصادر والمراجع:

1. تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، عيسى إسكندر المعلوف، دار الحمراء للطباعة والنشر، 1997 م.

2. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، طبعة المكتبة الوهبية، 1868 م.

3. كتاب رحلة الأمير فخر الدين المعني 1613 - 1618م، تحقيق: قاسم وهب، دار السويدي للنشر، أبوظبي، 2006 م.

بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح

أفعال الزجر والمنع

محمد فاتح زغل

أكاديمي وباحث في التراث

اللهجة الإماراتية لهجة فصيحة في مفرداتها ومضامينها، فحروفها عربية، والمتحدث بها عربي، وحينما نعود إلى ألفاظ هذه اللهجة في مجال الزجر والردع سواء في التراث الإماراتي المحكي أو في الموروث المادي وغير المادي، أو في الشعر النبطي نجد أن الكلمات فصيحة من حيث اشتقاقاتها أيضاً، إنما طرأ عليها عبر الزمن بعض التغييرات من إقلاب وإضافة، لكنها ظلت عربية في دلالاتها ومعانيها.

والزَّجْرُ:الْمَنْعُ وَالنَّهْيُ وَ (زَجَرَهُ فَانْزَجَرَ) وَ (ازْدَجَرَهُ) (فَازْدَجَرَ).

وَ(الزَّجْرُ) الْعِيَافَةُ أَيْضاً وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَّكَهُّنِ. تَقُولُ: (زَجَرْتُ) أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا. وَ (زَجَرَ) الْبَعِيرَ سَاقَهُ وَبَابُ الثَّلَاثَةِ نَصَرَ.

ومن ألفاظ هذه اللهجة في الزجر قولهم:

أُصْ (أُصّ): يستعمل اسم الفعل هذا في هذه اللهجة بمعنى: أُسكت، ويظهر أن أصله: صه، على أن الهاء حذفت منه، لكثرة استعماله، وجيء بألف الوصل لتصحيح الابتداء بالساكن بعد تسكين الصاد، ويستعمل فيها أيضاً: صَهْ ومن ذلك قولهم:أُصْ ولا جِلمة (كلمة).

ومما يعد مرادفاً لهذه اللفظة في هذه اللهجة: انْطَبْ، كما في قولهم: انطب، طبّ الله لْسانَك، واقطع، كما في قولهم اكْطَعْ، كَطَع الله لْسانك.

اعْكِطْ (اعْقُطْ): يستعمل هذا الفعل بمعنى (ارْم)، كما في قولهم: اعْكِطْ فلان (ارمه بالحصا)، ويتبدى لنا أن هذا الفعل مقلوب من (اقْطع اعْكِطْ (اعْقُطْ) : ويُسْتَعْمَل هذا الفِعْلُ بمَعْنَى (ارْم) ، كما في قولهم: اعكِطْ فلان (ارمه بالحصا) ويتبدى لنا أن هذا الفعل مقلوب من (أقْعُط)، لأن من معاني القعط: السَّوق الشديد إذ يقال: قعط الدواب قعطاً، والكشف الشديد والطرد، وهذه المعاني تنبئ عن الرمي، يومكن أن يكون أصله: أَقطَ (صَرَعَ)، كما في قول العرب: أَقطَ قِرْنه (صرعه وضربه)، على أن فيه قلب الهمزة عيناً.

وتُطْلَقُ (اعْكَاطَه) في هذه اللَّهْجَةِ على الحِجابِ أَيضاً، (والمِعْوَكط) على المَرْكُوم.

زَنَّ: يستعمل هذا الفعل في هذه اللهجة وبعض اللهجات العربية كلهجة فلسطين والأردن للدلالة على الإلحاح، كما في قولهم: زَنَّ بالكلام والحديث، لا تْزنّ على فلان بالكلام، وهي دلالة تتبين، كما ذكر الأستاذ الدكتور غسان الحسن من حكاية الأزبير المستمر؛ لأن الإلحاح بالكلام شبيه بهذا الصوت ويظهر لي أن هذه الدلالة يمكن أن تتبدى من قول العرب أيضاً: زَنَّهُ بالخيروأزَنَّه (ظنه به، أو اتهمه): لأن الظن والاتهام قد يتراءى منهما الإلحاح وكثرة السؤال، ومن قوله: زنَّ عصبه (يبس) على الرغم من كونها من الصوت أول وأظهر.

مُصَرْقَع (مُصَرْكَع): المصركع في هذه اللهجة: الخفيف العقل غير الرزين، وهي لفظة - كما يرى الأستاذ الدكتور غسان الحسن - من: صَرْقَعَ أصابعه (غمزها حتى يسمع لمفاصلها صوت). والصَّرْقعَة في العربية: الفرقعة. كما في قولهم: سمعت لرجله صرقعة، وصِرْقَاعَة المقلاعة: طرفها الذي يصوت، وهذه المعاني يدور في فلكها المصركع في هذه اللهجة لأن كلامه وأفعاله تشبه الفرقعة.

اصْطَلِبي (اصْطِلْبي، اصْطَلْبي): يستعمل هذا الفعل في هذه اللهجة للدلالة على الاعتدال والاستقامة، كما في قولهم للمرأة: اصْطَلْبي وهي دلالة تتبين من قول العرب: صَلَبَه(جعله مصلوباً)، وأَصْلَبَتِ النَّاقَة: قامت ومدَّت عُنقها نحو السماء: لتدرَّ لولدها على أنه من باب (افتعل).

ونختم بقول ما أثر عن أبي الريحان البيروني الفارسي الأصل قوله: «والله لأَنْ أُهْجى بالعربية، أحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية» ■

ذكريات زمن البدايات (17) مع وزير الأمن

خليل عيلبوني

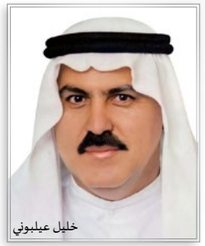
خليل عيلبوني

الأمن الذي تنعم به دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا الزمن، يرجع إلى الأساس القوي الذي وضعه القائد الراحل - المغفور له بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. كان - رحمه الله - يدرك جيداً أن الإنجازات جميعها التي يحققها في مختلف المجالات تعتمد بالدرجة الأولى على الاستقرار، والابتعاد عن موجات العنف الفكري والسياسي في الدولة التي كانت إلى حدٍّ بعيد نواة العالمية؛ فالوافدون القادمون إلى الدولة من مختلف أنحاء العالم يحملون معهم الاتجاهات السياسية والفكرية التي كانوا يمارسونها في بلدانهم الأصلية.

والوافدون العرب الموجودون على أرض الدولة في بداية السبعينيات من القرن الماضي، كانوا منتمين أصلاً إلى أحزاب وتيارات سياسية مختلفة. وعلى الرغم من ذلك، فإن الدولة فتحت أبوابها لهم، ولم تطلب منهم التخلي عن أي فكر أو اتجاه سياسي لديهم، كل ما طلبته هو أن أرض دولة الإمارات لا يمكن أن تكون ميداناً لأي صراع أو تناحر أو تنافر، كما أنه لا يمكن لأي شخص له سوابق في مجال الجريمة أن يعود إلى ممارسة الجريمة في هذا البلد الآمن.

مع وزير الأمن

وكان على رأس جهاز الأمن في أبوظبي أولاً ثم في الدولة كلها بعدئذ، ذلك الرجل الهادئ الباسم دائماً سمو الشيخ مبارك بن محمد آل نهيان، أول مسؤول ووزير للداخلية في دولة الإمارات العربية المتحدة. اللقاء الأول بيني وبين سمو الشيخ مبارك كان في مارس 1971، وذلك من خلال برنامج إذاعي كنت أعدّه، وأقدّمه في إذاعة أبوظبي بعنوان: «الشرطة في خدمة الشعب». وكانت تشرف على البرنامج إدارة العلاقات العامة في جهاز شرطة أبوظبي، وكان المسؤول في ذلك الوقت الأخ إبراهيم أبو ذكري من جمهورية مصر العربية الذي اختار فيما بعد العمل الحر فأنشأ شركة إنتاج إعلامي في أبوظبي، ثم أكمل مشروعه الخاص في مصر، بعده تسلّم إدارة العلاقات الملازم حسن الحوسني، وقد استمتعت بالعمل بمعيته ومن خلاله، وقد وصل الأخ الحوسني إلى رتبة عالية. في ذلك اللقاء الأول مع سمو الشيخ مبارك بن محمد آل نهيان أدركت أنني أمام رجل أمن مختلف عن الصورة التي رسمتها لوزراء الداخلية أو مسؤولي الأمن العرب الكبار. كنت أتهيب دائماً اللقاء بمسؤول أمني كبير، وأشعر أن هناك حواجز تحول بين أولئك المسؤولين الأمنيين والإنسان العادي. مع سمو الشيخ مبارك أدركت أنني أمام إنسان طيب ودود، يحترم الناس ويصادقهم بغير تحفظ. وقد استطاع اللقاء الأول بيني وبين الرجل أن يزيل ذلك الشعور بالحذر أو التهيب؛ فسمو الشيخ مبارك ينتمي أولاً: إلى الأسرة الحاكمة، وهو ثانياً: أكبر مسؤول أمني في الدولة. ببساطة، وبغير مقدمات، تحوّل الحديث بيني وبين الرجل إلى حديث ودي تناولنا فيه مختلف القضايا الاجتماعية والإنسانية التي طغت على السطح في ذلك الزمن. وفوجئت أن الرجل مثقف جدّاً، وأنه يعرف الكثير عن الاتجاهات السياسية لدى الوافدين العرب حتى الأجانب خاصةً القادمين من الهند وباكستان. كما وجدت فيه ذلك العربي الأصيل المؤمن بوحدة أمته العربية، والممتلئ بالحب لها، والمتمكن من معرفة تاريخها في عصوره المختلفة.

ما أذكره جيداً، ولا يمكن أن يمسح من ذاكرتي هو حب الرجل لقائده الشيخ زايد؛ فقد كان دائماً إلى جانبه لا يفارقه إلا لإدارة عمله الذي كان باختصار بناء جهاز أمني قادر على حماية الدولة ومكتسباتها وإنجازاتها في مختلف المجالات. بنى الرجل جهازاً بشرياً رائعاً: أرسل شباب الإمارات إلى مختلف المعاهد والكليات الأمنية في الأردن ومصر وحتى إنجلترا، وتمكّن بعد تخرجهم من الاعتماد عليهم في وضع الأساس القوي الصحيح الذي قام عليه جهاز الأمن في دولة الإمارات العربية المتحدة.

لم تكن هناك أبواب مسدودة بينه وبين رجاله الأوفياء، ومازال أولئك الرجال يذكرونه بالحب والاعتزاز؛ فهو دائم السؤال عنهم واحداً واحداً، يحضر إلى ناديهم، ويمارس لعبة السنوكر «البلياردو» معهم، كأنه واحد منهم: يمازحهم ويلاطفهم بغير تصنع ولا افتعال. ولذلك أحبه رجاله، وتفانوا في عملهم لإرضائه، وتحقيق الهدف الكبير الذي أراده قائد المسيرة.

التزام بلا مراقبة

في ذلك الزمن، وبفضل أولئك الرجال، كنا ننام ملء أعيننا لا نهتم بإغلاق أبواب بيوتنا، ولا نخشى على سياراتنا المتوقفة في العراء تحت العمارات والبيوت التي نسكنها، ولا نخاف من السير في الشوارع قبل منتصف الليل وبعده. في ذلك الزمن الجميل لم يكن يجرؤ أحد على السير بسيارته بسرعة تزيد على الستين كيلومتراً في الساعة داخل المدينة، ومئة كيلومتر على الطرق الخارجية، ولذلك كانت حوادث السير نادرة وغير خطرة على الإطلاق، برغم عدم توافر الرادارات وأجهزة المراقبة التلفزيونية وطائرات الهيلوكبتر وغيرها من الإمكانات الحديثة المتطورة التي تعتمد على آخر ما توصلت إليها التكنولوجيا في مجال الأمن والسلامة على شوارع أبوظبي.. فعل ذلك بكل حب، وبكل قناعة أنه يخدم وطنه، ويعلي راية الأمن والسلامة فوق كل شارع وكل بيت وكل شبر من الأرض والبحر في دولة الإمارات العربية المتحدة.

ولقد أثر سلوكه العسكري في حياته وحياة رجاله فمواعيده دقيقة، تستطيع أن تضبط ساعتك على وقت دخوله إلى مكتبه ووقت خروجه منه إلا إذا اضطر لترك مكتبه ليلتحق بالقائد أو لحضور اجتماع وزاري أو لقاء أمني خارج مكتبه، وهذا السلوك كان القاسم المشترك بينه وبين جميع ضباط وأفراد رجال الشرطة وجهاز الأمن في ذلك الزمن. كان الرجل نشيطاً يتمتع بنحافة تجعل حركته خفيفة، وخطواته سريعة وتنقلاته كثيرة، وفي كل مرة كنت أراه فيها كانت ابتسامته المشرقة على وجهه تؤكد روح التفاؤل التي كان يتمتع بها، والثقة التي كانت تصدر عنها أقواله وأفعاله. وبرغم الحادث المؤسف الذي تعرض له سموه إلا أن ابتسامته المشرقة كانت ترتسم على وجهه، حين يلتقي بأبناء وطنه وبالوافدين الذين أحبوه منذ كان فارس الأمن وصانع الأمان في بلد الحب ووطن الإنسانية دولة الإمارات العربية المتحدة.

ولقد شهدت أعظم أمثلة الوفاء، عندما وجدت المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، وجميع شيوخ آل نهيان الكرام، بل وجميع حكام وأولياء عهود الإمارات يحرصون على زيارة هذا الفارس في المناسبات وفي جميع الأوقات، ويطبعون على جبينه الطاهر قبل الحب والتقدير والوفاء.

هذه هي الحضارة، وهذا هو الوفاء الذي أعدُّ نفسي من المحظوظين الذين عاشوا في دولته وفي وطنه وفي مجتمعه الرائع العظيم، ولا أبالغ إذا قلت: إن صورة الوفاء الجميلة هذه لم ترها عيناي في أي مكان في العالم إلا هنا في دولة الإمارات العربية المتحدة حيث تزداد قامات الرجال طولاً بانحناءات الحب والوفاء ■

إعلامي وشاعر

المغفور له الشيخ مبارك بن محمد آل نهيان

«رحلة في عوالم الإبل والإنسان».. طواف في أعماق الذات الإنسانية

الفاضل أبو عاقلة

يرصد الكاتب والمترجم عبد الله ميزر عبر كتابه «رحلة في عوالم الإبل والإنسان» الصادر حديثاً عن دار المحيط في الفجيرة، عوالم الإبل ومشاعرها ويستقرئ سلوكيات بشرية إزاء المواقف الإبلية المتنوعة في بقاع عديدة من العالم. تتخلل صفحات الكتاب مشاعر السخط والحزن والفقدان والإرادة والخوف والشجاعة والحب والسكينة؛ مشاعر يتشاركها البشر مع مخلوقات أليفة رسمت تاريخنا البشري في حقبة معينة، ولا تزال تؤدي هذا الدور في بقاع جغرافية مختلفة.

يبدو الكتاب للوهلة الأولى موغلاً في تركيزه على عالم الإبل والظروف التي تعيش فيها هذه المخلوقات المباركة، إلا أنه يعكس الجانب الإنساني الكامن في الإبل ويستقرئ سلوكيات بشرية إزاء المواقف الإبلية المتنوعة. يأتي هذا العمل ليعمّق من فهمنا لذواتنا، وليعزّز من إنسانيتنا في عوالم قد تبدو لبعضهم بعيدة عما اعتدنا على تصنيفه في خانة الإنسانية. يقول عبد الله ميزر: «أحاول في هذا العمل أن ألقي الضوء على المشاعر والعواطف التي يمكن أن تتشكل خلال علاقتنا مع محيطنا بكل ما يحتويه سواء المكان أو الكائنات الأخرى التي تحيط بنا. أبطال هذا الكتاب شخصيات إبلية بالدرجة الأولى مثل إنجن تيمي وبوتوك وآسكو وسارا وغيرها، لكن لا يقف الكتاب عندها فقط، بل يتخذها معبراً لإضاءة جوانب إنسانية معتمة في دواخلنا، ولا تظهر إلا في ظروف معيّنة؛ إذاً نحن هَنا أمام شخصيات تتبادل الأدوار التفاعلية، لتكشف عن عوالم نفسية جديدة نحن بأمسّ الحاجة إلى فهمها في كوكب يزداد تعقيداً واضطراباً وعزلة يوماً بعد يوم».

عن بداية علاقته مع عالم الإبل، يقول عبد الله ميزر: «في نهاية عام 2015، عندما كنت أكتب مقالات في الحقل السينمائي والثقافي لصالح مواقع وصحف عربية، صادفت مجلة الإبل الصادرة عن مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام الذي أغلق منذ بضع سنوات، حينها تذكرت أنني شاهدت فيلماً مهماً ترك تأثيراً خاصاً في نفسي عند مشاهدته وهو «دموع الناقة»، فراسلت إدارة التحرير التي رحبت بالفكرة. ثمّ قرأت كتباً عن الإبل وشاهدت أفلاماً أخرى جميلة، والتقيت بمدربي الإبل وراسلت من لم أستطع لقاءهم بالتنسيق مع إدارة التحرير. والمدهش، أنني كلما كنت أقرأ أو أشاهد جديداً، كنت أشعر بالانبهار من هذا العالم الذي يحمل في جوهره تفاصيل وتواريخ ومفارقات وتعقيدات كثيرة».

ويضيف ميزر: «لكن بدأت فكرة الكتاب فعلياً عند زيارة لي مع عائلتي إلى محمية المرموم الصحراوية في دبي خلال جائحة كورونا، حينما كانت عمليات الإغلاق والعزلة تلقي بظلالها على نفوسنا وحياتنا. في تلك الرقعة الجميلة، لوّح طفلي الصغير للجمال التي كانت على مسافة بعيدة منا بعض الشيء، فاقتربت وكأنها لبّت نداءَ هذا الطفل الذي يرغب في رؤيتها والتعرّف عليها، أو ربما كانت هي بدورها قد اشتاقت للبشر، لأنها لم تعد تراهم خلال الجائحة. هذه الاستجابة ولّدت لديّ شعوراً غريباً، بدا الأمر وكأنه تفاعل بين لغات الطبيعة، أو شكل من المعانقات البريئة، مشهد يجمع براءة الطفل وبراءة هذه المخلوقات التي قال الله فيها: «أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ» [الغاشية:17]، وأعادتني إلى عوالم الإبل، لأستكمل الرحلة البحثية والقرائية عنها، فأجد نفسي أمام كمّ كبير من المعلومات التي أردت أن أقدمها لمن يعشق هذا العالم، أو حتى لمن يرغب في الاطلاع على أجواء مهمة ربما لم تعد تمتّ إلى العالم الحديث بصلة».

يؤكد ميزر أن الكتاب لا يُعد عملاً بحثياً وفق منهجيات أكاديمية بحثية، بل على حد تعبيره هو عمل منوّع ينهض على تفاصيل متعلقة بمخلوق له الفضل الكبير على شعوب عديدة عبر التاريخ البشري المديد. من جانب آخر ابتعد الكاتب عن تقديم تحليلات وآراء شخصية عن الأفلام أو الكتب وموضوعات الكتاب، حرصاً على استعراض القصص والشخصيات وطبيعة الأمكنة.

بنية الكتاب

عن مكونات الكتاب وفصوله يوضح ميزر: «يتألف الكتاب من أربعة أجزاء تضم مراجعات وحوارات وموضوعات عامة وقراءات في كتب. نشرت عدداً من هذه الكتابات ما بين الأعوام 2015-2018 في مجلة «الإبل»، وكتابات أخرى اشتغلت عليها لاستكمال هذا العمل. أقدم في الجزء الأول مشاهدات سينمائية ووثائقية ألخص وأراجع فيها صورة الإبل وعلاقتها مع رعاتها، والمشاعر التي تنتاب الإنسان في البيئات الصحراوية القاسية سواء في منغوليا أو أستراليا أو الهند وغيرها، وتتضمن الأفلام موضوعات تدور حول مشاعر الأمومة والتراث المنغولي الصحراوي في «دموع الناقة»، وقصة فتاة أسترالية شعرت بخيبة أمل من كل شيء حولها، فأعادتها مجموعة من الجمال إلى الحياة بعد رحلة معها في فيلم «سيدة الإبل»، وتاريخ رعاة الإبل المسلمين في أستراليا؛ وعلاقة البشر مع الإبل في بلوشستان وراجستان، كما أتطرق إلى التصميم التشريحي الفريد في خلق الإبل، وغيرها من الموضوعات السيكولوجية عن علاقة البشر مع محيطهم». ويضيف الكاتب: «آثرت أن أضع في الجزء الثاني بعض الحوارات التي أجريتها مع رعاة الإبل ومدربيها الذي أدركوا أهمية هذه المخلوقات في الحياة البشرية، والإمكانات الاستثنائية التي يمكن أن تقدمها على مستويات عديدة. واخترت ثلاثة حوارات وهي مع: أوزبورن روسل الأسترالي الذي خاض رحلة طويلة حضر لها لـ13 عاماً، واستغرقت

يرصد الكاتب والمترجم عبد الله ميزر عبر كتابه «رحلة في عوالم الإبل والإنسان» الصادر حديثاً عن دار المحيط في الفجيرة، عوالم الإبل ومشاعرها ويستقرئ سلوكيات بشرية إزاء المواقف الإبلية المتنوعة في بقاع عديدة من العالم.

معه سنتان، تاركاً وظيفته كأستاذ جامعيّ ليتفرغ لتدريب الإبل مع زوجته تارا، والحوار الثاني مع هانه بيرس التي اشتهرت في أستراليا برعايتها الإبل واستخدامها تقنيات تخاطب الإبل بلغة الجسد، والحوار الثالث مع الأمريكية كلارك مكنيكول التي عانت إصابة خلال عملها في التدريس في الإمارات، ثم اكتشفت أن جزءاً من علاجها هو شرب حليب النوق، فألفت كتاباً عن تجربتها».

يستعرض الكاتب في الجزء الثالث حكايات عن الإبل والبشر، يقول: «أقدم في الحكايات نماذج عن كيفية تغيير الإبل مجتمعات مهمشة في أفريقيا وآسيا، وتحسين مواردها الاقتصادية، كما أستعرض جوانب من الانتهاكات التي عانتها الإبل، فمثلاً في «همسات الإبل في كاليفورنيا» أتطرق إلى قصة الأمريكي جيل ريغلر في تغيير الصور النمطية السلبية عن الإبل في الولايات المتحدة، وأستعين بتقرير صحافي للهندية بارول أغراوال عن الاعتداءات بحق الإبل في بلادها، وكيفية إلحاق الأذى بمشاعر

مربيها في ولاية راجستان، كما أوضح تأثير تغير المناخ على حياة الناس في كينيا، وعودتها إلى الإبل في كسب لقمة عيشها، وعلى وجه التحديد حليب النوق الذي لعب دوراً في تعزيز مكانة المرأة في هذه الدولة الأفريقية».

عن الفصل الرابع والأخير يقول عبد الله ميزر: «ترددت في نشر الفصل، إلا أنني أيقنت أنه يمكن أن يكمل ما بدأنا به، لأن التفاصيل الغنية عن الكتب المتخصصة في الإبل لا يمكن إيجادها بسهولة، ما يشكّل عامل إضافة عن الطبيعة الجسدية الخاصة بالإبل. تساعدنا هذه الكتب على فهم الطبيعة الفيسيولوجية للإبل، وهي: أقدم كتاب عن الإبل في الولايات المتحدة للكاتب والدبلوماسي الأمريكي الراحل جورج مارش كتبه في عام 1856، وكتاب الباحثة الألمانية البروفيسورة إلز كويلر رولفسن الصادر في عام 2014 بعنوان: «كارما الإبل: عشرون عاماً بين رعاة الإبل في الهند»، وكتاب «دليل ميداني في معالجة أمراض الإبل» لثلاثة باحثين هم: إلز كويلر رولفسن، وبول ماندي، وإيفيلن ماتياس، ويتميز هذا الكتاب بقدرته على الجمع بين الطرق العلاجية التقليدية والحديثة، ويقدم للقارئ مجموعة خيارات عن المشكلات التي تهدّد صحة الإبل بشكل عام، ومحتوى الكتاب ومعلوماته مبنية على خبرة عشرين متخصصاً

> يبدو الكتاب للوهلة الأولى موغلاً في تركيزه على عالم الإبل والظروف التي تعيش فيها هذه المخلوقات المباركة، إلا أنه يعكس الجانب الإنساني الكامن في الإبل ويستقرئ سلوكيات بشرية إزاء المواقف الإبلية المتنوعة. يأتي هذا العمل ليعمّق من فهمنا لذواتنا، وليعزّز من إنسانيتنا في عوالم قد تبدو لبعضهم بعيدة عما اعتدنا على تصنيفه في خانة الإنسانية

في الإبل خلال ورشة مكثفة في منطقة «بوني» في الهند في نوفمبر 1997، وكان من بين المشاركين أطباء وباحثون في مجال الإبل والثروة الحيوانية وخبراء من الهند وكينيا وعُمان، والمملكة العربية السعودية، والصومال، والسودان وغيرها. أما الكتب الأربعة الأخيرة فهي للأستاذ الدكتور مرزوق بن محمد العكنة، مدير مركز أبحاث الإبل في جامعة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية. تتناول الكتب موضوعات عن العائلة الإبلية المنتشرة في جميع قارات العالم، والخصوبة والإنجاب والحمل والولادة لدى النوق» ■

كاتب وصحفي من السودان

الإنسان والأثر

حمزة قناوي
شاعر مصري

تتوزعُ مسارات حياة الإنسان بين كثيرٍ من الطرق التي تحددها الغايات والأهداف التي يأمل في تحقيقها، وتتنوع هذه المسارات بين طموحاتٍ عمليةٍ وتطلعاتٍ ماديةٍ وأخرى معنوية، من هنا يجد الإنسان نفسه في حراكٍ دائمٍ من أجل الوصول إلى أحلامه، وفي ذلك الحراك لا يتوقف عن التعلم والتأمل والمحاولة وإدراك قيم الصبر والسعي والجَلَد، والإخفاق والنجاح، والتعثر والنهوض والمواصلة. هذه الخبرات كلها العملية والنفسية المُكتسبة، تمثل الحياة ذاتها بما تحمله من ألمٍ وأمل، وصولاً إلى اكتمال دائرتها. غيرَ أن الإنسان، في سعيه المستمر للوصول إلى أهدافه، قد لا يفكر في التوقف لحظةً ليتأملَ مساراً وطريقاً آخرَ أكثرَ عمقاً وأطول مسافةً، طريقاً خفياً لا يراه سوى المرهفين ومن استمعوا إلى أصوات أرواحهم الخافتة والبعيدة، وهو الطريق إلى الذات.

إن الإنسان هو «العالَمُ الأكبر»، عالَمٌ بذاته، وخفايا النفس الإنسانية مازالت تخضع للدراسة والتحليل من خلال علم النفس وعلوم السلوك الإنساني إلى اليوم بعد مئات السنين من بدئها، ومازالت تصل إلى نتائج جديدة كل يوم، وهو ما يشير إلى حقيقة تشعب النفس الإنسانية وعمقها وعدم إحاطة الإنسان بكل خلجاتها وطبيعتها إلى اليوم. وفي رحلة مجاهدة إنسان العصر مع ذاته، في الطريق إلى الاقتناء والتحقق ومراكمة الوفرة، والأسفار الطويلة واكتشاف العالم، والإثراء، وتأمين مادية الحياة، يغفل الإنسان في ظل كل ذلك العمل الدائب والحراك المتواصل، عن حقيقته، عن ذاته البعيدة وصوت نفسه الخفية وأعماق روحه التي لا تقاس حقيقتها بماديات الحياة وظواهرها وشواغلها، وإنما بالتوازن الروحي والانسجام بين جوهر مسعاه وما تطمئن له روحه في هذا السعي إلى اكتشاف هذا الجوهر، وكم يضل الإنسان حين ينسى ذاته الحقيقية ويغفل عنها بينما يركض خلف أشياء العالم التي سيتركها يوماً ما حين يغادره، دون أن يترك أثراً حقيقياً ارتبط بروحه ولازم ذاته، إنما ترك «موجودات» سيلتقطها الآخرون ليتوارثوها بدورهم.

إن رحلة الطريق إلى الذات تبدأ بالشعور بهذه الذات من الأساس، أن هناك عالماً آخر عميقاً في داخل الإنسان يحاول العالم الخارجي التشويش عليه طوال الوقت لتغييبه عن صاحبه، وعندما يدرك الإنسان هذه الذات ويحاول اكتشاف خباياها في مسعاه ليتصالح مع حقيقته ويخرج بها إلى الحياة بما ستتمثله من أفكارٍ وقيم وقناعات، سيكون لزاماً عليه مجاهدة نفسه، والصبر على مكاره الحياة، والانشداد إلى قيم الحق والخير على حساب الأنانية وحب الذات، أن يرى نفسه في الآخر، وأن يكون هو نفسه ذلك الآخر، أن يصفي قلبه من العلل إلى أن تشف روحه وتصفو وترهف السمع إلى أنّات الآخرين وآلامهم، ليجد الإجابة عن السؤال الأهم في رحلة اكتشاف ذاته، ما الذي يمكنه فعله ليغير العالم ولو قليلاً، ليصبح مكاناً أفضل وأقل إيلاماً للبشر؟ إن الإنسان أثر، والحياة تنتهي رحلتها في نهاية المطاف، ولا يبقى منه سوى ما تركه من عملٍ وقيمةٍ وما انتفع به الآخرون من خير قدّمه، ولا يمكن للإنسان أن يترك أثراً ما لم يعرف كينونة وجوهر هذه الذات التي ستخط الأثر قبل أن تفارق البصر.

في رحلة الوصول إلى الذات، مصاعب كثيرة ومشاق، وترك لظواهر العالم وإغراءاته، ومجاهدة النفس لرغبات التملك، واختيارها أن تسلك طريقاً منفرداً وبعيداً عما سار فيه الآخرون راكضين خلف المكرر والنمطي والزائل، طريقاً ذهبياً يوصل إلى حقيقة الإنسان المملوءة بالرحمة والخير وتمثُّل العالم في حقيقته الحرة، حيثُ الإنسانية هي معيار كل شيء وحقيقته ■

الأرشيف والمكتبة الوطنية.. منارة ثقافية وحارس أمين على ذاكرة الوطن

جمال مشاعل

شهد الأرشيف والمكتبة الوطنية تطوراً كبيراً؛ إذ لم يعد مجرد حاضن للسجلات والوثائق التاريخية، فقد ازداد انتشاراً ليصبح منارة ثقافية تهدي الباحثين والمهتمين إلى تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة الموثق، وغدا الشريك الأساسي للمؤسسات التربوية في التنشئة الوطنية للأجيال، وامتدت أنشطته وفعالياته لتكون أساسية في المناسبات الوطنية في مختلف أنحاء الدولة وخارجها حاملة إلى الجميع نفحات من ذاكرة الوطن ومآثر المؤسس والباني المغفور له - بإذن الله تعالى- الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ومناقبه.

وعبر مبادراته الوطنية الرائدة غرس الأرشيف والمكتبة الوطنية في نفوس أبناء المجتمع قيمة التاريخ والتراث، وأهمية الماضي في صياغة الحاضر واستشراف المستقبل، وفي المرحلة الحالية وضع الأرشيف والمكتبة الوطنية الأساسيات التي تمهد الطريق لتسطير الفصل المقبل والحافل من تاريخه؛ حيث تتطلع الإمارات إلى أن تكون في مقدمة دول العالم، وهذا يقتضي أن يكون أرشيفها في مقدمة الأرشيفات العالمية.

لقد أدرك الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أهمية الأرشيف، فأمر بإنشاء مكتب الوثائق والدراسات عام 1968 وهو الاسم الذي كان يعرف به «الأرشيف والمكتبة الوطنية» في بداية نشأته، لكي يوثق تاريخ أبوظبي، وتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، ويعدّ هذا الإنجاز من الرؤى المستقبلية السديدة التي عُرف بها حكيم العرب. ويعد الأرشيف والمكتبة الوطنية بمحتوياته من السجلات والوثائق التاريخية ترجمة حقيقية لقول الشيخ زايد: «من لا يعرف ماضيه لا يستطيع أن يعيش حاضره ومستقبله»، فهو بوابةُ الحاضر على الماضي، وتمهيدٌ لبلوغ المستقبل الزاهر.

وعبر رحلته التي تمتد خمسة عقود ونصف العقد استطاع الأرشيف والمكتبة الوطنية أن يحقق موقعاً متميزاً على صعيد المؤسسات المماثلة في الشرق الأوسط والعالم؛ إذ إنه من أقدم المؤسسات الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وأكبر مركز وثائق في منطقة الخليج العربي، وهو يقوم بجمع المواد التاريخية القيّمة المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة

بشكل خاص ودول الخليج العربي بشكل عام، ويعمل على توثيقها وفهرستها وحفظها في أماكن أعدت خصيصاً لحفظها، وفق أحدث التقنيات، وقد سخر هذه المقتنيات من أجل إصدار عدد كبير من المصادر والمراجع التي أثرى بها المكتبة المحلية والعربية والعالمية.

لقد أكد الأرشيف والمكتبة الوطنية ما قاله آرثر ج. دوتي، وهو واحد من أنجح خبراء الأرشيف في بدايات القرن العشرين: «الأرشيف أثمن الأرصدة القومية جميعاً؛ فهو هبة يقدمها جيل للآخر، ويقاس مستوى حضارتنا بمدى محافظتنا عليه»، فما يحتفظ به من كنوز وثائقية تتمثل بالوثائق التاريخية المكتوبة، والصور الفوتوغرافية، والخرائط الجغرافية، والوسائط المتعددة جعلته موئلاً للباحثين والأكاديميين من داخل الدولة وخارجها، ومرجعاً لعامة الناس، وقد استطاع الأرشيف والمكتبة الوطنية أن يغيّر النظرة السلبية التي كرستها الدراما عن مصطلح «الأرشيف»، فقد أصبح في وقتنا الحالي الخزانة الأهم للتاريخ، وتعود أهمية الوثائق الأرشيفية التي يحتفظ بها إلى قيمة ما فيها من معلومات، وإلى أثر هذه المعلومات في تاريخ الدولة، وفي حياة الأفراد والعائلات والمؤسسات، وتُبنى الدراسات الأكاديمية على هذه المعلومات الصحيحة والموثقة التي لا تحتمل الشك، ولذلك فلا بد من الأرشيف لكتابة التاريخ، لأنه هو الذي يوثق إنجازات الدولة وتفاصيل سير مؤسساتها والجوانب المهمة في

شهد الأرشيف والمكتبة الوطنية تطوراً كبيراً؛ إذ لم يعد مجرد حاضن للسجلات والوثائق التاريخية، فقد ازداد انتشاراً ليصبح منارة ثقافية تهدي الباحثين والمهتمين إلى تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة الموثق

حياة أبنائها، ويحملها إلى الأجيال اللاحقة.وقيمة المؤسسات الأرشيفية كمؤسسات فاعلة في الدولة تعود لما يقدمه الأرشيف من تعريف بالإرث التاريخي المحفوظ الذي يمثل ذاكرة الشعوب، وهو يفتح آفاقاً جديدة أمام الباحثين والمؤرخين.

الإمارات.. تاريخ مجيد وتراث عريق

يضم الأرشيف والمكتبة الوطنية أكثر من 3 ملايين وثيقة تاريخية ترصد التاريخ الحافل والعريق لدولة الإمارات العربية المتحدة التي استطاعت أن تسطّر معجزة عظيمة بقيام اتحادها وبلوغها ذروة الرقي والازدهار في زمن قياسي، وقد أسفرت جهوده، على صعيد تنمية مقتنياته وتعزيز إتاحتها عن اقتنائه، أرشيفات عدة تضمّ عدداً كبيراً من الوثائق؛ حيث يضم أرشيف قصر الحصن، والأرشيف الأمريكي، والأرشيف البريطاني، والأرشيف البرتغالي، والأرشيف العثماني، والأرشيف الهولندي، والأرشيف الفرنسي، والأرشيف الألماني، والأرشيف الفارسي.. وغيرها.

التاريخ الشفاهي في صلب اهتماماته

ويحرص الأرشيف والمكتبة الوطنية على جمع التاريخ الشفاهي وحفظه، وفي هذا المجال أجرى قسم التاريخ الشفاهي منذ تأسيسه عام 2009 نحو ألف مقابلة؛ بهدف توثيق الذاكرة الشفاهية للرواة من كبار المواطنين بأصواتهم وتعابيرهم، وتدوين تسلسل الأحداث التاريخية وتسجيلها؛ إذ تُعدّ روايات هؤلاء الأفراد مرجعاً تاريخياً، وهي مهمة في توثيق ما لم يُرصد في الوثائق المكتوبة، وقدم الخبراء والمتخصصون في الأرشيف والمكتبة الوطنية العديد من الدورات التدريبية للباحثين والمهتمين والطلبة، في مجال جمع التاريخ الشفاهي وحفظه وتوثيقه وإتاحته، وتم تسخير أرشيف التاريخ الشفاهي من أجل إصدار سلسلة مجلدات «ذاكرتهم تاريخنا».

كنوز تاريخية أخرى

لقد تضافر في الأرشيف والمكتبة الوطنية الاهتمام بالتاريخ والتراث مع الاهتمام بأحدث التقنيات الرقمية التي تحفظ ماضي الآباء والأجداد للأجيال القادمة، وفي الوقت الذي يتيح الأرشيف والمكتبة الوطنية مقتنياته للباحثين والأكاديميين والطلبة والمهتمين بتاريخ دولة الإمارات ومنطقة الخليج، استطاع أن يحتفظ في أرشيفاته بمئات آلاف الصور التاريخية، وبأكثر من 1120 خريطة تاريخية وآلاف الوسائط المتعددة.

ويحفظ الأرشيف والمكتبة الوطنية السجلات الحكومية لدولة الإمارات العربية المتحدة وينظم عملية تحويل الأرشيفات من المؤسسات الحكومية وفقاً لضوابط حددها القانون الاتحادي رقم 7 لسنة 2008 بشأن الأرشيف والمكتبة الوطنية، وعلى ضوء مواد هذا القانون ولائحته التنفيذية فإنه جرى حفظ الوثائق الحكومية في أفضل الظروف، وقد استقبل الأرشيف والمكتبة الوطنية آلاف المواد الأرشيفية.

مبنى: ذراع الأرشيف والمكتبة الوطنية لإنقاذ الوثائق وحفظها

ويتبع الأرشيف والمكتبة الوطني مبنى مركز الحفظ والترميم، وهو صرح تحتضنه أبوظبي لكي يحتفظ بالرصيد الوثائقي من التلف والضياع، ويظل حارساً أميناً على تاريخ الوطن، ومسيرة المنطقة الحافلة بإرث تاريخي وإنجازاتٍ وطنية خالدة، ويحتوي المركز على مستودعاتٍ كبيرة مؤهلة بأحدث التقنيات، وأرقى المعايير والممارسات المُتبعة عالمياً في حفظ الوثائق التاريخية وأرشفتها،

وعلى مختبر فيه أجهزة وأدوات تقنية متطورة تسهم في معالجة الوثائق التاريخية وترميمها وإنقاذها من التلف، وتبدأ هذه الإجراءات بإزالة عوامل التلف عن الوثائق، ثم حفظها بالطرق المثالية، وقد شيد هذا المبنى بهدف حفظ الملفات التاريخية الحكومية والرسمية تنفيذاً لمتطلبات القانون الاتحادي رقم (7) لسنة 2008 بشأن الأرشيف والمكتبة الوطنية، ويعد مركز الحفظ والترميم الذي يشغل أكثر من 40 ألف متر مربع مكملاً للدور الذي يؤديه الأرشيف والمكتبة الوطنية على صعيد جمع الوثائق التاريخية وحفظها.

تشخيص الأرشيفات الحكومية وتنظيمها، وتأهيل الأرشيفيين

وفي إطار حرص الأرشيف والمكتبة الوطنية على الرصيد الوثائقي الإماراتي فقد كرّس جزءاً كبيراً من إمكاناته لتشخيص أرشيفات الجهات الحكومية الرسمية وتنظيمها، ونظم دورات متخصصة في مجال الأرشيف، شارك فيها عدد من موظفي الجهات الحكومية الاتحادية في الدولة، وجاءت هذه الدورات في سياق

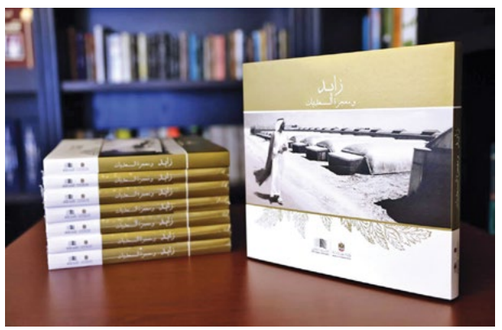

متابعة الأرشيف والمكتبة الوطنية لمشاريع تنظيم أرشيفات الجهات الحكومية في الدولة وتطويرها، وتأهيل كوادر الأرشيفيين (المؤرشفين)، وفي سياق إعداد كوادر الأرشيفيين (المؤرشفين) وتأهيلهم فإن التعاون بين الأرشيف والمكتبة الوطنية وجامعة السوربون - أبوظبي قد أسفر عن الشهادة المهنية في إدارة الوثائق والأرشيف، والبرنامجين الأكاديميين: بكالوريوس في إدارة الوثائق وعلوم الأرشيف، وماجستير إدارة السجلات والدراسات الأرشيفية، والجهود مستمرة من أجل برنامج الدكتوراه في الدراسات الأرشيفية، وذلك كله بهدف رفد سوق العمل بكوادر من الأرشيفيين (المؤرشفين) القادرين على حفظ ذاكرة الوطن وفق أرقى المعايير المتبعة في العالم.

أكتوبر 2023.. موعدنا مع الحدث الأرشيفي العالمي

تمثل استضافة أبوظبي لكونجرس المجلس الدولي للأرشيف تحت شعار «إثراء مجتمعات المعرفة» في الفترة من 9 - 13 أكتوبر 2023 نقطة فارقة في مسيرة الأرشيف والمكتبة الوطنية الذي يتولى مهمة تنظيمها، باعتباره الأول من نوعه في المنطقة

العربية والشرق الأوسط، وإن استضافة هذا الحدث الأرشيفي المهم تبعث على الفخر والاعتزاز بما وصلت إليه دولة الإمارات العربية المتحدة من تقدم وتطور وحداثة في مختلف المجالات.

وسيحفل كونجرس المجلس الدولي للأرشيف بالموضوعات والقضايا الأرشيفية المعاصرة والمستقبلية، وسيكون ميداناً لتبادل الأفكار المبتكرة والمستدامة في المحاور التي ستكون ميداناً للنقاش وهي: «السلام والتسامح»، و«التقنيات الناشئة - السجلات والحلول الإلكترونية»، و«الثقة والأدلة» و«الإتاحة والذكريات»، و«المعرفة المستدامة والكوكب المستدام.. الأرشيف وتغيّر المناخ». ويركز الكونجرس على بعض القضايا التي تسهم في تعزيز مجال الأرشفة، إلى جانب فعاليات الحدث ومن ضمنها هاكاثون الأرشفة في كونجرس المجلس الدولي للأرشيف، المخصص لطلبة الجامعات وطلبة المرحلة الثانوية بغية إتاحة الفرصة لهم لإبداء أفكارهم ومقترحاتهم، ومن المتوقع أن يكون هذا الكونجرس حافلاً بالأفكار الإبداعية والمبتكرة التي تثري محاوره، وترتقي بقطاع الأرشيف محلياً وعالمياً.

AGDA نافذة على شبكة الإنترنت على آلاف الوثائق التاريخية الأصلية

وعبر شبكة الإنترنت يفتح الأرشيف والمكتبة الوطنية نافذة تتمثل بالأرشيف الرقمي للخليج العربي AGDA على آلاف الوثائق التاريخية المهمة والأصلية في تاريخ الإمارات والخليج، إلى جانب العديد من المعارض الافتراضية، ويعدّ هذا الموقع الإلكتروني الثري بمحتواه التاريخي مصدراً للدراسات الأكاديمية والبحثية.

ويوثق هذا الموقع الإلكتروني إنجازات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيّب الله ثراه - خاصة في الفترات الأولى لتوليه مهام إدارة منطقة العين منذ عام 1946، ويؤرخ لعبقرية الشيخ زايد

وجهوده مع إخوانه حكام الإمارات في تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة وانطلاقة نهضتها أيضاً، كما يولي الأحداث التاريخية التي شهدتها منطقة الخليج اهتماماً كبيراً فيعرض أهم الوثائق الخاصة بها.

مكتبة الإمارات

ويضم الأرشيف والمكتبة الوطنية بمقره العديد من المرافق المهمة التي تقدم خدماتها لجمهور المستفيدين، وفي مقدمة هذه المرافق، مكتبة الإمارات، وهي جزء من البرنامج العلمي والبحثي للأرشيف والمكتبة الوطنية؛ فهي تتيح للباحثين والدارسين وطلّاب المعرفة خدمات الاستفادة من مجموعاتها الغنية والمتخصصة بشكليها الورقي والإلكتروني، والتي تشمل مجالات اهتمامات الأرشيف والمكتبة الوطنية.

وتستهدف مكتبة الإمارات التي أنشئت مع تأسيس الأرشيف والمكتبة الوطنية عام 1968 لتجمع مختلف مصادر المعلومات المتاحة عن دولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج بلغات متعددة.

تضم مكتبة الإمارات آلاف العناوين التي تعتبر مجموعة مميزة من المصادر الإلكترونية والمطبوعة المتاحة للاستخدام العام، مع مجموعات متكاملة من المراجع، والرسائل الجامعية، والكتب النادرة، وفيها الأرشيف الإعلامي الذي يحتوي على عدد هائل من الصحف المحلية والخليجية، والعربية والدولية، ومن المجلات والدوريات.

وتعمل مكتبة الإمارات باستمرار لتعزيز مجموعاتها بما يهم الباحثين من داخل الأرشيف والمكتبة الوطنية وخارجه؛ ممن يرتادونها لاستكمال بحوثهم ودراساتهم المتخصصة في شؤون الإمارات ومنطقة الخليج.

إصدارات الأرشيف والمكتبة الوطنية

يثري الأرشيف والمكتبة الوطنية الأوساط الثقافية بعدد كبير من إصداراته التي توثق جوانب مهمة من تاريخ الإمارات ومنطقة الخليج، وتفتح صفحات عن تجربة الإمارات الريادية في الوحدة والبناء والنمو والازدهار أمام المهتمين بتاريخ الإمارات المجيد وتراثها العريق، وإلى جانب الكتب والبحوث والدراسات يصدر الأرشيف والمكتبة الوطنية دوريتين: «ليوا» وهي مجلة علمية محكمة؛ تُعنى بحوثها بتاريخ الإمارات وتراثها وآثارها، وبمنطقة الخليج العربي، وتصدر كل ستة أشهر باللغتين العربية والإنجليزية. وأصدر الأرشيف والمكتبة الوطنية، مؤخراً، مجلة «المقطع» الفصلية التي تهتم بالشأن التاريخي الثقافي وبالموضوعات المتنوعة التي تحرص على تقديم تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، وتراثها بطابع ثقافي اجتماعي.

التطبيقات الذكية والموقع الإلكتروني بحلته الجديدة

وفي عصرنا الحالي الذي لم تعد فيه التطبيقات الذكية تَرَفاً أو متعة، ولكنها صارت ضرورة، وعاملاً أساسياً، ولها أهميتها الكبيرة في سرعة التواصل بين الناس؛ أطلق الأرشيف والمكتبة الوطنية باقة من التطبيقات الذكية أهمها: مكتبة الشيخ زايد الصوتية التي تحتوي على مئات التسجيلات الصوتية من أقوال

خالدة لقائد خالد في موضوعات وقضايا متنوعة محلية وعربية وعالمية، والتطبيق الذكي التفاعلي المتطور لشجرة «آل نهيان» لتقدم تعريفاً بأهم الشخصيات وأبرزها في شجرة آل نهيان، وأهم الشخصيات البارزة التي حكمت إمارة أبوظبي.

ومن التطبيقات التي يفخر الأرشيف والمكتبة الوطنية بإطلاقها مجلدات يوميات الشيوخ التي توثق يوميات قادة الإمارات في تطبيقاته الذكية، وفي مقدمتها (يوميات زايد) في طبعة جديدة ترصد جميع الاهتمامات اليومية للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله تعالى - ونشاطاته في مختلف مجالات الحياة في خمسة مجلدات تشمل الفترة ما بين الأعوام من عام 1966 حتى عام 2004. وتحتوي مجلدات يوميات الشيوخ - التي أصدرها الأرشيف والمكتبة الوطنية - على جميع الأنشطة والأحداث للشيوخ الكرام، وثّقت بتسلسل موضوعي وزمني على مدار الفترة التي تشملها اليوميات، سواء كانت هذه الأنشطة اجتماعية أم اقتصادية، أم إعلامية، أم سياسية. وأطلق الأرشيف والمكتبة الوطنية عدداً من المشاريع التي عززت دور الوثيقة التاريخية في المجتمع الإماراتي وفي الجهات الرسمية والمؤسسات الحكومية أيضاً. ومع دوران عجلة التطور الذي لا يتوقف في الأرشيف والمكتبة الوطنية ظهر موقعه الإلكتروني بنسخته الجديدة كواحد من الإنجازات التي دخلتها التقنيات الحديثة والمتطورة التي تيسر تفعيل المشاركة الإلكترونية للجمهور، وليواكب التطور الذي يشهده في مهامه وخدماته المتخصصة، وتعزيزاً لدوره الحيوي في حفظ ذاكرة الوطن، وتيسيراً للباحثين والأكاديميين وجمهور المستفيدين في الوصول إلى خدماته الريادية، وليسهل الوصول إلى الخدمات حسب احتياجات المتعاملين، وإلى موقع مكتبة الإمارات، ويمكّن الجمهور من طلب المواد الأرشيفية والاطلاع على موضوعات مجلة «ليوا» العلمية المحكمة، وعلى إصدارات الأرشيف والمكتبة الوطنية وشرائها، والوصول إلى خدمات البرامج التعليمية والاستفادة من أنشطتها، والوصول إلى بوابة الأرشيف الرقمي للخليج العربي المتاح مجاناً على شبكة الإنترنت.. وغيرها.

قاعة الشيخ زايد بن سلطان

هي تجربة متحفية مبتكرة تحتضن الماضي وتوثق اليوم وتستشرف المستقبل، ومن أجل ذلك فإنها تسخّر أحدث التقنيات المبتكرة وأساليب العرض لتقدم للزوار كبسولة معرفية من شأنها أن تعزز الانتماء للوطن والولاء لقيادته الرشيدة وترسخ الهوية الوطنية في نفوس الأجيال، وأن تبهر زوارها بما حققته الإمارات من تقدم وتطور وازدهار.

الأرشيف والمكتبة الوطنية ودوره في تعزيز الانتماء والولاء وترسيخ الهوية الوطنية

لقد استطاع الأرشيف والمكتبة الوطنية أن يصل بفعالياته التعليمية الطلابية إلى مئات آلاف المستفيدين، ويتجلى دوره واضحاً في إطار ترسيخ أركان الهوية الوطنية، وتعزيز الانتماء للوطن والولاء لقيادته الحكيمة لدى النشء؛ وهو يواصل مسيرته في تعريف الجيل الجديد بماضيه وتاريخ أجداده، ولما كانت المبادرات النوعية التي أطلقتها القيادة الرشيدة مواكبة

لتطورات العصر، وتحافظ على الطابع الإماراتي الأصيل مبرهنة على الحكمة والرؤية اللتين تتمتع بهما قيادتنا الرشيدة، فإن الأرشيف والمكتبة الوطنية كان من أوائل المستجيبين لهذه المبادرات، وممن أسهم في ترجمتها وتحقيقها على أرض الواقع عبر أهدافه ورسالته ورؤيته.

جوائز تشهد بالإبداع والابتكار

حصد الأرشيف والمكتبة الوطنية جائزة خليفة التربوية في دورتها الثالثة عشرة عام 2020، عن مشروع «لجيل واعد»، وذلك تأكيداً لدوره البنّاء في رفد حقل التعليم وإسهاماته في تعزيز التنشئة الوطنية للأجيال، ولما يقدمه من برامج تعليمية متنوعة ومبتكرة تضمنت المحاضرات الوطنية والورش القرائية والألعاب التفاعلية ودعم المناهج وغيرها.

وتقديراً لإنجازات الأرشيف والمكتبة الوطنية وجودة خدماته، ومساعيه الحثيثة على طريق الإبداع والابتكار - التي نادت بها قيادتنا الحكيمة - جاء حصوله على العديد من الجوائز المحلية والعالمية؛ مثل جائزة ستيفي العالمية، وجائزة الشارقة للاتصال الحكومي، فئة أفضل استراتيجية اتصال حكومي على مستوى الدولة، وحصل على جائزة الشارقة للاتصال الحكومي أيضاً، فئة أفضل خطة اتصال لعام زايد على مستوى الدولة، وحصد جائزة «أفكار الإمارات» أيضاً فئة أفضل تغطية إعلامية للمبادرة الوطنية «وثق» التي تستهدف توثيق السجلات الشخصية، وجائزة أفضل مبادرة لاستخدام الأنظمة الصديقة للبيئة عام 2016.. وغيرها. ويجتاز الأرشيف والمكتبة الوطنية الحدود فيقدم خبرته وتجربته إلى الدول الشقيقة كمملكة البحرين والمملكة العربية السعودية، وإلى الكثير من الدول الصديقة، وانطلاقاً من حرصه على تمتين العلاقات مع المؤسسات المحلية والأرشيفات العالمية فإنه أبرم عشرات الاتفاقيات ومذكرات التفاهم مع عدد من الأرشيفات والمنظمات والمؤسسات الأكاديمية، والجهات الرسمية وغير الرسمية داخل الدولة وخارجها.

من الأرشيف الوطني إلى الأرشيف والمكتبة الوطنية

في أواخر عام 2021 صدر القانون رقم 13 الذي أطلق اسم «الأرشيف والمكتبة الوطنية» على الأرشيف الوطني؛ حيث تم ضمّ مهام المكتبة الوطنية لدولة الإمارات العربية المتحدة إلى الأرشيف الوطني، وهذا ما حدا به لكي يواصل مسيرته المشرفة فيرسم ملامح مشروعه الجديد المتمثل في المكتبة الوطنية المراد لها أن تضاهي كبريات المكتبات الوطنية في العالم، فتكون منارة حضارية وثقافية لدولة الإمارات العربية المتحدة، تحتفظ بالموروث الثقافي للدولة، ويحرص الأرشيف والمكتبة الوطنية على الاستفادة من أحدث تقنيات الحاضر وأن يكون مواكباً لما يحمله المستقبل من جديد.

ولا تقتصر جهود الأرشيف والمكتبة الوطنية على توثيق التاريخ والتراث بما يبعثه من فخر في النفوس، ولكنه يعمل على تدوين الحاضر الزاهر أيضاً، وهو يسير نحو المستقبل بالعمل الجاد والأمل الكبير مساهماً في بلوغ دولة الإمارات العربية المتحدة الصدارة بين دول العالم ■

كاتب وصحفي مقيم في الإمارات

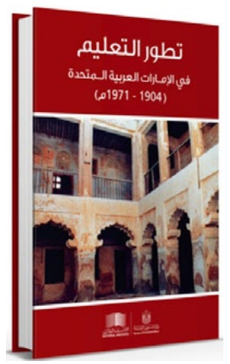

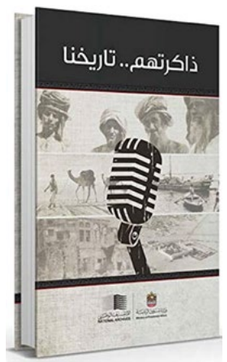

غرائبية السرد وأبعاده التعبيرية عند الكاتب الإماراتي عبد الحميد أحمد

أحمد حسين حميدان

إذا كانت الغرائبية جمالياتها تقوم على الخروج عن المألوف الواقعي كما يعبّر هربرت ريد ولانجر، فإن الكاتب الإماراتي عبد الحميد أحمد اعتمد التنويع في بنائية السرد لديه لذلك نجد سياقه القصصي قد جمع بين ما هو واقعي وما هو مُتخيل وواقعي؛ وهو بذلك جعل كل شيء متاحاً في سبيل خدمة خطابه السردي وشكله الفني الذي يأتي على الغالب مفتوحاً على مساحات مستطيلة من السياقات القصصية المتعددة بأمكنتها والمتداخلة في أزمنتها وموضوعاتها المتنوعة، التي تبدأ في مجموعة (على حافة النهار)[1] بسبر أغوار أزمة الوعي في البيئة المحلية الإماراتية، ثم تمضي ضمن مساحة شاسعة لرصد أفق الألم الإنساني الذي يتخطى به عبد الحميد أحمد الحدود المحلية إلى جهات أخرى يخترق بها سياقه السردي الحدود الجغرافية المعهودة، إلا أنه يتعمد فيه عدم ذكر أي مسمى يمكن أن يحدد من خلاله موقع المكان أو اسمه بل يبقى منصرفاً في سرده حتى النهاية إلى تجسيد حال الشخصيات المترعة بالفاقة والحرمان ومكابدات العيش وانكسارات أحلام اليقظة المفضية إلى انحرافات أخلاقية تبدأ بلا منتهى وكذلك انكسارات أحلام النوم المؤدية إلى الجهل وانحطاط العقل الفطري في عتمات المعرفة.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الحزن المحفوف بالفقر والحرمان من المفاتيح الرئيسية لعالم عبد الحميد أحمد القصصي الذي لا يتوقف عند حدود معاناة الشخصية الإماراتية وحدها بل يتسع لمعاناة الشخصية العربية وغير العربية المقيمة في الإمارات وغير المقيمة أيضاً كتلك الشخصيات التي صادفها الكاتب في سفره، والتي ترك أمكنة عيشها مجهولة العنوان، لذلك نجده في العديد من قصصه يتخلى عن تسمية المكان، ما يتيح للحدث القصصي عنده أن يأخذ بُعداً لا تحصره جغرافيا بعينها كما نجده في العديد من قصصه الأخرى يبتعد عن تسمية شخصياته بأسماء متداولة سواء في بيئتها المحلية أو غير المحلية فيلجأ إلى المجاز ويسميها بما يتوافق مع وضعها الإنساني وبما يتناغم مع معاناتها ومكابداتها وكأنه يتفق بذلك مع مارسيل بروست الذي يرى في (الزمن الضائع) أن الاسم هو ما يتبقى من الكائن البشري فيذهب في قصته (نسمة هواء طائشة) وفق هذا المنحى ويسمي بطله (ناحل بن راجل العاري) ويشير إلى أنه ملقب (بأبي جائع المطحون) ويسمي زوجة بطله (مسحوقة) وأولادهما (جائع ومقهورة ومقموع) وبذلك يتحول الاسم إلى ضوء يستفيد منه الكاتب في كشف الحالة الإنسانية لشخصياته القصصية، كما يستخدمه لتأجيج سيرورة حدثه القصصي من خلال علاقة جعلها تتناسب طردياً بين نسمة الهواء الطائشة المحملة برائحة الشواء وبطله المسمى (ناحل أبو الجوع) - أي صاحب الجوع المزمن - وتبدأ عملية السرد وفق ذلك بالتصاعد وسط الانجذاب الحاصل بين موجب رائحة الشبع وسالب حالة الجوع، وقام الكاتب باستثمار عملية التفاعل القائمة بينهما بسياق واقعي يبلغ فيه بطله محل بائع اللحم الذي غمرته رائحة الشواء بلذة الطعام المشتهى.. وبسياق آخر حلمي تخيلي يحمل من خلاله بطل القصة اللحم المشوي إلى بيته ليفاجئ زوجته (مسحوقة) بعشاء ما كان يخطر لها على بال... وهناك في البيت ينكشف عبر سياق السرد مكنون مخزونه

الدفين فيسأل زوجته عن أولاده (جائع ومقهورة ومقموع) ويصر عليها إيقاظهم من النوم.. ويقول لها: اللحم كثير ولا يمكن أن ينامو وبطونهم خاوية ويطلب منها أن تتغذى جيداً وأن تنتبه إلى صحتها ليأتي ولدهما القادم قوياً معافى.. وترد عليه: يا ليت كل ليلة نأكل اللحم هكذا... ويقترب منها في ليلة تساوي من حياتهما ألف ليلة ويهمس لها فتحذره وهي تشير بعينها إلى الأولاد فيكف ناحل ويصمت، ويصمت معه حلمه ليجد نفسه في الصحوة وجهاً لوجه أمام بائع اللحم، ويعود السرد القصصي مرة أخرى إلى سياقه الواقعي. وإذا كان مقدراً له أن يمارس في لعبته الخادعة محاولة ردم أو تجسير الهوة بين عالمي الحلم والواقع كما يقول إلياس فركوح[2] فإنه لم يأخذ هذا المنحى في عالم عبد الحميد أحمد القصصي، بل ذهب في منحى آخر تصعيدياً زاد في دنيا بطله حجم هذه الهوة عند أول محاولة له في تضييقها، وهو ما يظهر منذ تجرئه ودخوله دكان الجزار وسعيه لشراء شيء من اللحم من عنده.. وتتوضح صورة المأساة أكثر من خلال الحوار الذي يبدؤه ناحل بقوله للجزار:

(- أريد لحماً ...

- كم كيلو ؟...

- اثنان ...

- بكم الكيلو ؟...

- بعشرين درهماً ...

تسللت يد ناحل إلى جيبه حيث تقبع العشرة دراهم التي استلمها مساء بعد أن أنهى عمله اليومي ولم يجدها هناك فشهق شهقة مكتومة انتبه لها الجزار.

- ما بك ؟... هل أنت مريض ؟...

ومثل طفل يُضبط متلبساً تلعثم ناحل ثم قال:

- لا شيء.. لا شيء ولكن قل لي، ألم يكن الكيلو بخمسة دراهم؟ ...

جلجلت في المكان ضحكة مرعدة هزت الأرجاء.. كان الجزار يقهقه وانتفخت أوداجه وأبو جائع يقلب ناظريه مذهولاً ليس من الجزار الذي تحول إلى لحم مترجرج من أعلاه إلى أسفله بل من ذلك الإبليس الذي استطاع أن يسرق من جيبه أجرة يومه ليقف في خنوع وانكسار أمام الجزار..)[3] وتنفر الدماء من أنف ناحل لتختلط بلحيته الطويلة المهملة وبتخيل من الكاتب - وليس من بطله هذه المرة - تداعب يد ناحل سكين الجزار وتضغط عليها فتنبثق الدماء الفائرة من أصابعه بشهوانية الجائع المشتاق إلى الشبع من اللحم وطعمه الخرافي... ويهيم في فراغ لا يحس فيه بضحكات الجزار الماكر ولا يشعر بسخريته.. ويستمر الكاتب بالتخيل القائم على التصفية الجسدية لبطله ويتجاوز فيها تقطيع الأصابع ليواصلها الجزار إلى بقية أعضاء الجسم فيتحول (ناحل أبو الجوع) إلى مزق متناثرة من اللحم والعظم يجمعها الجزار ويضعها في واجهة المحل ثم يحمل الأحشاء والرأس إلى صندوق من القاذورات وكما يتحول الإنسان عند فرانز كافكا إلى حشرة، ينقلب ناحل أبو الجوع إلى صرصور عند عبد الحميد أحمد ويغادر دكان الجزار ويمشي قرب الرصيف متجنباً أرجل

إذا كانت الغرائبية جمالياتها تقوم على الخروج عن المألوف الواقعي كما يعبّر هربرت ريد ولانجر، فإن الكاتب الإماراتي عبد الحميد أحمد اعتمد التنويع في بنائية السرد لديه لذلك نجد سياقه القصصي قد جمع بين ما هو واقعي وما هو مُتخيل وواقعي

المارة الكثيرة لكن المبيدات الحشرية تجهز عليه وتحمله المياه الآسنة إلى البحر فيستقر في جوف السمك...

إن عبد الحميد أحمد يلجأ في هذا السياق إلى إكساب الأزمة الإنسانية أكثر من جانب، ويحاول إبرازها على أكثر من محور وهو ما يظهر بوضوح من لعبة الأسماء التي اختارها ليودع فيها هذه التعددية لوجوه الأزمة... فتظهر أمام المتابع لها بشق إنساني من خلال اسم بطل القصة وزوجته (ناحل العاري ومسحوقة) إضافة إلى اسم ابنه (جوع)، كما تظهر الأزمة بشق آخر اجتماعي وسياسي من خلال مدلول اسمي ولديه الآخرين (مقهورة ومقموع) وإذا كانت سخرية جبران خليل جبران قد دفعته إلى التهكم على العدالة الراهنة بالقول: وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لا تدري به البشر، فإن عبد الحميد أحمد أخذ بمجامع هذه المعاناة النفسية وجسدها بصورة حسية متخيلة نجم عنها اغتيال بطله (ناحل) وتقطيع أعضائه وقد ذهب إلى تحميل المجتمع وسلطاته وأنظمته المختلفة مسؤولية ما كابده من أزمات مركبة بدت قاسية وحادة في سياقها الواقعي والتخيلي أيضاً، وما يلفت الانتباه في هذه القصة هو استخدام الكاتب غير تقنية في إنجاز مقصوده الدلالي انفتح من خلالها السرد على سياق مزدوج من التخيل... الأول ذهب فيه بطل القصة عبر تقنية الحلم إلى صنع ليلة تضج بالشبع الجسدي والعاطفي له ولأسرته الطافحة بالحرمان.

والثاني ذهب عبره الكاتب إلى خط آخر صنع في أجوائه لوحة تتداخل فيها الأمكنة ويخرج الزمن في بنيتها عن تراتبيته وهو مثقل بمأساة متعددة متداخلة في نسب من يعانون فيها من أوضاعهم وجل حياتهم وإذا كان الفتيل فيها هو الفقر الذي بقي ملازماً (لناحل المطحون) في هذه القصة حتى أوصله إلى الموت كما أوصل (غريب) إلى مصير مشابه من قبل في قصة (الطائر الغمري)، فإن القاص عبد الحميد أحمد يتمسك بهذا الفتيل ويعتمد عليه في قصته (على حافة النهار) التي لا تقل أهمية عن سابقاتها، بل ربما أن لها أهمية إضافية حتى جعلها عنوان مجموعته القصصية وكنا قد أشرنا من قبل إلى أن هذا الفتيل الذي هو الفقر يعتبر من أهم مفاتيح سياقه السردي، ورغم تكرار الاعتماد عليه فإنه يأخذ أبعاداً مختلفة تتوافق مع الفكرة التي يسعى الكاتب إلى بلوغها وتجسيدها في حكايات القص التي يغلب عليها طابع التنوع، ويبدو أن التنقل والسفر لديه كان له بالغ الأثر في هذا التنوع وفي رفد نصه بالمزيد من المشاهد الإنسانية، إلا أنها على كثرتها ظلت محكومة بالأزمات وعالقة بها ومستغرقة في تفاصيل مكابداتها اليومية وهو ما جعل سياقها يتشكل وفق بنائية روائية مسترسلة تأخذ منحى الاستطراد والاستطالات السردية التي تملأ مساحات القص بتفاصيل الحدث القصصي ومكابدات شخصياته مما يدور عبره من مجريات ■

كاتب وأديب من سوريا

الهوامش:

1. مجموعة قصص على حافة النهار، عبد الحميد أحمد، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات الشارقة 1992م.
2. لعبة السرد الخادعة، حوارات مع إلياس فركوح، إعداد جعفر العقيلي، دار أزمنة للنشر، عمان 2006م.
3. مجموعة قصص على حافة النهار لعبد الحميد أحمد، قصة نسمة هواء طائشة ص 31 - 32، وقصة الطائر الغمري ص 86 - 87.

اللؤلؤ وجمالية التشكيل الفني في القصيدة الإماراتية

دراسة في شعر مانع العتيبة

عادل نيل

يرتبط اللؤلؤ صيداً وتجارةً بتاريخ دولة الإمارات ارتباطاً وثيقاً، فقد عرفته المنطقة منذ زمن بعيد، حيث شكّل مصدراً أساسياً من نشاطهم التجاري، ولكن مع ظهور اللؤلؤ الاصطناعي انحسر هذا النشاط، ليس في الإمارات فحسب، وإنما في منطقة الخليج بشكل عام.

وعلى الرغم من التحولات الاجتماعية ومتغيرات الواقع التي أتت مع الثروة النفطية وتعدد مظاهر النهضة الاقتصادية ومصادرها، فإنه لم يغب حرص الدولة على الاهتمام بهذا الموروث التاريخي، فسُنّت القوانين، وأنشئت الجمعيات والمؤسسات التي ترعى هذا التراث ضمن أنشطتها التراثية، لتنقل إلى الأجيال اعتزازاً واحتفاءً بجانب مهم من تاريخ الآباء والأجداد، لا سيما أن هذه الحرفة ترتبط بحياة البحر الذي لا يزال جزءاً أصيلاً من تكوين الشخصية الإماراتية. ولا تقتصر النظرة إلى اللؤلؤ من منظور ثقافي على كونه إرثاً معنوياً لأبناء الإمارات، وإنما هو في حقيقة الأمر جزء أصيل من الثقافة العربية والإسلامية، لا سيما أن القرآن الكريم قد احتفى به، فهو من آيات قدرة الخالق في الكون، قال تعالى: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ» (الرحمن، الآية:22)، كما أنه أحد مظاهر النعيم لأهل الجنة، فقال عزَّ من قائل: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً» (الحج، الآية:23)، ومن ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف والثابت في صحيح مسلم: «فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ»[1].

كما أن اللؤلؤ مثّل حضوراً في تشكيل اللغة البيانية في بعض آيات القرآن الكريم، وهو ما انعكس في حضوره في الصورة الفنية لدى الشاعر العربي، بل إن هناك فرائد شعرية يختزنها الوجدان العربي، استطاعت أن تلبي بلغتها، مفردات وتراكيبَ، الذائقة الأدبية على اختلاف عصورها، فتناقلتها الألسن واحتفظت بها الذاكرة، لعل منها هذا البيت الشعري الذي ينسب إلى أبي الوأواء الدمشقي، يقول فيه:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وَسَقَتْ
وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالْبَرَدِ

فالصورة الفنية بتكوينها الحركي والبصري تتشكل من حيث دمعة كاللؤلؤ سقطت بتلألئها، لتمضي في تشكّل بصري تعددت معه عناصر اللون لتنتهي الصورة من حيث بدأت بتلألئ البَرَد،

ومن ثمَّ ارتبطت الصورة في تكوينها جميعه بحبات اللؤلؤ التي انسكبت من عينها، ليقدم الشاعر أمام القارئ فِعل البكاء في صورة جمالية بديعة. ولم يغب هذا الاستدعاء الجمالي عن قريحة شعراء الإمارات في تشكيل قصائدهم، فقد كان اللؤلؤ حاضراً في بنيتها الفنية، ومن بين هؤلاء الشعراء الذين ظهر لديهم هذا الاستدعاء بصورة واضحة د. مانع العتيبة[2]، الذي عاصر هاتين الحقبتين اللتين أشرنا إليهما آنفاً، حقبة الاعتماد على صيد اللؤلؤ بوصفه نشاطاً تجارياً ارتكز عليه جانب مهم من حياة الآباء والأجداد في طلب الرزق، وحقبة انحساره واختفاء حضوره في مظاهر النهضة الاقتصادية في الدولة، وهو ما شكّل باعثاً يضاف إلى اهتمام الدولة بإحياء هذا الموروث الوطني؛ ولذلك سنجده لدى الدكتور مانع سعيد العتيبة جزءاً من الاستدعاء التاريخي،

وكذلك لدى غيره من الشعراء الذين يجدون في رحلات الغوص واصطياد اللؤلؤ جزءاً من ذاكرة التاريخ.

ففي ديوانه (المسيرة)، يرسم العتيبة لوحة تاريخية عبر مقطوعاته الشعرية استهلها بوصف رحلات الغوص في أعماق البحر بحثاً عن المحار بين الصخور، مجسداً جانباً من معاناة الآباء في تلك الرحلة، ومعدداً دور اللؤلؤ في حياة الإماراتي، يقول[3]:

ثمَّ يأتي كشــفُ أسرارِ المحــاراتِ الدفينــةْ
وهنا أحلى لقــاءٍ يُفرحُ النفــسَ الحزينــةْ
بعضُها جــادتْ بخيرٍ.. غيرُها كــانتْ ضنينةْ
يجمعُ الوالدُ بعضــاً من لآليها الثمينــةْ
هي بعدَ البيــعِ دخلٌ يتمــنى أن يُعينــةْ
وعلى صدرِ الغوانــي زادتِ الزينةُ زينــةْ

تجسد المقطوعة الشعرية هذا البُعد النفسي الذي يرتبط بحياة البحر والغوص بحثاً عن اللؤلؤ، فحيناً ينال بغيته لتبتهج روحه حين يجود البحر بمحارات لآلئه الدفينة التي تعين على الحياة بعد بيعها، ولتتزين بها الغواني فيزددن جمالاً إلى جمال، وحيناً يضنّ البحر بما في جوفه، ليعاود الغواص جولاته في البحث عن رزقه في جوف البحر، فليس دون ذلك من سبيل، وليس أمامه اختيار غير أن يكابد، يقول الشاعر في ألفيته[4]:

وطفولــــتي برجولــــةٍ ألقيتُهــــا
في بحرِ همّــي حين غــابَ الساحــلُ
ما كــانَ لــي أيُّ اختيــارٍ غــيرُ ذا
وسجــلُّ أيامــي أمامــي ماثِــلُ
قالــوا: تشــبثْ بالرمــالِ مقاومــاً
ظمــأً وجوعــاً قلتُ: هذا حاصــلُ

قالوا: فغـــصْ في البحـــرِ واجمعْ لؤلؤاً
فالبحـــرُ بالـــدررِ الثمينـــةِ حافـــلُ

وقد قدمت صورة «اللؤلؤ» في قصائد العتيبة وظائف عدة أسهمت في تشكيل رؤيته الشعرية، ولم تغب عن تلك الرؤية الصورة البيانية التي يرتبط بها اللؤلؤ في التراث العربي، وما جرى عليه شعراؤه في تصوير الدموع بحبات اللؤلؤ، فيقول[5]:

أصونُـــك من دموعـــي فهي بحـــرٌ
ومرعبـــةٌ أعاصـــيرُ البحـــارِ
وتُخفـــي دمعـــةَ الأحـــزانِ عيـــني
وتسكـــنُ كاللآلـــئِ فـــي المحـــارِ

فيستدعي الشاعر لتشبيه دمعة العين التي تسكن محاجر عينيه، صورة اللؤلؤ الذي يسكن المحار، وليس الجامع بينهما الصورة البصرية في لمعان الدمعة حين تتساقط فقط، وإنما في ذلك المكنون النفسي الذي تعبر عنه الدمعة، فضلاً عن الإشارة إلى كثرة هذا الدمع لكثرة الانكسار الوجداني الذي يعانيه صاحبه، وكأنما الدموع بحر تتلاطم أمواجه في نفْس موّارة بأعاصير الحزن الساكن في الذات، ونجد الصورة ذاتها في قصيدته (حوار مع الحبيب)، يقول فيها[6]:

قالـــتْ ودمـــعٌ كاللآلـــئِ يـــذرفُ
هلْ أنتَ للقلـــبِ المـــتيمِ مسعـــفُ

ومن المعاني التي شكّلها اللؤلؤ في شعر د. مانع العتيبة، التعبير عن عمق العاطفة، فحين أراد الشاعر التعبير عن قيمة العطاء الوجداني الذي يسكن فؤاده، جسده في صورة اللؤلؤ الذي صاغ منه عقوداً لا توهب من المحبة، إذ إن أثمن ما يملك قلبه من

حبٍّ بوصفه قيمة معنوية، أراد أن يقدمه في أثمن ما تتشكل فيه قيمة الأشياء المادية لديه، وهو عقود اللؤلؤ[7]:

الحـــبُّ في قلبـــي خضـــمٌّ زاخـــرٌ
أعطـيتُ منـــــه لآلئـــاً لا تُوهـــبُ
أحلـــــى عقـــودٍ للأحبـــةِ صغتُهـــا
وعصـــــرتُ أيامـــي لهم كي يَشربـــوا

وفي إحدى قصائده الحوارية عبّر الشاعر عن عمق عاطفته، حين ساق سؤالاً عن برهان حبه واستعداده لأن يقدم أثمن ما يملك إلى أميرته التي ملكت عليه فؤاده، فحقٌّ لمن نصبّها على عرش فؤاده مليكةً أن تُتوج بالدر[8]:

قالـــتْ: أتعشـــقني؟ فقلـــتُ: كـــــثيراً
وأرى ســـؤالَكِ رائعـــــاً ومـــثيرا
قالـــتْ: وما البرهـــانُ؟ قلتُ لهـــا: اطلـــبي
مـــا ترغبينَ فلـــن يكـــونَ عســـيرا
الـــدرُّ والألمـــاسُ مـــلكُ أميرتـــي
مـــا دمـــتُ للقلـــبِ المحـــبِّ أميـــرا

والمعنى ذاته تكرر في إحدى خماسياته الشعرية، التي عبّر فيها عن هذا العطاء الذي يهب به أغلى ما لديه من درليجسد عاطفة وجدانية ساق لها النفيس وثمين ما يملك [9]:

خـــذي الـــذي أملكُـــه جميعَـــه
الـــدرَّ والألمـــاسَ والياقُوتـــا

وفي قصيدته (حديث الحب) استدعى الشاعر اللآلئ لينظم منها قوافي القصيد عقوداً يقدمها إلى أغلى الناس قدراً، تعبيراً عن ذلك الحب الكامن في صدره، بعد أن خاض بحور القوافي جميعها فلم يجد غير تلك العقود لينظم منها ما يجسد عاطفته[10]:

فعـــدتُ إلى القوافـــي مستجـــيراً
وخضـــتُ بحـــورَها بحراً فبحـــرا
لأنظـــمَ مـــن لآلئِهـــا عقـــوداً
أقدّمُهـــا لأغلـــى النـــاس قـــدرا

ويلاحظ في النص السابق أن العتيبة جعل من اللؤلؤ مصدراً للتعبير عن جمالية الحَرْف، وهو ما تكرر لديه في قصائد عدة، لا سيما حين يلوذ بالحرف للتعبير عن عمق مكنون ذاته وقيمته؛ ولذا يدعو في إحدى قصائده قبيلة الشعراء أن يكون الحرف لديهم انتقاءً إبداعياً كمن يستخرج من عمق البحار لؤلؤة ثمينة[11]:

من منهلِ الصحـــــراءِ أغرفُ أحرفـــي
ما لـــي عن الحـــرفِ الجـــريءِ بديـــلُ

لا يحمـــلُ الحـــرفُ الجـــريءُ سلامـــةً
لكـــنْ له مثـــل الحســـامِ صليـــلُ
يـــا أخوتـــي الشعـــراءُ إن رمالَنـــا
فيهـــا كنـــوزٌ مـــا لهـــنَّ مثيـــلُ
منـــها اجمعـــوا أحلى لآلئِ شعرِكم
حتـــى يجـــلَّ الشـــعرَ هـــذا الجيـــلُ

فالحرف لديه محارة ثمينة، لا يعرف قدرها إلا مؤمن بقيمته، عاشق لأنغام وتره، ولذلك حين كتب الشاعر قصيدته (الحب يعرف قدره الأحباب) بمناسبة افتتاح مقر اتحاد كتاب وأدباء الإمارات في أبوظبي عام 1987، جسد هذا العشق الذي يدفع صاحبه إلى الغوص بحثاً عن محارات الحرف وعشق الكلمة، وهو ما لا يعرفه إلا العاشقون[12]:

الليـــلُ كان قصـــيدةً يشـــدوبهـــا
للعاشقـــينَ الساهريـــنَ ربـــابُ
صـــار الهـــوى سعـــياً وراء محـــارةٍ
فـــي القـــاعِ تحمـــي أمنَهـــا الأنيـــابُ
مـــا غـــاصَ للأعمـــاقِ إلا عاشـــقٌ
لـــم تثنـــه عمـــا أراد صعـــابُ

وفي قصيدته في مديح ملك المغرب بمناسبة تدشين مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء عام 1993م، يُعرب العتيبة عن قيمة الحرف/ القصيدة من خلال تشكيل صورته الفنية باللؤلؤ/ الجمان، الذي صاغه قلادة من قصائد صادقات وفاءً واعتزازاً بممدوحه[13]:

يـــا مغـــربَ الأحرارِ جئـــتُ وفي يـــدي
من مشـــرقِ العـــربِ الأبـــاةِ قـــلادةْ
لتكـــونَ في عنـــقِ المليـــكِ أمانـــةً
ودليـــلَ حبٍّ خالـــصٍ وشهـــــادةْ
وقلادتـــي المهـــداةُ صـــاغ جُمانَهـــا
شعـــري وكـــان دم الوفـــاء مـــدادهْ

واستخدم الشاعر «اللؤلؤ» تعبيراً عن انتمائه للوطن والاعتزاز به، كما في قصيدته (نشيد الوطن) التي تعكس طبيعة الرابط الوجداني الذي يتصل به مع موطنه[14]:

إنـــي رضعـــتُ هواكَ منـــذُ طفولتـــي
هـــو مـــع خلايـــا خافقِـــي مجبـــولُ
وعلـــى أديمـــكَ ســـرتُ أول خطـــوةٍ
وغرســـتُ قلبي في الرمـــال اللولـــو

يناجي الشاعر وطنه تعبيراً عن اعتزازه بماضٍ رضع فيه محبة تسري في خلاياه، ولارتباطه ببيئته التي تشكل لديه الانتماء منذ بداياته الأولى، فغرس قلبه في رماله المتلألئة، وهو امتزاج

لمكونات البيئة التي يربط فيها الشاعر بين البحر والصحراء.

ومن المعاني التي وظّف الشاعر فيها اللؤلؤ في تشكيل قصيدته، التجسيد البياني للحُسن، وذاك الجمال الذي يرتبط بالمرأة، وهي من الصور التقليدية التي استخدمها الشاعر العربي، فنقرأ لدى العتيبة في قصيدته (النسرين) قوله[15]:

وجــهٌ يصلـي القلـبُ فـي محرابِـهِ
فهــدوؤه يــدعُ السكــونَ يريــنُ
فــإذا تفتــحَ برعمُ الثغــرِ انطــوى
صمْــتُ المصلّــي ثم حــلّ أنــينُ
مــا ذاكَ ثغــرٌ بل نضيــدُ لآلــئٍ
مــنِ بينِ جمــراتِ الشفــاهِ تــبينُ

استعار الشاعر من اللؤلؤ بهاءه ليجسد به ثغر محبوبته الذي يلمع بين شفاه تأخذ حمرتها لون الجمر المتقد، ليبرز بهذا التشكيل البصري حسن محبوبته، وتكررت هذه اللغة الاستعارية في قصيدة أخرى، حين صوّر ابتسامة المحبوب التي يتوق إليها حين ترتسم في ثغر يلمع كبارق اللؤلؤ في محاراته[16]:

أتــوقُ إلــى ابتسامتِــهِ وأرنــو
لصــوتٍ كــم يروقُ بــه الحــوارُ
وثغــرٍ رائــعٍ يحــوي كنــوزاً
كمــا يحــوي لآليــهِ المحــارُ
وفــي عينيــه نبــعٌ مــن ضيــاءٍ
إذا ليْلِــي ادلهــمَّ هــو المنــارُ

واستخدم الشاعر اللؤلؤ في تشكيل رؤيته الشعرية في معنى البحث عن الذات وإدراك الغايات، حين يتحدى عواتي البحار ليغوص مستكشفاً ومنقّباً عن اللؤلؤ في قلب المحار، وهو يرنو إلى أهدافه قاهراً الريح وثورة البحر[17]:

زورقــي مــا زال يمــضي قاهــراً
ثــورةَ الريــحِ وأمــواجَ البحــارِ
وأنــا الغــوّاصُ أرنــو دائمــاً
لأرى اللؤلــؤَ في قلــبِ المحــارِ

وقد رسم الشاعر صورة مشهدية رائعة الجمال في قصيدته (مرفأ الحبيب)، أخذ مكوناتها من البحر وأصدافه، تبدأ الصورة من حيث بدايات القصيدة بذاك المبحر في كل يمّ على سفن بلا شراع يحاول أن يهتدي إلى مرافئ محبوبته في جسارة من يقوى على مجابهة الرياح، دون أن يقوى على غياب محبوبته، فيمضي في خضم بحر يُسائِل موجه عن ذلك الحب الضائع، ليخبره البحر بأن من يبحث عنه في الأعماق[18]:

وقالَ حبيبُ قلبـكَ حلَّ ضيفاً زمانُ الغوصِ
علــى الصدفــاتِ في أعمــاقِ قــاعِ
عــادَ فهــل ستخــشى
أذى وحــشٍ هنــا شــرسِ الطبــاعِ
أجبــتُ بأنــي الغــواصُ فاشهــدْ
فنــونَ الغــوصِ من شهــمٍ شجــاعِ
نزلــتُ لأعمــقِ الأعمــاقِ أرنــو
للــؤلــؤةٍ ولــذّ لــيَ اندفاعــي

وتنتهي الصورة المشهدية بالعودة إلى برٍّ قد يجد فيه يوماً ما مرفأ الأمان بعد أن يئست نداءاته أن تجد تلبية في رحلته التي يبحث فيها عن ذاته[19]:

أدقُّ علــــى المحــــارِ بنبــــضِ قلــــبي
أناديــــــــه بوجْــدي واتضاعــــــي
فيرتــــــدُّ المحــــارُ بــــــلا جــــوابٍ
ويبتســـمُ المحــــــارُ لدى سماعــــي
أيسخــرُ مــــن نــداءاتي محــــارٌ
ويلجــأُ مــوجُ بحْــري للخــــــداعِ

إن الشاعر، في ضوء قراءة نصوصه السابقة، قد استطاع، إلى جانب توظيف الإطار التقليدي الذي عرفته الصورة الفنية في القصيدة العربية، أن يوظف اللؤلؤ في تجسيد رؤيته الشعرية في معانٍ عدة وجدانية ووطنية، ليرسم ما يرتبط به اللؤلؤ من الهناء والثراء صوراً شعرية تضيف إلى المعنى الشعري ثراءً، ومن ناحية أخرى فإن توظيف هذا العنصر في بناء صورته الفنية يعكس وفاء الشاعر لبيئته في تكوين معجمه الشعري ألفاظاً وتراكيب، فضلاً عن انتمائه إلى إرثه الوطني الذي يتصل اتصالاً عميقاً بالثقافة العربية وإبداعاتها ■

كاتب وأكاديمي مصري

الهوامش:

1. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ، ج 17، ص 175.
2. مانع بن سعيد بن أحمد العتيبة: من مواليد أبوظبي عام 1946 م، حصل على الشهادة الثانوية بمدارس قطر، ثم ليسانس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة، ومنها حصل على الدكتوراه كذلك، شغل منصب وزير البترول والثروة المعدنية منذ عام 1972 حتى عام 1990 م، أصدر عشرات الدواوين بالفصحى والعامية (النبطي)، بالإضافة إلى كتب في الاقتصاد، وقد أعدت حوله دراسات نقدية عدة (يُنظر: بلال البدور، موسوعة شعراء الإمارات: الشعر العامودي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، دبي، 2013 م، ص 661).
3. د. مانع سعيد العتيبة، المسيرة، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 23، 2000 م، ص 49.
4. د. مانع سعيد العتيبة، همس الخلود (ألفية)، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 1، 2000 م، ص 21.
5. د. مانع سعيد العتيبة، عصماء، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 2، 2001 م، ص 116.
6. د. مانع سعيد العتيبة، قصائد إلى الحبيب، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 8، 1983 م، ص 109.
7. د. مانع سعيد العتيبة، بشاير، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 12، 2000 م، ص 13.
8. د. مانع سعيد العتيبة، إلى أين، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 2، 2001م، ص 130.
9. د. مانع سعيد العتيبة، خماسيات إلى سيدة المحبة، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، 2000 م، ص 40.
10. بشاير، ص 75.
11. د. مانع سعيد العتيبة، صدى الأمواج، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 1، 2000 م، ص 20.
12. د. مانع سعيد العتيبة، ضياع اليقين، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 14، 2000 م، ص 33.
13. ضياع اليقين، ص 33.
14. بشاير، ص 59.
15. بشاير، ص 121.
16. قصائد إلى الحبيب، ص 18.
17. د. مانع سعيد العتيبة، مجد الخضوع، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، أبوظبي، ط 22، 2000 م، ص 113.
18. قصائد إلى الحبيب، ص 100.
19. المصدر السابق نفسه، ص 101.

منظومة القيم في الرموز التراثية الإماراتية

عبد المنعم همت

إن دراسة التكوين الثقافي لمجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة يكتسب أهميته من تفاعل الماضي والحاضر لصياغة رؤية لإسعاد الإنسان لذلك من الأهمية معرفة البناء الأخلاقي لدولة الإمارات وتجلياته على المستويين العملي والنظري وهذا ما أشار إليه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - الذي قال: «إن الأمم لا تقاس بثرواتها المادية وحدها، وإنما تقاس بأصالتها الحضارية».

يتناول ابن باجه في كتابه «تدبير المتوحد» العلاقة بين المعرفة والبناء الاجتماعي ويصنف المعرفة إلى ثلاثة مستويات وهي: المستوى الأول المتمثل في المعرفة التي تقوم على الأهواء المتقلبة. المستوى الثاني: الإنسان الذي يمعن التفكير النظري ويحكم الاستدلال العقلي. المستوى الثالث: الحدس العقلي ويعدّها المرحلة الأعلى والأسمى؛ لأن الإنسان في هذه المرحلة يتعرف على الأشياء بعمق وفي هذه المرحلة يرى ابن باجة ضرورة أن يتصل الإنسان بالمجتمعات الأخرى لتقديم العون والمساعدة. من المهم دراسة سلوك الإنسان والظواهر المحيطة به وكيفية التفاعل معها وأثر ذلك على حركة المجتمع.

إن لكل مجتمع محفزات ورموزاً نفسية وأخلاقية وطبيعية، لم ينفصل المجتمع الإماراتي عن هذه المؤثرات باستدعاء رموز وافدة بل استمد من ثقافته المعاني والمضامين النبيلة الداعية إلى الخير ولذلك تجد القيم ترتبط بمعطى ثقافي تمت صياغته باتفاق وجداني؛ لأن للرمز وجوداً مؤثراً مختزناً في الذاكرة الجمعية ويفصح عن ذاته كهوية.

وجدت الرموز اهتماماً مقدراً من علماء الأنثروبولوجي والفلاسفة والمهتمين بالفلكلور وذلك للأهمية التي يحتلها الرمز في حياة الأفراد والمجتمعات كونها تُشكل الهُوية الثقافية. إن لكل مجتمع خصوصيته وفقاً للتفاعلات التي تحدث داخله وخارجه فتتكون عناصر هويته. الرمز أو الرمزية هو إحلال شيء مكان شيء آخر وتكون هناك علاقة بينهما، حيث يشير الرمز إلى وجود فكرة أو

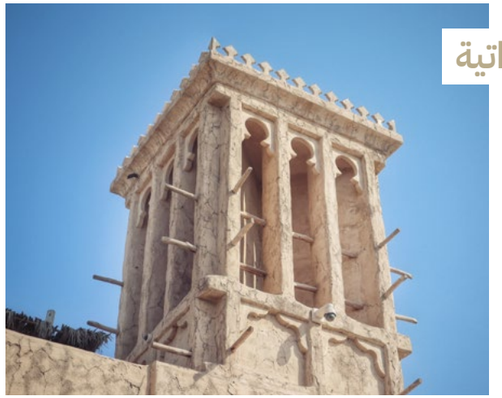

مضمون أو يحتوي على معانٍ، فمثلاً هناك دلالات لارتداء ملابس بألوان معينة. ففي حالات الحزن ترتدي النساء اللون الأبيض أو الأسود وبرغم تباين الألوان فإن القاسم بين ذلك هو الحزن بينما يرمز غصن الزيتون للسلام.

هذه الرموز تتم صياغة دلالاتها داخل المجتمع ويحدث حولها اتفاق نتيجةً للقواسم المشتركة بين الأفراد والجماعات التي تتكون بمرور الوقت ونتيجة للتجربة، ولكن ليس بالضرورة أن تكون الرموز لها الدلالات نفسها في المجتمعات كلها، فعلى سبيل المثال لا يمثل الكرم قيمة كبيرة في بعض المجتمعات خاصة المجتمع الغربي ولذلك لن تكون القهوة عندهم إلا منتجاً استهلاكياً يتعلق بالفرد ومنفعته الشخصية التي يتحصل عليها من تحقيق اللذة والنشاط والحيوية عند شرب القهوة. أما عند الصوفية فتعرف القهوة بأنها «شراب أهل الله» لأنها تنشط العقل وتقلل من النوم ولها دور في مقاومة الجوع مما يساعد الصوفي على العبادة ومجاهدة النفس، بينما انتشر حديثاً أن القهوة شراب المثقفين وعرفت كثيراً من المقاهي التي تقدم القهوة لروادها من أهل الأدب والفكر والثقافة والفنون.

عملت دولة الإمارات العربية المتحدة على الحفاظ على تراثها عبر مؤسسات متخصصة بدافعية واعية تربط الماضي والحاضر والمستقبل وتقوم بدورها التوعوي باستنهاض المجتمع. يمتاز شعب الإمارات بالتجانس بسبب وجود مشتركات كبيرة بين مكوناته الاجتماعية ومن أهمها الدين واللغة والتاريخ المشترك مما سهّل عملية الاتحاد وحقق (فاعلية) الهوية وأعني القدرة على العبور إلى مرافئ متقدمة في ترسيخ الوعي الاجتماعي وضغطها على الزمان والمكان لتحقيق التطور الذي لم يتنكر للثقافة الإماراتية.

في معرض بحثنا عن التراث الإماراتي وقفنا عند بعض الرموز ذات الحضور الوافر وتمثل الهوية البصرية التراثية لدولة الإمارات العربية المتحدة وهي:

العلم: يتكون علم دولة الإمارات من أربعة ألوان ذات مضامين قيمية وهي كالآتي: الأبيض: يرمز للسلام والعطاء وحب الخير، الأسود: يرمز إلى الشجاعة والعزيمة لتحقيق الأهداف، الأخضر: يشير إلى التنمية والتقدم والازدهار، الأحمر: يحمل مضمون الصلابة وقوة التأثير.

تم اعتماد العلم في الثاني من ديسمبر 1971م ورفعه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - لأول مرة في دار الاتحاد في إمارة دبي بحضور إخوانه المؤسسين. تم تصميم علم الإمارات بواسطة محمد المعينة الذي أدرك أن العلم يجب أن يكون رسالة تتضمن قيمة الوحدة واستلهم ذلك من قول الشاعر صفي الدين الحلي «بيض صنائعنا خضر مرابعنا... سود وقائعنا حمر مواضينا».

النشيد الوطني: بدأ النشيد الوطني كلحن موسيقي دون كلمات وكان ذلك في عام 1972م واستمر هذا الوضع إلى أن تم تكليف الشاعر عارف الشيخ عبد الله الحسن بكتابة كلمات تناسب لحن موسيقى السلام الوطني لدولة الإمارات. تضمنت كلمات النشيد الوطني تطلعات وآمال دولة الإمارات حكومةً وشعباً بإبراز الهُوية الوطنية، حيث يمثل الدين الإسلامي عصب حياة الدولة كما رسخت الكلمات معاني الاتحاد، والعمل، والإخلاص، والتضحية.

الصقر: تم اعتماد الصقر شعاراً لدولة الإمارات العربية المتحدة

في 9 ديسمبر 1971م الذي صممته الفتاة الإماراتية ظبية خميس. احتوى الشعار على سفينة البوم التي أسهمت بقدر كبير في النقل التجاري ونقل الماء في الفترة التي سبقت اكتشاف النفط، ويظهر الصقر ممسكاً بمخالبه لوحة كتب عليها اسم دولة الإمارات العربية المتحدة وعلى صدر الصقر تلمع سبعة نجوم رمزاً للاتحاد. تم اختيار الصقر لما يمتاز به من صفات أهمها الشموخ والقوة بالإضافة إلى الذكاء. ومن المعروف أن الصقر لا يأكل مما يصطاده الآخرون وإذا أجرينا مقاربة سنجد أن دولة الإمارات ظلت وفية لشموخها وعزتها فاعتمدت على نفسها كدولة في تطوير ذاتها دون أن تنحني فأصبحت التجربة الإماراتية مصدر إلهام للصبر والعزيمة والإباء الذي لم يتزحزح لأنها مصقولة

بأجنحة المعرفة ومسنودة على موروث راسخ. ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أن مرحلة التدريب التي يمر بها الصقر ليشارك في الصيد والتي تعرف بالتهديل، حيث يتم لمس وجه الصقر بلطف من الصقّار ومسح الصدر مع تجنب تمرير اليد على ظهر الصقر وإن تم ذلك فردّ فعله شرسة وهجومية. كما أن الصقر يرفض الأكل في هذه الفترة فيتم إعطاؤه القليل من الطعام وتكون عيناه مغطاتين بالبرقع. لقد تم اختيار الصقر كرمز مما أثر إيجاباً في المكوّن الاجتماعي والأفراد ليذكرهم أن الشموخ يرتبط بقدرتك على الاكتفاء الذاتي وعدم الاعتماد على ما ينتجه الآخرون من معرفة وغذاء.

الخنجر: يمثل الخنجر رمزاً للقوة والفخر وحمله في الماضي كان للدفاع عن النفس والاستعانة به لأغراض أخرى ولكن الآن يستخدم كدلالة على الجاهزية للتحول من السلم إلى الحرب ورفض الاستضعاف. يتكوّن الخنجر الإماراتي من «المقبض» وغالباً يصنع من العاج أو من أنواع خشب تمتاز بالجودة، ومن «الصدر» الذي عادة ما يصنع من الفضة أو الذهب، ومن «الغمد» ويصنع من الجلد الطبيعي ويرصع بأنواع مختلفة من المجوهرات الأخاذة وعليه نقوش وزخارف.

دلة القهوة: تحتل القهوة مكانة عظيمة في حياة المجتمع الإماراتي كدلالة على الكرم ويقول المثل الإماراتي «اللي ما عنده دَلَهْ ما حد يندلَهْ»، والقهوة ليست مطلباً في ذاتها ولكنها تعكس عمق الروح وتجلياتها في خلق مشتركات سعادة تأتي من المجالسة والأجواء المحيطة بالضيف والمضيف باعتبارها رسالة وجدانية تحمل المحبة.

تظهر رمزية الدلة في الإمارات في الترحاب منذ وصولك إلى أراضيها، وهي وعاء يكفي جميع من حضروا إلى بلاد تغمرك بالفيوضات؛ ولذلك «يندل» عليها الناس عندما تعصف بهم أمواج الحياة، كما تحمل الدلة رمزية أخرى في حالة الحزن، حيث يتم قلبها وسكب ما فيها من قهوة في حالة وفاة أحد الأعيان كشيخ القبيلة وهذا يماثل تنكيس الأعلام الذي تقوم به الحكومات في حالات الحداد.

النخلة: تمثل النخلة قيمة ارتباط الإنسان ببيئته والعطاء المميز من ثمرها، لقد عانت مجتمعات الجزيرة العربية كثيراً بسبب قساوة بيئة الجزيرة العربية وشح المياه والكلأ فكانت النخلة هي المعين الأساسي الذي لا يحتاج إلى الماء الوفير بشكل دائم. تقف النخلة في الصحراء بشموخٍ عصي على التركيع، وعلوٍ دون تكبر وازدراء، تمر عليها الرياح فلا تقتلعها وفي الوقت ذاته لا تستطيع النخلة العيش خارج بيئتها وتظل وفية للجغرافية لأنها منحازة للباحثين عن الغذاء في البيئة القاسية، يقول الشاعر السوداني

حُمَيد «النخلة ما بتقدر تخون الأرض.. وكل الرياح فوقا بتمر.. من ساقا نتعلم نطول». إن النخل يبادل الإنسان الخصائص والصفات، فبرغم الجدب وقلة المياه فإن النخل يصبر ويزداد طولاً دون نرجسية، يتحدى التقلبات المناخية ويكون التمر جليس أهل المدينة والبادية في مجالسهم ويقتسم الجود والكرم مع القهوة فيمتزج المذاقان المر والحلو في روح الإنسان فيبتهج. اختَطّت دولة الإمارات العربية المتحدة لنفسها مسار العطاء وذلك بمصارعة الفِرقة والشتات وقلة الموارد لتنتصر بمزج الحلو والمر فتنزاح غشاوة الفقر عن البلاد باتحاد مبهج ونهضة إنسانية قبل أن تكون عمرانية.

الناقة: سمتها العرب سفينة الصحراء وحينها كانت السفينة ترمز إلى الصمود والعطاء والقدرة على تجاوز المحن والصعاب، ومع الوقت لم تعد السفينة معجزةً وصناعتها عملًا خارقاً، بينما لم تفقد الإبل مكانتها في قلوب الناس؛ لأنها ظلت بذات العطاء والسرعة والشدة كما أنها لم تفقد حميميتها ولطفها في التعامل مع البشر فما زال الناس يعتنون بالإبل ويحسنون تربيتها فهي بمنزلة الرمز الأخلاقي الذي يمثل الوفاء.

تستخدم الناقة في الإمارات كرمز للصبر فعندما كانت البلاد شحيحة الموارد وتعاني ضعف البنية التحتية لم تُصب باليأس واستمرت في المسير وقطعت المسافات الشاقة مختزنةً التوازن الداخلي للمجتمع وقابليته للتغيير، كان الطريق شاقاً وموحشاً ولكن الإرادة لم تلن وكان العمل المتقن والسير بثبات هو سبيل النجاح وتحقيق نقلة نوعية.

تناولنا الرموز الإيجابية ذات الصلة بكريم الأخلاق والنخوة والشهامة وفي الصياغ نفسه هناك تنفير من بعض الرموز مثل الذئب بما يحمله من صفات المكر والخبث فمثلاً عندما يحتاج شخص إلى نخوة وشهامة فيباعد بين الذئب بصفاته عن الشخص الذي يتوجه إليه طالباً العون فيقال «انخاك وإلاّ انخا الديب». إن النماذج التي تناولناها لم تحصِ الرموز بل ركزت على بعضها في محاولة لتلمس خيوط النسيج الاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة وتأثير ذلك في النهضة التي تحدث على مستوى الإنسان والعمران. كما نرى أن استخدام هذه الرموز أحدثت ثوابت قيمية في المجتمع تحترم الأصالة وتبرهن أن الحداثة ومظاهرها المتعددة لن تؤثر سلباً في شعب تكوّن وجدانه على المحبة■

كاتب وباحث سوداني

إصدارات

من وثائق الأرشيف المصري في تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية

«سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث»

موزة عويص علي الدرعي

يسعى قسم الدراسات والبحوث في مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات إلى تحقيق أهداف القسم من خلال الاهتمام بالنشر في موضوعات تتعلق بتراث الدولة وتاريخها بشكل خاص ومنطقة الخليج والجزيرة العربية عموماً، وقد ترجم المركز هذا الهدف إلى واقع ملموس، ونجح عبر مسيرته الطويلة في إصدار المئات من الكتب والدراسات في حقول التاريخ عبر مراحله الزمنية المختلفة، وفي مجالات التراث الثقافي والشعر النبطي والفن والأدب، والتراث المادي والألعاب الشعبية والعمارة التراثية وغيرها، وتأتي هذه السلسلة المنشورة عبر مجلة تراث تحت عنوان «سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث»، لتستعرض نماذج من تلك الإصدارات المختلفة بهدف تعريف القارئ بمحتواها، ولإبراز دور المركز الثقافي وجهوده الكبيرة والمميزة في توثيق عناصر التراث الوطني والعربي والإسلامي، وفي الحفاظ على تاريخ الدولة وتراثها من الاندثار عبر تلك الإصدارات المهمة التي تعكس رؤية المركز ورسالته وأهدافه باعتباره مركزاً وطنياً رائداً في حفظ تراث الوطن وتاريخه.

في هذا العدد تتناول السلسلة، الكتاب المعنون بالتالي: (من وثائق الأرشيف المصري في تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية)، وهو من إعداد: الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، وصدر عن المركز في عام 2001.

الكتاب وأهميته:

يتناول هذا الكتاب بين صفحاته، مصدراً مهماً من مصادر كتابة التاريخ الحديث في المنطقة العربية عامة، تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية على نحو خاص. وجاء هذا المصدر متمثلاً في «الوثائق» وخاصة **وثائق عابدين أو وثائق القلعة المحفوظة في دار الأرشيف المصري**، التي تُعد من أهم الوثائق التي تؤرخ لهذه المنطقة في الفترة الممتدة منذ العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي حتى منتصفه. وتكشف هذه الوثائق جوانب من علاقة محمد علي باشا بالدولة العثمانية، وموقفه من العمليات البريطانية في عدن والجنوب العربي والخليج.

وجاء هذا الإصدار بمثابة «فهرس»، لمجموعة مختارة من وثائق الأرشيف المصري، وجرى فهرستها اعتماداً على التتابع الزمني

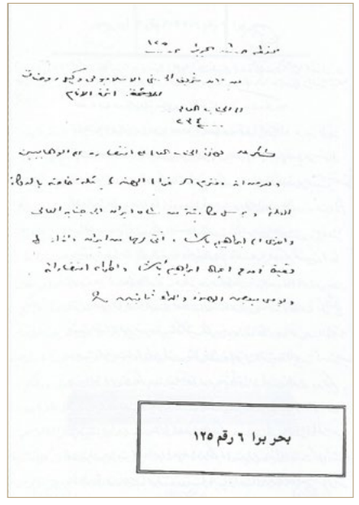

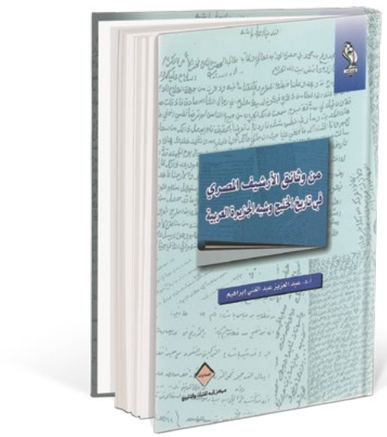

تاريخياً بشكل تنازلي حيث جرى اعتماد الحدث الأسبق تاريخياً ثم الذي يليه زمنياً، ما يتيح للباحث أن يطالع، دون بذل كثير من الجهد، تتابع الأحداث حتى إذا استهوى فكرة شيء منها عاد إليه، بحسب رقم الوثيقة. ومن خلال تلك الفهرسة يهدف الإصدار إلى لفت النظر إلى أهمية تلك الوثائق وتشجيع الباحثين على التعامل معها والرجوع إليها في خدمة أبحاثهم. والجدير بالذكر أن هذه الوثائق التي تمت فهرستها وتنظيمها وبيان محتوياتها خدمة للباحثين والمهتمين بالوثيقة، قد تم إيداعها في مركز زايد من قِبل الأستاذ الدكتور حسن محمد النابودة - مدير مركز زايد للتراث والتاريخ سابقاً - الذي تخصه هذه الوثائق شخصياً.

قراءة ونبذة مختصرة لمحتوى الكتاب:

الكتاب يقع في (407) صفحات من القطع المتوسط، ويتكون من مقدمة ومن ثم الوثائق المصرية مرتبة تصاعدياً، والملاحق، وفهرس الكتاب. وفي المقدمة تطرق مُعد الكتاب وبشكل مختصر ومفيد إلى جملة من الموضوعات ذات الأهمية في بيان تلك الوثائق التاريخية وتعريف الباحثين بها، ومنها بيان أهميتها وسماتها والفترة الزمنية والمساحة الجغرافية التي تُغطيها، فضلاً عن تقديمه لمحة مختصرة عن نشأة الأرشيف المصري. فالوثائق التي جُمعت في هذا الكتاب، اتسمت بالمعاصرة التاريخية التي هي من أقوى الأسس اللازمة في أدب الوثائق لاعتماد صدق الوثيقة وهو عنصر من العناصر الأولية لصحتها. فالوثيقة حين تكتب في مكان الحدث، وفي زمانه حال وقوعه، تحمل قدراً من الخصائص المميزة للحدث في ذاته لا يتوافر لوثيقة أخرى كُتبت في مكان غير المكان والزمان غير الزمان. فضلاً عن ذلك حين يكون كاتب الوثيقة صانعاً للحدث الذي يكتب عنه في زمانه وفي مكانه، أو مخططاً له، أو مشاركاً فيه، فإن قيمتها في هذه الحالة تكاد تشجب كافة ما يعارضها من وثائق وشواهد أخرى، لا سيما تلك المراسلات أو المكاتبات التي تجري بين القادة الميدانيين ورئاستهم، فالقائد في ساحات القتال يتحرى الصدق ويلتزم الدقة حين يخاطب رئاسته. وهذا حال الوثائق في هذا الكتاب، كما أن الوجود العثماني الذي مثله محمد علي باشا، والي مصر، في شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة لم يزد عن كونه وجوداً عسكرياً، أو وجوداً إدارياً في أحسن حالاته، ومن ثم فقد أسبغ تسجيل الحدث العسكري أو الإداري على هذه الوثائق قيمة علمية كبيرة، ولن يخامر المؤرخ والباحث الشك في صحة ماورد في الوثيقة بحكم أنه خبر أو أمر، فالإخطار بالنصر أو الهزيمة قل أن يلحق به الكذب ولكنه قد يلحق بالمبررات التي قادت إلى النصر، أو أدت إلى الهزيمة.

وإلى جانب ذلك، هناك ما وصفه مُعد الكتاب فيما يتعلق بالكذب «البريء» في تلك الوثائق ومرده إلى المجاملة أو صيغ مخاطبة الرؤساء الكبار من ذوي الشأن بحسب أسلوب ذلك العصر وأدب المخاطبة في دوائر الدولة العثمانية الرسمية، على سبيل المثال يخاطب السلطان بالإشارة إلى أنه مركز الكون، أو أن يُرد النصر الذي أُحرز في معركة ما إلى أنفاس الخديوي أو لبركته، ولكن لا يقلل كذبها المفضوح من قيمتها العلمية، فهي وثائق أساسية

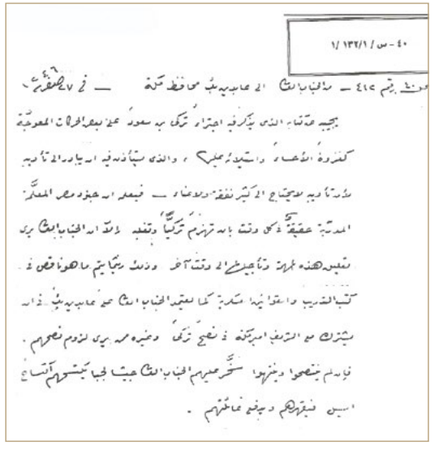

والأكثر من غيرها ملازمة للحدث وصانعيه، فلم يكن لأي دولة أخرى مصالح في شبه الجزيرة العربية توازي مصالح الدولة العثمانية، فبريطانيا التي هي أكثر الدول الاستعمارية اهتماماً بهذه المنطقة كانت دولة بحرية قصرت اهتمامها بما يجري من أحداث في البر العربي على تأثيرها في البحر الذي يهمها، ولذا لا توجد في وثائقها عن هذه المرحلة إلا ما يصلها من الرحالة وبعض الجواسيس، ولا تكشف أخبارهم ووثائقهم عن صدق مجريات الأحداث في الداخل العربي. ولكن وضع الوثائق البريطانية يختلف تماماً عندما يتصل الأمر بالسواحل العربية. ويبقى القول إن ما تقدمه وثائق الأرشيف المصري في هذه الفترة ربما زادت أهميته عما تقدمه الوثائق الهندوبريطانية، كما أنه لايمكن للباحث فهم وقائع هذه الفترة ما لم يتيسر له أن يكمل هذه الوثائق بتلك. ومما يُزيد من أهمية وثائق الأرشيف المصري في هذه الفترة الزمنية التي ضمها الكتاب، أنها تشكل وثائق أساسية في صياغة تاريخ شبه الجزيرة العربية بشكل خاص والمنطقة العربية بشكل عام. واتسمت تلك الوثائق بالصدق والموضوعية والتزمت الدقة، وكانت موضع عناية واهتمام ومتابعة من محمد علي باشا نفسه، الذي كان يهتم بكل صغيرة وكبيرة تتصل بالأراضي التي يُديرها، وحرص على أن تكون المعلومة الخاصة بكل ما يتصل بالإدارة وشؤون الحكم والمال تحت يده مباشرة فور طلبها، ومن ذلك إنشاء الباشا الدفتر خانه في عام 1828 لتشكل قسماً مهماً من أقسام الإدارة في حكومته، وقد أقامه عند باب القلعة، وعيّن عليها المسؤولين ووضعت أول لائحة نصت على معاقبة أي مسؤول يتقاعس عن تسليم السجلات والمستندات إلى الدفتر خانه بجلده مئة جلدة في ميدان عام. وبدأت الدفتر خانة تعمل بانضباط منذ عام 1830، وكان محمد علي باشا - كما تبيّن من الوثائق - يتابع تدقيق الأرشيف بنفسه، ويأمر مسؤوليه أن يحتفظوا بسجلاتهم كاملة، ما جعلهم يحرصون على استكمال أرشيفاتهم. والجدير بالذكر أن الأرشيف المصري الذي استحدثه محمد علي باشا في القلعة كان من أسبق الأرشيفات الحديثة في العالم ظهوراً، وإنه سبق الأرشيف البريطاني في تاريخ إنشائه.

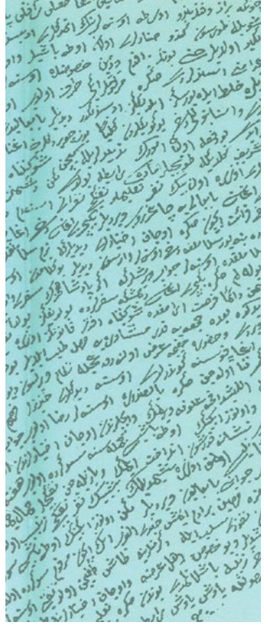

وقد حرص خلفاء محمد علي باشا من بعده على تنظيم الأرشيف وتطويره والارتقاء بإدارته، فالخديوي إسماعيل (1863 - 1879) أمر بتجميع دفتر خانات المديريات كافة في القاهرة، وأصدر عباس حلمي (1898 - 1914) لائحة جديدة بدّلت مسمى الدفتر خانه المرتبط بلفظ تركي إلى المحفوظات العمومية. أما الملك فؤاد (1917 - 1936)، الذي كان شديد الوعي بالتاريخ، فقد أقام دار المحفوظات التاريخية في قصر عابدين وخصصها لوثائق أسرة محمد علي باشا وأبنائه فقط إلى آخر عهد عباس الثاني، كما أمر بترجمة الوثائق التركية والأفرنجية إلى العربية تمهيداً لتسجيل تاريخ أسرته. والوثائق التي ضمها هذا الكتاب ترجع إلى هذا الأرشيف الذي استحدثه الملك فؤاد وعمل على جمع مادته من أرشيفات من سبقه.

وغطت الوثائق التي تمت فهرستها في الكتاب أحداث مساحة جغرافية شاسعة، فبالإضافة إلى الحجاز وعسير واليمن ونجد والإحساء التي تعاملت هذه الوثائق تعاملاً مباشراً مع أحداثهم فقد ضمت هذه الوثائق أحداثاً أيضاً وقعت في أقاليم أخرى تأثرت بمجريات الأمور في شبه الجزيرة تأثراً مباشراً مثل البحرين والكويت وجنوب العراق، ومناطق أخرى لم يكن تأثرها مباشراً بتلك الأحداث مثل عُمان والمناطق الداخلية في منطقة الإمارات الحالية.

وكما سبق القول، فإن مُعد الكتاب قام بترتيب الوثائق الواردة في الكتاب تصاعدياً، ثم حدد نوع الوثيقة والجهة الصادرة عنها والجهة المرسلة إليها وتاريخ إرسالها، ومختصر لمحتوى وفحوى الوثيقة. أما ملاحق الكتاب فقد أُفردت لها في هذا الكتاب قائمتان الأولى بعنوان: (ملحق رقم 1 قائمة بالسنوات الهجرية الواردة في النصوص وما يقابلها بالميلادي)، والقائمة الثانية اشتملت على نماذج من صور وثائق الأرشيف المصري الواردة في الكتاب وجاءت تحت عنوان: (ملحق رقم 2 نماذج من الوثائق).

نماذج مختارة من وثائق الأرشيف المصري المعروضة في الكتاب

النموذج الأول:

الوثيقة: بحر برا: ٦، رقم ١٢٤

صادرة عن: محمد درويش باشا

صادرة إلى: صاحب السعادة والمكرمة والمودة (محمد علي باشا)

بتاريخ: ٢٦ ذي الحجة ١٢٣٤ هـ

خلاصتها: يورد أخبار الاحتكاكات بين السلطات العثمانية والبريطانية جنوب اليمن، ويطلب إليه «عدم ائتمان الدول الإفرنجية أو الاعتماد على أقوالهم مع لزوم ردهم بالحكمة والرفق حسب مقتضى الحال دون الانخداع بمكرهم».

النموذج الثاني:

الوثيقة: بحر برا:٧، رقم ٢٧

صادرة عن: السيد علي باشا (الصدر الأعظم)

صادرة إلى: صاحب السعادة والمكرمة والمودة (محمد علي باشا)

بتاريخ: ١٦ جمادى الآخرة ١٢٣٥ هـ

وخلاصتها: يتحدث عن قيام الإنكليز بحملة على القواسم في الخليج العربي، يفيد بأن بعض الجنرالات الإنكليز وصلوا إلى القطيف، ويحذره من الوقوع في مؤامرات الإنكليز.

النموذج الثالث:

الوثيقة: ٢٢١ - س/١/٤٥/١٢، رقم ١٦٧

صادرة عن: محمد علي باشا (إدارة)

صادرة إلى: خورشيد باشا الحجاز

بتاريخ: ٢٨ ذي الحجة ١٢٣٦هـ

وخلاصتها: يعنفه على التلكؤ في السفر إلى نجد ويطلب إليه أن يقارن بين حاله وحال إبراهيم باشا حين طلب إليه أن يذهب في مهمة مماثلة، ويطلب إليه التمثل به.

النموذج الرابع:

الوثيقة: عابدين ٢٦٧/ ١٦٤ حمراء

صادرة عن: محمد رفعت

صادرة إلى: ولي النعم

بتاريخ: ٢٥/ ذي القعدة/ ١٢٥٤هـ.

وخلاصتها: يكتب عن الأخبار الخاصة بالقطيف والبحرين والساحل المطل على الخليج، والأحوال في هذه الفترة.

النموذج الخامس:

الوثيقة: عابدين ٢٦٩/ ٣٢ أصلية/ ١٢٦ حمراء

صادرة عن: أحمد شكري

صادرة إلى: وكيل شورى المعاونة

بتاريخ: ٢٦/ جمادى الأولى/ ١٢٥٦هـ

وخلاصتها: بخصوص الإبل التي وصلت من نجد وأوكلت إلى بعض الأشراف للعناية بها ويخطر بأن كثيراً منها قد مرض أو نفق

بحر برا ٦ رقم ٢٠٦

لاختلاف الكلأ والجو في تهامة عن نجد، وأنه يجري الآن حصر المتبقي منها.

كانت تلك نماذج مختارة من الكمّ الهائل من الوثائق التاريخية المهمة التي ضمها الكتاب، وفي خاتمة استعراض هذا الإصدار يبقى القول: إن مُعد هذا الكتاب هو المؤرخ الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (1939 - 2022)، ممن عُرف باهتمامه الكبير بالوثائق واستعمالاتها، وله العديد من المؤلفات الوثائقية التي تقف شاهدةً على خبرته الواسعة، ما يجعل هذا الكتاب مرجعاً مهماً لكل مهتم وباحث في تاريخ منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية. ورافداً مهماً للمكتبة الخليجية والعربية. كما أن هذا الكتاب يُشكل الحلقة الثالثة من منظومة سلسلة وفهارس وثائق شبه الجزيرة العربية والخليج، والتي أصدرها المركز في مرحلة مبكرة من تأسيسه والمتمثلة في «**من الوثائق العثمانية في تاريخ الجزيرة العربية**» التي صدرت في عام 2000*، و«**من الوثائق البريطانية في تاريخ الخليج والجزيرة العربية**» التي صدرت في عام 2001 ■

* للاطلاع على القراءة المقدمة عن هذا الإصدار، انظر: الدرعي، موزة عويص، إصدارات من الوثائق العثمانية في تاريخ الجزيرة العربية «سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث»، مجلة تراث، ع 275، سبتمبر 2022، ص ص 80 - 83.

مركز زايد للدراسات والبحوث

رموز روحانية في الحضارة الفرعونية

نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

كم منا سافر إلى مصر و التقط صوراً للمسلات والرسومات التي على جدران المعابد والتماثيل دون الوقوف عند معانيها، في الحقيقة يصعب علينا فهم خفايا ما نُحت، حيث كانت المعرفة الروحية والمادية السائدة مختلفة تماماً عن عصرنا. إنها رموز عميقة تحمل رسائل روحانية متصلة بإله. وتشير فنون النحت والكتابة الفرعونية إلى صفات الإله وتجلياته برموز من العالم المادي، وقد امتنع المصريون القدماء منعاً باتاً عن تجسيد صورة «الواحد الأحد» وكانت هذه الطريقة مقصودة، لأن القلب عضو حساس، يميل إلى العاطفة وبتكوين روابط نفسية بينه وبين الرمز. لذا جاء في بردية «خونسو» العبارة التالية: الإله «هو المحتجب، الذي لا تدركه الأبصار» و«لا يمكن لعين مخلوق أن ترى الإله، كيف لمخلوق فانٍ أن يرى الخالد الباقي» فلا يليق بقدسية الذات الإلهية التعبير عنه بالصور. أدرك المصريون القدماء بأن العقل يقيد بالصورة[1]. لذا استخدم المصريون القدماء حيلة «الرموز» حتى لا يقع عقل الإنسان في فخ الالتصاق بالصورة[2].

زهرة اللوتس

يوجد رمز زهرة اللوتس بكثرة في فنون النحت القديمة التي تحمل معاني باطنية عميقة، هذه الزهرة لا تنبت إلا في الوحل والمستنقعات وتتبع إيقاع حركة الشمس، تتفتح أزهارها وقت الشروق وتنغلق على نفسها وتغطس تحت ظلمة المياه مع غروب الشمس، وتعود إلى السطح من جديد وتتفتح أوراقها عند شروق أشعة الشمس وهكذا دواليك.

عتبرت هذه الزهرة مقدسة لدى المصريين القدماء لأنها تعبّر عن النور في داخل الإنسان وإشارة إلى «الروح» المتصلة بالإله التي تسعى إلى الخروج من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة، كما أنها تشير إلى قدرة الإنسان على الخروج من مستنقع الظلام المتمثل في قوى الشر والمرض والجهل وتحديات الحياة المادية إلى عالم النور السماوي. والسعي الدؤوب للاتصال بعالم السماء والتعمق في الذات، فالأرواح التي تغادر الأجساد وقت النوم، تعود محملة برسائل ورموز وإشارات من عالم السماء عبر الأحلام[3].

قرص الشمس المجنح

يعتبر من أقدم الرموز المصرية ويرمز إلى خلود الأرواح التي ارتفعت إلى السماء كطائر محلق. الشمس في الثقافة المصرية القديمة تعني الوعي المعرفي والاستنارة الحقيقية داخل الإنسان أي الوصول إلى مرحلة التنوير. الأجنحة في النقوش المصرية القديمة تظهر بصورة جلية في أغلب الكائنات الإلهية مثل ماعت المجنحة، وإيزريس المجنحة. الأجنحة ترمز إلى الروح الكامنة في كل شيء في الوجود وتنبع كلها من روح الإله الواحد، كما أنها ترمز إلى قدرة الإنسان بقوة المعرفة في أن يتحول إلى كائن مستنير متصل بعالم السماء[4].

الحية بين الخير والشر

الحية أحد أهم الرموز في الفنون المصرية تعكس ازدواجية المفاهيم والمعاني في الفلسفة المصرية القديمة، تحمل الحية معتقدات بين الخير والشر، فهي تتسم بطاقة الانتقال والتحول وخفة الحركة. تسعى الحية الخيرية في «السماء» وترمز إلى طاقة النور التي تقبع أسفل العمود الفقري، ولا يمكن تفعيلها إلا بالارتقاء المعرفي الروحي وبالاتصال الحقيقي بعالم السماء، تتحرك هذه الطاقة إلى الأعلى مجازاً كحركة الحية. لذا وضع رمز الحية على تيجان الملوك (تحديداً على منطقة الجبين العين الثالثة) إشارة إلى تفعيل طاقة النور من خلال اكتساب المعرفة الروحية. كما ترمز إلى حماية الملوك من قوى الفوضى والظلام، أي من الطاقات السلبية[5].

أما الحية الشر فتتمثل في ثعبان يطلق عليه «أبوفيس» أو «عبيب» باللغة المصرية القديمة وهو عدو الكائنات الإلهية. اعتقدَ المصريون القدماء أن الجن والأرواح تتجسد في أجسام أخرى من بينها الحية[6]، من صفاتها سرعة الحركة وتهديدها المفاجئ للسلام والهدوء الذي يتمتع به الإنسان الروحاني، على الإنسان مواجهة «أبوفيس» بسلاح المعرفة الروحانية المتمثلة في ثعبان السماء. صورت الفلسفة المصرية القديمة مشاهد فنية لـ «أبوفيس» على الجدران والتماثيل، يصور المشهد الفني قارب «رع» الذي يبحر في حركة مستمرة في الليل والنهار ويواجه ثعبان الفوضى «أبو فيس». هذا الثعبان يحاول دائماً الهجوم على قارب «رع» في أثناء رحلته وعلى «رع» أن يهزمه في رحلته. هذا المشهد الفني الذي يصور الصراع بين «رع» و«أبوفيس» هو في الأصل انعكاس لصراع داخل كيان الإنسان في رحلته على الأرض بين الخير والشر، هو صراع أبدي لأن النور والظلام (النهار والليل)، والجهل والمعرفة جزء من منظومة الخلق وكل ما يواجه الإنسان على هذه الأرض ويتعرض له من أشخاص سلبيين وصعوبات ومواقف يطلق عليه مجازاً «شر» وهم جزء من «أبوفيس». جاء في النصوص المصرية القديمة أن أبناء «أبوفيس» العاقين يسكنون البراري والصحارى، ولا يقدر على قهر ثعبان «أبوفيس» سوى المسلحين بنور «رع» الإلهي لذلك يجب على الإنسان أن يستعد فجر كل صباح لمواجهة «أبوفيس» (قوى الشر المتمثلة في الأشخاص السلبيين) وطاقتها (الحسد والغيرة والكره والأنانية والأحداث السلبية،.. إلخ) التي تحاول أن تشل حركة الإنسان التنويرية[7].

معجزة الحية تحدٍّ للمعتقدات المصرية

رفض فرعون فكرة «الإله المحتجب»، و قال: «أنا ربكم الأعلى»، هذه الجملة نسف بها المعتقدات المصرية القديمة كلها حول وحدانية الإله. أرسل الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام، بمعجزات لها ارتباط وثيق بتاريخ مصر القديمة، ومنها معجزة العصا التي تحولت إلى أفعى؟ ليس المقصود هنا تحدي السحر بقدر ما هو توجيه للعقل نحو التفكر في معاني المادة التي تجسدت في صورة حية. لماذا لم تتحول إلى أي شيء آخر؟ إنه تحدٍّ للمعتقدات المصرية القديمة حول ما تمثله الأفعى التي تحمل معاني عميقة بين الخير والشر في تاريخ مصر القديمة، فهي لا بد أن تهز فرعون لأنه يعلم علم اليقين بمعاني الأفعى. خير الثعبان مرتبط بالاتصال بعالم السماء. إشارة إلى الوعي المعرفي المتطور في علم الروحانيات، لذا فمن البديهي أن يكون موسى عليه السلام متصلاً برب هذا الرمز الذي وضعه المصريون على تيجانهم طلباً للحماية من رب الأفعى - في حالة وجود خطر مادي وغيبي - فرضاً تحولت عصا موسى إلى ذئب أو نمر؟ ! ربما هذا لا يحمل معتقداً في الفلسفة المصرية القديمة، أما رمز الحية فموجود في الآثار المصرية كافة، يخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم مباشرة بعدما تجسدت العصا في صورة أفعى، «فألقي السحرة سجداً، قالوا آمنا برب هارون وموسى» وحرف الفاء «فألقي» يفيد سرعة رد الفعل بالسجود. لتداركهم معاني المعجزة التي أتى بها موسى ■

الهوامش والمصادر:

1. على مر الأزمنة امتنع علماء المسلمين عن إظهار شخصية الرسول والأنبياء في المسلسلات حتى لا يرتبط العقل والقلب بروابط نفسية بتلك الصور (الشخصيات). لذلك منعت الفتاوي متابعة مسلسل يوسف عليه السلام (الإنتاج الإيراني)، وكذلك المسلسل الذي جسد شخصية عمر بن الخطاب حتى لا تترسخ تلك الصور في ذهن المشاهد.
2. د. مواتا آشبي، اليوغا المصرية: فلسفة التنوير، الجزء الأول، الناشر معهد سيما، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2005، ص 46.
3. Kavita Pilly, Yoga Ashram, Dubai. Al Juamira , March , 2023.
4. د. مواتا آشبي ، اليوغا المصرية: ص ص -171 172.
5. https://sputnikarabic.ae/20180304/1030497719.html.
6. ريم كمالي، الثعبان والعصا، صحيفة عكاظ، السعودية 4 فبراير 2022.
:https://www.okaz.com.sa/culture/culture/2096122
7. د. مواتا آشبي، اليوغا المصرية: ص ص 115 - 125.

خير الأفعى على مقابر سقارة

قراءة في كتاب «خليل الشيخ»

«باريس في الأدب العربي الحديث».. عمل تأْسِيسي لـ «نقد أدب المدن»

خالد عمر بن ققه

حين نتحدث عن التراث في مجال الثقافة لجهة البحث والدراسة، يبدو لنا في عوالمه المتدفقة فضاءً واسعاً يشمل المعارف والفلسفات والآداب، فيشكل بذلك عالماً نتوق إليه، ونودّ لو كنا جزءاً منه، في محاولة منا للتفاعل معه.

وفي حال تفاعلنا مع الفضاء المعرفي للتراث أو سعينا إليه، نجد أنفسنا في حال من الإصغاء لمبدعين، لا يزالون - رغم رحيلهم منذ قرون أو عقود - يؤثرون في وعينا الجمعي بما سجلوه لها من ذكريات ومعلومات وسرد، يحضر فيها الزمان والمكان معاً، باعتبارهما منبع الأفكار ومصبها، لجهة ظهور الأفكار وتطورها، وصمودها أو زوالها أيضاً.

وبعيداً عن مسألة السَّبْق لمن يشدُّ الآخر إليه إن كان المكان أو الفكر ، وكلاهما له صلة بالزمن، فإن الحديث عن تأثير الأماكن، لجهة «المثاقفة الحضارية» بين الأمم من منطلق الدراسات الأدبية يعدّ قليلاً، في حدود مطالعاتي، الأمر الذي يجعل البحث في هذا الموضوع من الأهميَّة بمكان.

عملياً، فإن الحديث عن الأماكن في سياق البحث والدراسة للتراث، يحمل طابعاً اختيارياً، لكنه يكشف مدى تأثيرها في الوعي والوجدان والمشاعر، باعتبارها طريقاً ومسْلكاً، أو على الأقل مدخلاً للوصول إلى حيث المنجز البشري في مجالات الفكر والآداب والعلوم، سواء أثر ذاك المنجز في الأماكن أو أثرت فيه.

وفي رحلة البحث نكتشف أن هناك تناسلاً في الأفكار التي ارتبطت بمكان معيّن، نتيجة شدّ الرحال إليه، كونه يمثل بيئة جاذبة للأدباء والمفكرين، بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف في الآراء والمواقف والأطروحات بن عناصر النخبة، الأمر الذي يثري معارفنا ويوسع مداركنا عند استحضار التراث، قراءة ونقداً، في عصرنا. من ناحية أخرى، فإنَّ الذهاب إلى منابع التراث في شقِّه الإبداعي، وهنا أقصد الأدب العربي، سيجعلنا أكثر قرباً من معرفة خلفيات تأثير الأماكن على النحو الذي سنتحدث عليه لاحقاً، حيث التفاعل معها من منطلق خلفيات تراثية خاصة بالانتماء إلى المكان الأول من جهة، ومن ثقافة حضارية صادمة أحياناً، في المكان الثاني من جهة ثانية، ورغم أهمية تأثير هذا الأخير، إلا أن المبدع سيبقى مشدوداً بين المكانين، الأمر الذي يكشف عنه إبداعه الكتابي بعد ذلك، كما الأمر في الكتاب الذي نعرضه هنا.

الوضوح المعرفي

يقدم لنا «د. خليل الشيخ»[1] في كتابه «باريس في الأدب العربي الحديث» [2]: «دراسة تسعى إلى تحليل حضور باريس في مجموعة من النصوص، التي تنتمي إلى غير جنس أدبي، ويتوزع أصحابها على أزمنة وأمكنة مختلفة، ويصدرون عن رؤى متعددة، وأن ظل يجمع بينهم أنهم أقاموا في باريس زمناً يطول أو يقصر، لتكون رؤى صادرة عن تجربة ومعايشة»[3]. ويُفْصِح خليل الشيخ من البداية عن الهدف من دراسته، وهو يجالس مجموعة من الأدباء العرب كتبوا عن باريس، قائلاً: «إن اختيار باريس، التي تجلت في هذه الدراسة بوصفها مركزاً جاذباً لأطراف متعددة في العالم العربي، لا يهدف لها من منظور فرانكفوني، بل يقصد إلى تحليل لحظة معقدة من تاريخ المثاقفة الحضارية بين الشرق العربي الإسلامي، والغرب الأوروبي المعاصر»[4]. ويشي هذا الوضوح المعرفي، إن جاز التعبير، إلى قراءة تراثية للأدب العربي في زمن اكتشاف الذات أثناء صدامها الفكري، وليس العسكري، مع الآخر، حيث الانحياز الطوعي إلى السلم والاعتراف والقبول بالآخر عند مثقفي المشرق العربي، دون تأثر بمواقف مفكري المغرب العربي زمن الاحتلال، ما أسس، في نظري، إلى اختلاف مبكر في النظر إلى العلاقة من الفريقين مع أوروبا وخاصة فرنسا ممثلة في باريس.

وأحسب أن تلك الرؤية لا تزال قائمة إلى الآن في التعاطي مع أوروبا بين المشرق والمغرب العربيين، والعودة إلى البحث في جذورها وخلفياتها قد يُقرِّب بين النظرتين، كما قد يجد مبررات للمواقف العربية المختلفة والمتباينة في العلاقة مع أوروبا.

من ناحية أخرى، فإن الوضوح المعرفي، جعل من دراسة خليل الشيخ، كما يقول الناقد الدكتور إحسان عباس: «بحثاً جاداً بمادته وتنظيمه وما يقدمه من فائدة ومتعة للقارئ.. فهو لا يزعم أنه يتحدث مباشرة عن الأدب، وإنما يدير الحديث حول نظرة كوكبة من أدباء العرب ومفكريهم الذين زاروا مدينة النور والعرفان في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وشاهدوا الحضارة الغربية.. في أم المدن الغربية.. وذاقوا معنى الإرهاف الحضاري، فمن شاء أن يعرف كيف تسّرب كل ذلك وغيره إلى الأدب الحديث فلا غنى له عن دراسة هذا الكتاب»[5].

قراءة جابر عصفور

قسَّم د. خليل الشيخ كتابه إلى ثلاثة أقسام، فصول، فجعل الأول منها خاصاً بباريس في الأدب العربي الحديث حتى الحرب العالمية الأولى، وركز في القسم الثاني عن صور باريس في الأدب العربي إلى الحرب العالمية الثانية، وجعل القسم الثالث عن باريس في الشعر العربي الحديث، وانتهى من خلالها إلى تبيان احتفاء المثقف العربي بباريس، على نحو لا يكاد يتكرر في علاقته بالمدن الأخرى، «وقد كان هذا الاحتفاء يمتزج بفرحة الاكتشاف ودهشته، ويقترن في الوقت نفسه بتأمل حزين للذات الحضارية العربية، التي غدت هامشية ومتخلّفة قياساً إلى الحضارة العربية، التي تعد نفسها مركز للعالم ونقطة جذب له»[6].

ورغم أهمية التصنيف التاريخي السابق، الذي كشف لنا عن مسار المثقف العربي في تعاطيه مع مدينة باريس في سياق حركة التاريخ ببعده العالمي، فإن الناقد جابر عصفور تحدث بعد ست سنوات من صدور الكتاب في مقال مطول، أثنى فيه على مؤلفه، ثم انتهى إلى القول: «كنت أفضل تصنيفاً آخر غير التتابع التاريخي الصرف، تصنيفاً يحترم التاريخ، لكن بإبراز التنوع الفكري في المواقف المختلفة من باريس سواء من منظور التعاقب أو منظور التزامن التاريخي»[7]، ورؤية جابر عصفور النقدية هنا مختلفة عن رؤية الشيخ، لو تحققت لقادنا إلى نتائج عن هذه التي بين أيدينا الآن. ويقرُّ جابر عصفور: «بأن كتاب خليل الشيخ، وإن خلا من التصنيف على أساس من الأنماط الغالبة، فإنه لم يخل من المعلومات التي تشير إلى تنوّع الأنماط»(8)، وأحسب أن ذلك هو ما يعنينا نحن القراء، حتى إن لم يحقق المقاصد التي يتوخاها النقاد، أمثال جابر عصفور، الذي لم يُوَفِّق. في نظري، حين كتب قائلاً: «من المؤكد أن كلا النمطين التنويري لرفاعة والرومانسي للحكيم يختلفان عن النمط الذي صاغته كتابات مالك بن نبي أو النمط الذي صاغته كتابة سهيل إدريس وأقرانه»(9).

إذ ليس هناك ما يجمع أو حتى يقرب بين كتابات رفاعة الطهطاوي وتوفيق الحكيم من جهة، وكتابات مالك بن نبي بخصوص التفاعل مع باريس، ليس لأن مجال الكتابة الإبداعية لديهما مختلف فقط، وإنما لأن منبع الإبداع على مستوى اللغة

د. خليل الشيخ

توفيق الحكيم

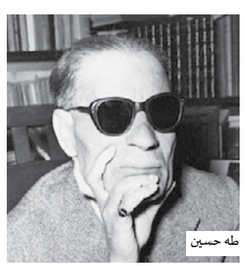
طه حسين

مختلف، والأمر الفارق الآخر هو «الدهشة الحضارية» بين كتابة تود أن تكون جزءاً من الإبداع الأوروبي سعياً للتطور، وكتابة ترى في موروثها الثقافي والديني مرجعيَّة لمواجهة الغرب الاستعماري.

المركز والأطراف

مهما يكن الموقف النقدي، أو حتى التقييمي، لهذا الكتاب، فإن مؤلفه قدم لنا «دراسة نقدية في إشكالية العلاقة بين المركز والأطراف»، بيّن فيها كيفية تبلور جاذبية مدينة باريس في الأدب العربي الحديث من خلال بُعدين بينهما قدر كبير من الانسجام، الأول: في إضافة المثالية على باريس على نحو يربطها بالجنة، كما تتجلى في التصورات الدينية، ما أضفى عليها طابعاً يوتوبياً يجعلها تزخر بأسباب الراحة والسعادة، كما تجلى ذلك في قصائد فرانسيس المراش، وأحمد شوقي، وزكي مبارك، وخير الدين الزركلي، ومحمد مهدي الجواهري، وبيرم التونسي، وغيرهم.

كما يظهر ربط باريس بالجنة أيضاً، في كتابات عدد من المفكرين، الذين تحدثوا عن المدينة ومشاعرهم الوجدانية الجارفة نحوها من خلال لغة تتكئ على مصطلحات الشعائر الدينية لتضفي القداسة على المكان، من أمثال: مصطفى عبد الرازق، ومحمد كرد علي، وغيرهم.

أما البُعد الثاني، فهو ذو طابع حضاري، ظل يؤمن بأن بناء مشروع النهضة العربية المعاصرة، ينبغي أن يمر بهذه المدينة، كما في كتابات: رفاعة الطهطاوي، وأحمد فارس الشدياق، وعلي مبارك، ومحمد المويلحي، وتوفيق البكري، وأحمد زكي باشا، ومحمد حسين هيكل، ومحمد صبري، ومحمد تيمور، وطه حسين، ومالك بن نبي، وتوفيق الحكيم، وعبد الرحمن بدوي، وسامي الدهان، وسهيل إدريس، وغيرهم.

وجميع تلك الكتابات رسمت صورة لعلاقة متميزة بين المثقف العربي وباريس، التي يغدو الذهاب إليها، بصرف النظر عن مدى الاتفاق أو الاختلاف، ضرورياً لتشكيل مشروعات حضارية، أو فلسفية، أو إبداعية، أو فنية. ومن خلال تلك الكتابات دَوَّن المثقفون العرب تجاربهم «فحظيت باريس بمدونة عربية لا تقل أهمية عن تلك المدونة التي تمتلكها تلك المدينة في اللغات الأوروبية، فقد كانت باريس تشكل فضاء حضارياً جاذباً للأدباء والفنانين وسأكتفي هنا بالإشارة إلى تجربة شعراء ألمان مثل: هاينريش هايني (1797 - 1856) Heinrich Heine ورايتر ماريا ريلكة (1875 - 1926) وباول تسيلان (1920 - 1970) (Paul Celan وكلهم أقاموا في باريس ودخلت تجربتهم فيها في فضاء شعرهم[10].

رحلة حنّا دياب

ومن بين تلك التجارب وقف خليل الشيخ في هذه الطبعة لكاتبه، الثانية منذ 24 سنة، عند رحلة «أنطون يوسف حنّا دياب» كونها الرحلة العربية الأولى التي وصلت باريس عام 1708م، وكانت طويلة قبل وصول حنا دياب إلى باريس وقد رافق فيها «بول لوكا» إلى طرابلس وصيدا وقبرص وبيروت وصولاً إلى مصر، فتونس، ثم بعض المدن الإيطالية مثل كورسيكا وجنوة، وبعدهما وصل إلى مرسيليا، ومنها إلى باريس، وكان أول من قابله في باريس لويس الرابع عشر. في تلك الرحلة، التي اعتبرها خليل الشيخ: «كشفاً شديد الأهمية»[11]، ودوّنها حنّا دياب[12] بالمحكية السورية، توقف دياب عند معالم باريس كالكنائس والمستشفيات ودار الأوبرا والمسرح الكوميدي، ولم يكتفِ بذلك، بل نقل حكايات من شوارع باريس تشير إلى معرفته بالواقع اليومي للمدينة.

هكذا مثلت باريس يوتوبيا معاصرة للأدباء العرب في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لذا أضفى عليها الذاهبون إلى هناك طابعاً مثالياً، وربطوا صورتها بالجنة، كما سبق الذكر.

وعلى هذا الأساس لا يمكن مقارنتها بأي مدينة أوروبية أخرى، وقد شرح الكاتب خليل الشيخ ذلك في حواره مع جريدة «الشرق الأوسط»، بقوله: «إذا تأملنا صورة لندن أو برلين في الأدب العربي فإننا لن نعثر لهما على تمثيلات أدبية واسعة الحضور، أما نيويورك على سبيل المثال، فقد قدمها أدونيس على نحو مغاير لصورة باريس في قصيدته الشهيرة «قبر من أجل نيويورك».

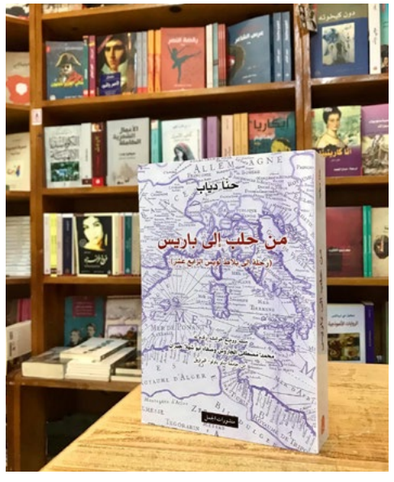

وليس من شك في أنّ الفرق الحضاري الكبير بينها وبين المدن العربية أسهم في بناء تمثيلاتها على هذا النحو»[13].

وفي سياق الحديث عن أدباء المهجر، خارج الفضاء الأوروبي، من ذلك على سبيل المثال، الفضاء الأمريكي، فقد ذهب خليل الشيخ إلى القول: «أدباء المهجر ينقسمون إلى قسمين، الأول: كانوا كلاسيكيين مثل الشعراء العرب في المشرق العربي، وهم أولئك الذي هاجروا إلى أمريكا اللاتينية، والقسم الثاني: المجددون الذين كانوا في أمريكا الشمالية، ويذكر منهما اثنان جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، وقد تشكّل هؤلاء في إطار غربي تماماً»[14]. بقيت هنا ملاحظتان أساسيّتان، وجب ذكرهما، الأولى: أن كتاب باريس في الأدب العربي الحديث، كما ذكر عبده وازن، «يعدّ عملاً تأسيسيّاً في ميدان النقد الأدبي المقارن، ونقد أدب المدن، بل هو من الكتب النادرة جداً التي تطرقت إلى هذه القضية، والتي تنتمي في وقت واحد إلى النقد الأدبي والثقافي مع استناد منهجي إلى البحث التاريخي والحضاري»[15].

والملاحظة الثانية: أن هذا الكتاب هو خلاصة «نتاج مشروع بحثي للمؤلف يُفصِّل بالدراسة العلاقة بين الأدب العربي والمؤثرات الغربية، وهو يقوم على مسألة المثاقفة»، التي أشار إليها مؤلفه في «حوار تلفزيوني»[16] ■

كاتب وصحفي - الجزائر

العلاقة بين المركز والأطراف، الطبعة الثانية (دائرة الثقافة والسياحة، مركز أبوظبي للغة العربية، 2022م)، ص 11 بتصرف.

4 - المرجع السابق نفسه، ص 11 بتصرف.

5 - المرجع السابق نفسه، ص 9 بتصرف.

6 - المرجع السابق نفسه، ص ص 10 - 11 بتصرف.

7 - جابر عصفور، باريس في الأدب العربي الحديث، مجلة العربي، عدد فبراير 2004م.

8 - المرجع السابق نفسه بتصرف.

9 - المرجع السابق نفسه بتصرف.

10 - خليل الشيخ: النقد العربي يحتاج إلى التجدد معرفياً ومنهجياً، حوار: م. م. البشتاوي، مجلة «نزوى» 18 يوليو 2020 م، بتصرف.
الرابط: https://www.nizwa.com

11 - خليل الشيخ: وجوه ثلاثة لعاصمة النور عند الكتّاب العرب، حوار شاكر نوري، جريدة «الشرق الأوسط»، 2 مايو 2023م، بتصرف.
الرابط: https://aawsat.com/home/article/

12 - حنّا دياب، من حلب إلى باريس (رحلة إلى بلاط لويس الرابع عشر)، حققه ووضع هوامشه وقدّم له: محمد مصطفى الجاروش وصفاء أبو شهلا جبران، (منشورات الجمل: بيروت. بغداد) 2017م.

13 - خليل الشيخ: وجوه ثلاثة لعاصمة النور عند الكتّاب العرب، حوار شاكر نوري، مرجع سابق بتصرف.

14 - خليل الشيخ في برنامج «شيء يذكر» (الحلقة 39)، باريس والمثقفون العرب.. فرحة الاكتشاف والتأمل الحزين، حوار خالد عمر بن ققه على اليوتيوب بتاريخ 15 يوليو 2023م.
الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=KmAEaiW0Q5c

15 - عبده وازن، تجليات باريس في الأدب العربي كما يستجلها خليل الشيخ، جريدة «إندبندنت» عربية، 3 يوليو 2023م، بتصرف.
الرابط: https://www.independentarabia.com/node/

16 - انظر: الباحث الأكاديمي الأردني خليل الشيخ ضيف حديث العرب، حوار سليمان الهتلان، قناة «سكاي نيوز - عربية»، بتاريخ 05 يوليو 2019م.
الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=6VZqr-LCTss

المراجع:

1 - خليل الشيخ.. باحث وناقد أدبي ومترجم، وهو أستاذ الأدب الحديث، وقد حصل على الدكتوراة من جامعة فريدريش فيلهلم - بون - ألمانيا عام 1986م.. له العديد من الدراسات النقدية في الأدب المقارن والنقد الأدبي والرواية والسيرة الذاتية، كما ترجم الكثير من الدراسات النقدية والفكرية والأعمال الإبداعية عن اللغة الألمانية، إضافة إلى ترجمته عشرات النصوص الخاصة بالأطفال والناشئة.

2 - سبق لهذا الكتاب أن صدر في طبعته الأولى عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام 1998م.

3 - د. خليل الشيخ، باريس في الأدب العربي الحديث: دراسة نقدية في إشكالية

من أسرار الإبداع الأدبي عند موفق عبد الفتاح العاني:
عندما يكون الشعر وليد تجارب الحياة المتراكمة

هشام أزكيض

من أسرار الإبداع الأدبي عند موفق عبد الفتاح العاني أن يكون الشِّعر بالنسبة له وليد تجارب الحياة المتراكمة، ومنجزاً قِيَمياً يمتاح من يقينية الرؤى الإنسانية التي نشأ عليها الشاعر. موفق عبد الفتاح العاني هو شاعر عراقي ولد عام 1943م في مدينة عانة على شاطئ نهر الفرات أقصى غرب العراق. تخرج في جامعة بغداد كلية الشريعة عام 1967، جمع إلى ملكة الشعر خوضه في الدراسات البحثية. ومن نتاجاته في الشعر: الوطن والحرية، آهات مكنفة، بغداد زهرة في زمن الجفاف، شظايا وجروح، رسائل على ثنايا الريح. وفي الدراسات: الذاتية في شعر عنترة العبسي (مخطوط)، الوطنية في شعر حماد الخاطري (مخطوط)، فضلاً عن عشرات القصائد والمقالات المنشورة في العديد من الصحف العراقية والعربية.

شكّلت قضايا الشؤون الأدبية اهتماماً كبيراً لدى العاني، تمظهر في إصدارته ومواقفه الثقافية والأدبية وذلك منذ بداية مسار تجربته الشعرية التي يعتبرها هو نفسه أنها بدأت كتجارب الآخرين، فالشعر مجموعة أحاسيس تجيش في الصدر فيقذفها اللسان، وكان قدامى النقاد يقولون: إنه الكلام الموزون المقفى، وأخيراً هو كلام يختلف في الصورة عن النثر يؤثر في نفس السامع. حاول العاني أواسط ستينيات القرن الماضي كتابة الشعر من دون نشره اعتقاداً منه، آنذاك، أنه تعبير عن النفس ويجب أن يحتفظ بخصوصية هذه الأشعار لنفسه واستمر على الأمر حتى عقد الثمانينيات حيث بدأ بنشر بعضٍ منها. كان العاني دائماً وليد التجربة الحياتية، ورجلاً مخلصاً للمعيش من حوله، ففي أواسط السبعينيات حلّ في موريتانيا أستاذاً للأدب العربي في المعهد العالي لتكوين الأساتذة في نواكشوط العاصمة، ما أتاح له الفرصة ولأعوامٍ لاحقة أن يتعرف على

هذا الشعب الذي حفظ للغة القرآن مكانتها في تلك الصحراء رغم ثقل سني الاستعمار على بلاده، كما أذهله حبهم للعروبة والعربية، ولا يخفى أن ذلك لم يكن يعرفه عرب المشرق، لذلك بدأ في الكتابة عن تلك البلاد الجميلة الأصيلة وعن أهلها وقيمهم وتقاليدهم وشعرهم، وكان العديد من طلابه من الشعراء الرائعين الذين يقتفون أثر النابغة وامرؤ القيس والمتنبي وبقية شعراء تلك العصور. من هنا ولدت فكرة كتابه الموسوم بعنوان «موريتانيا موطن الشعر والفصاحة» الصادر عام 2012 عن دار الصدى - مجلة دبي الثقافية - الذي خصصه لقصائد الشعراء الذين عاصرهم، والذي يعبّر فيه بشدة عن خصوصية موريتانيا وأثرها في مسيرة حياته مما تمثل بمحبته وإعجابه بثقافة أهلها الذين عاش معهم. ليس ذلك فحسب، إنما لعب هوى تلك البلاد دوره في إلهام العاني شعراً على الرغم من تعايشه مع شعراء كبار هناك، من هؤلاء الشعراء على سبيل المثال لا الحصر: المختار ولد حامدن الديماني، ومحمد سالم ولد عدود، وفاضل أمين، والخليل ابن النحوي، وأحمد ولد عبد القادر، وجمال ولد الحسن، ومحمد الحافظ ولد أحمدو؛ وغيرهم، وكلهم أصدقاء التقاهم وأخذ من أشعارهم التي حفل بها كتابه، وكانت بالتأكيد مما أفاد منه وحمله معه إلى أشقائهم في المشرق العربي الذي كان غائباً عن إبداعات أولئك الشعراء. بهذا المستوى يستذكر العاني أبرز رموز الثقافة الموريتانية وقيمتهم الإبداعية، ويؤكد أن هناك رموزاً ثقافية شامخة في تلك الربوع الصحراوية من أهمها من القدماء: الشاعر الفقيه محمد الأمين الشنقيطي، والشاعر المؤرخ المختار ولد حامدن، والشاعر الفقيه الدكتور محمد المختار ولد أباه، والشاعر والإعلامي الخليل ولد النحوي وعشرات غيرهم إن لم يكونوا بالمئات، وقد تميز شعراء حقبة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي بشعرهم الوطني الذي تفاعل مع قضايا الأمة وأبرزها قضية فلسطين وأبدعوا في ذلك إبداعاً يُشهد له ومن هؤلاء الشعراء: محمد الحافظ

بن أحمدو، وأحمد ولد عبد القادر، وفاضل أمين، والدكتور جمال ولد الحسن. كانت قصيدة أحمد ولد عبد القادر للشعب الفلسطيني وثورته من أهم ما يحفظه العاني وقد أخذت صدىً واسعاً في صفوف جماهير الأمة ومطلعها:

في الجماهيرِ تكمـن المعجزاتُ
ومن الظلـم تولـد الحريـــاتُ

من الدراسات التي عمل عليها العاني بتؤدة وموضوعية دراسته التي جاءت بعنوان «سيف محمد المري بين الإعلام والشعر»، قراءة لديواني الشاعر: «الأغاريد والعناقيد»، التي يرى فيهما العاني أن المري رسم لوحات شعرية لوطنه ومجتمعه، حيث يجد القارئ فيها قدرة الشاعر على توظيف اللفظ الشعري بشكل تنعكس عليه تفاصيل تلك اللوحات التي عاصرها، في زمني البداوة والتحضر، وكيف كان موفقاً في كسب المتلقي من خلال تسلسل الموضوع في القصيدة التي تتعانق أبياتها لتوصل الشاعر إلى الهدف. ومن المفارقات أن العاني تعرف على المري وهو على قمة مؤسسة إعلامية ثقافية ولم يكن يعلم أنه شاعر، حتى أهداه الأخير ديوانيه ليجد أنه من المفيد أن يربط العلاقة بين الشعر والأعلام في قراءته لهما، مع التنبه إلى أن الشاعر في العصرين الجاهلي والإسلامي كان كوزير الإعلام في عصرنا الراهن، وكانت القبائل العربية تحتفي بشاعرها الذي ينافح عنها في شعره. أما في دراسته النقدية عن الوطنية في شعر «حماد الخاطري النعيمي» فيعتبر العاني أن هذا الشاعر استطاع أن يجعل القصائد الشعرية مدخلاً للتعبير عن أفكاره القومية ووطنيته الأصيلة، وهو بالمناسبة شاعر إماراتي كان قد أهداه مجموعة كبيرة من قصائده النبطية (الشعبية) التي تتركز

في إبراز حالة البناء والتقدم التي خطط لها ونفذها وأشرف عليها الشيخ المغفور له - بإذن الله تعالى - زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - والدعوة للاقتداء بتلك الأفعال والأقوال التي بنت حضارة وانتقلت بالحياة من البداوة إلى الاستقرار، وكذلك توحيد الأرض والشعب وإرساء قواعد الدولة التي أصبحت بهذا البهاء الذي نراه ويراه الشاعر، فكانت ولادة هذا الكتاب الذي تعرض لشرح القصائد وإمكانية الشاعر في خطابه الشعري لشريحة كبيرة في المجتمع ما زالت تهتم بشكل كبير بالشعر النبطي. ومن جانب آخر، لا يخفي العاني أن كتاباته الشعرية تتسم بالتنوع وأن قصائده كلها لم تخرج عن مسار ارتضاه، يتمثل في أن يكون الشعر مجسداً لحالة المجتمع والوطن معتمداً مقولة قالها له أحد أصدقائه وهو الشاعر المرحوم أحمد البياتي عام 1977م: (الشعرُ مالم يكن مرآةَ مجتمعٍ .. عليه تُعكسُ في الجُلّى مطالبهُ - فليس شعراً ولا تسمو مراتبهُ) لذلك كانت قصائده في الثمانينيات من القرن الماضي لأهله ووطنه الذي يراه اليوم ينزف دماً سواء في وطنه الأم العراق أو وطنه العربي الكبير، وهذه من أهم المميزات التي لا تفارق قصائده. أما في مستقبل الشعر العربي، وفي ظل التغيرات التكنولوجية التي غيّرت الكثير من عالمنا مع تحولات كثيرة من الصعب إيقافها. فإن موفق العاني يعتبر أنه لا يقف أمام السيل إلا الجبل الثابت، والزمن كالسيل والذي يثبت سيبقى، ولكن الحفاظ على الجذور مطلوب ومجاراة الواقع والتفاعل معه مطلوب أيضاً، ويبقى الشعر الكلمة الجميلة التي تؤثر في النفوس وتنهض بها ■

كاتب من المغرب

سيف سالم المنصوري

حامل البيرق في شاعر المليون النسخة السادسة

حاورته: ميثة سالم العامري

حمل الشاعر الإماراتي سيف سالم المنصوري «بيرق الشعر» و«شاعر المليون» للموسم السادس في المسابقة الشعرية في البرنامج الجماهيري «شاعر المليون» 2013 - 2014. وهو يُعَدُّ من شعراء دولة الإمارات العربية المتحدة الشباب الذين أثبتوا وجودهم في الساحة الثقافية المحلية. نشأ الشاعر وترعرع في منطقة الظفرة التابعة لإمارة أبوظبي وفي بيت من بيوت الأدب ونظم الشعر، وقد صقلت محاولاته وممارساته وموهبته في نظم الشعر فراح ينظم القصائد بشكل موزون ومقفى حسب بحور الشعر النبطي وأساليبه. حاورناه عن تجربته الشعرية وعن مشاركته في برنامج «شاعر المليون»، وعن طموحاته المستقبلية:

حدثنا عن بداياتك الشعرية وعن مشاركاتك في البرامج الثقافية والمناسبات الوطنية؟

بدأت في كتابة الشعر عام 2001، وأما القصيدة الأولى فقد كتبتها وأنا في سن الرابعة عشرة من عمري، وهي قصيدة غزلية. وكانت لي العديد من الأمسيات والمشاركات المحلية والعربية والدولية، وفي المناسبات الوطنية والبرامج الشعرية، كبرنامج شاعر المليون الذي حصلت فيه على المركز الأول في موسمه السادس. كما شاركت في ملتقى الطلاب الإماراتيين في الولايات المتحدة (لوس أنجلوس)، وفي اللجان الشعرية، ضمن لجان تحكيم المسابقات الشعريّة في مهرجان سويحان التراثي، ولجان تحكيم المسابقة الشعرية في مهرجان الظفرة عام 2017، وفي تنظيم الأمسيات الشعرية في مهرجان قلعة المربعة التراثي في مدينة العين.

هل لعبت البيئة دوراً في تشكيل اهتماماتك وذوقك الشعري، وهل من الممكن أن تكون الأمور المحيطة بك مصدر إلهام لكتابة الشعر، ويبقى السؤال هل أنت ممن ورثوا الشعر أم هي موهبة؟ ولمن قرأت؟ وبمن تأثرت من الشعراء المحليين؟

بلا شك، الشعر عندي موهبة قبل أن تكون وراثة فمن ورث الشعر لا بد أن يكون موهوباً، ولا يمكن أن يكون الشعر صناعة يتعلمها الإنسان، وقد تأثرت بالبيئة المحيطة بي وبمن يحيطون بي من الرجال الذين يحفظون الشعر ويقرضونه كوالدي، ولكني تعلقت بالشعر من خلال أشعار المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - والشاعر صالح بن علي المنصوري، وسعيد بن عيج الهاملي، وغيرهم من شعراء الإمارات ممن اشتهرت قصائدهم في هذه المنطقة.

ما آخر قصيدة كتبتها؟ وما الأبيات الشعرية التي ترددها دائماً على لسانك؟

- آخر قصيدة كتبتها كانت في الغزل ومن أبياتها:

حبّـــــك .. لجـــا فِ القلب يا ليـــــن ورّد
وبـــــين العـــروق المصمكـــه.. مدّ يمنـــــاه
فعلـــه .. على كـــــلّ المشاعـــر تمـــــــرّد
يضحك.. ويمسـح فـــــوق قلبي بـ حنّـــــاه

أما عن الأبيات التي تتردد كثيراً على لساني وقريبة من قلبي فهي كثيرة. ولكن يمكن أن تفي هذه الأبيات الغزليه بالغرض، اللي يقول:

ناسـمٍ ذنّـــــــان مـــــن دار امحبوبـــــي
خافقـــي بين المحانـــي مرقـــبٍ لـــــــه
تنتفـــض لعـــروق لـــــه مـــن دون ثوبـــي
والضلـــوع من الولـــــه يتقلطـــن لـــــــه
وبنّـــة الميـــدول به تقشـــع طنوبـــــي
يوم عـــــدّل شيلتـــه والنـــود شلّـــــــه

كيف تقيّم التجارب الشعرية النسائية في دولة الإمارات؟ وهل أنت من متابعي الشعر النسائي ؟

- الشعر النسائي له بصمه واضحة في الساحة الشعرية، وهناك أسماء كثيرة متميزة على مستوى دولة الإمارات والخليج العربي، وأنا متابع لكل ما هو مميز واحفظه كذلك. والشاعرة الكبيرة عوشة بنت خليفة السويدي لم تكن مجرد شاعرة عادية، بل مثلت صوت المرأة في فترة تاريخية معينة وأظهرت مكنونها الذاتي على مستوي الخليج والمنطقة العربية، حيث خرجت الشاعرة «فتاه الخليج» أولاً بعدها ظهر اسم «فتاه العرب» لتضع اسمها على خريطة الشعر النسائي.

وهل ترى أن ثقافه الشاعر تخدمه شعرياً أو شعره يخدمه ثقافياً؟

الثقافة ضرورية بالنسبة للشاعر مهما كانت موهبته في الشعر. وكلما اتسعت ثقافته وتنوعت كان ذلك لمصلحته، وتتجلى براعته في حسن توظيفها في شعره. فهي تنعكس في شعره بطريقة إيجابية أو سلبية حسب قدرته على توظيفها بشكل متناسق، ومعظم الشعراء يستفيدون من ثقافتهم الواسعة في كتابة أبياتهم الشعرية. وفي هذا الأمر نجد أن الشعراء يتبارون ويتفاضلون فيما بينهم.

وما رأيك بوسائل التواصل الاجتماعي التي سهّلت وكسرت الحواجز الثقافية بين المجتمعات المختلفة؟ وهل لها دور في شهرة الشاعر ونشر أشعاره؟ وهل لك قصائد منشورة في الصحف والمجلات؟

لدي العديد من القصائد المنشورة في الصحف والمجلات المحلية، ولكنني لن أنسى أول مشاركة لي في جريدة «الاتحاد»، حيث نشرت في ملحق (شعر وفن) سنة 2004. وحينها كان هذا الملحق من أهم الإصدارات الشعرية التي تصدر في دولة الإمارات. كما أنني نشرت في العديد من الجرائد والمجلات الخليجية المتخصصة بالشعر، وكنت أحب التواصل مع جمهوري عبر

وسائل التواصل الاجتماعي المختلفه، حيث أصبحت هذه القنوات أسهل وأسرع ما ساعدنا على نشر قصائدنا في أي وقت.

ما القصائد الأقرب إلى قلبك؟

- لا يمكن أن أختار قصيدة واحدة، فجميع القصائد كبناتي وقريبة من قلبي، ولكن القصيدة التالية لها موقف بالنسبة لي ومنها هذه الأبيات:

شفنـــا اجتمعنـــا انـــت وآنـــا
مـــا عندنـــا حاســـد ووشـــاي
لكـــن تغلـــف محتوانـــا
والصمـــت حاز انحـــاك وانحـــاي
وغيـــم الغـــلا .. غطا سمانـــا
ولا حفـــزه مالـــبرق لظـــاي
وردت كمـــا العـــام ادعوانـــا
والسيـــل عافـــه جاري المـــاي
جفـــت عروقـــه مـــن جفانـــا
نـــدري ولكـــن ضايـــع الـــراي
متجرحـــين مـــن سوانـــا
كنـــي ايـــاك.. وكـــنك ايـــاي

هل هناك قصائد لشعراء تمنيت أنها لو كانت لك؟ وفي اعتقادك هل يوجد بقصائد المدح أي مصداقيه؟

- هناك قصائد كثيرة تمنيتها لي، وهي القصائد التي تتميز بأفكار ومعانٍ مميزة، وأعتقد أن أي شاعر يتمناها أن تكون له. أما عن المصداقية في قصائد أو أبيات المدح فأعتقد أن نسبها متفاوتة، وهي تختلف من شاعر إلى آخر.

ما رأيك بالدعم الذي تقدمه دولة الإمارات للشعراء وللبرامج الشعرية كشاعر المليون المتخصص في مسابقة الشعر النبطي وهو غني عن التعريف لجماهيريته ولأثره الكبير والواضح على الساحة الشعرية؟

- أعطت دولة الإمارات العربية المتحدة للشعر حقه بدعمها للأمسيات الشعرية والمهرجانات والبرامج المهتمة بالشعر كما أنها تدعم وتكرم الشعراء في المناسبات الثقافية.

هل يوجد بينك وبين أحد الشعراء مساجلات شعرية؟

- لدي العديد من المساجلات الشعرية الجميلة وأنا أفتخر وأعتز بها، ففي اعتقادي أنها ركيزة أساسية في مسيرة الشاعر، وتبرز تواصل الشاعر مع غيره من الشعراء. ومن قصائد المساجلات مع الشاعر الكبير صالح بن عزيز المنصوري:

ذبـــيت فـــي روس الـــرزوم المنيفـــه
تالـــي نهـــار عصـــير .. هـــبت شروقهـــا
اللـــي بكفـــة سيحهـــا مـــن عروقهـــا
والقلب الأقشـــر .. قـــام يرجـــف رجيفـــه
واشتقـــت مـــن نـــود الهبـــوب المريفـــه
وادمـــوع عـــينٍ ما يونّـــي دفوقهـــا

وامســـت اعيونـــي مـــن منامـــي معيفـــه
حـــرام نومـــي مـــا غضـــا لـــي بموقهـــا
تســـهـــر وبين النـــاس.. كنهـــا كفيفـــه
وكـــن الرمـــد والتوت .. يمـــسي غبوقهـــا
لاسبـــاب خـــلٍ ما لقيـــنا .. وصيفـــه
إلا فتـــاةٍ زاهـــي النـــيّ فوقهـــا
حايـــل ذنق .. مـــا لبسوهـــا سفيفـــه
وامعنّســـه وامنتبـــاتٍ عموقهـــا
ولا ترتـــع إلا بالديـــار التقيفـــه
وإن نـــاض براق الوســـامـــي يشوقهـــا
ومـــن دونهـــا حالـــت ديـــارٍ مخيفـــه
دار العـــدا لـــي مخليـــاتٍ طروقهـــا
يـــا (سيـــف) يا راع البيـــوت الطريفـــه
يا معطـــي زيـــن القوافـــي حقوقهـــا
عســـاك تفـــزع لـــي بقـــدرٍ وشيفـــه
فيـــك الحميّـــا والوعايـــد صدوقهـــا
ترجع علي عقـــب الوخيـــذ العريفـــه
ابهـــا جمـــال ولا تخـــاوي طفوقهـــا
والقـــوت والمشـــروب .. منـــه حفيفـــه
وضحاً تحـــوز الزيـــن .. مـــن دون نوقهـــا
هذيـــك مـــن قسمـــي وعنـــدي وليفـــه
عشيقـــتي واتخـــيرتني .. عشووقـــهـــا
واخفـــيت مابـــي والهوايـــا كليفـــه
والكبـــد صامـــت مـــا تهنّـــت بذوقهـــا
والحـــال منّـــي مـــا بقـــا إلا النصيفـــه
والـــروح .. ســـوّاق المنايـــا يسوقهـــا
وصـــلاة ربّ مـــا يخلـــي حليفـــه
علـــى رســـولٍ ذمتـــه مـــا يبوقهـــا
عـــداد مـــا هـــل المطـــر مـــن قنيفـــه
وأعـــداد مـــا لاحـــت مخايـــل بروقهـــا

رد الشاعر سيف بن سالم المنصوري:

يتـــني مراسيـــلٍ .. عليهـــا لفيفـــه
خـــامٍ حمـــر .. لاقـــت عليـــه ويلوقهـــا
وأوحـــيت صـــوتٍ فيـــه مالوقت خيفـــه
يفتـــل طروقـــه .. لـــين شـــبّ امعلوقها
قـــد ذبّ .. مـــزمومٍ دروبـــه كضيفـــه

والعـــين ياهـــا مـــا يسولـــف بعوقهـــا
نودٍ .. ترامـــي بالبحـــرر فـــوق سيفـــه
واتـــيبب مـــوجٍ .. مبطـــيٍ عقـــب دوقهـــا
وذكـــرى مشـــاريفٍ وشيـــلٍ رهيفـــه
وصفقـــة اكفوفٍ ضـــاع منها امعشوقهـــا
وقلـــبٍ على صـــاجٍ وكبـــدٍ صخيفـــه
وضلـــوع صـــدرٍ من حروقـــه .. حروقهـــا
خاشـــربهـــا ونّـــه .. وضمّـــد نزيفـــه
ومن قام .. رقّع مهجتـــه مـــن فتوقهـــا
ورحّـــبت ترحـــيب المعـــزّب لضيفـــه
وشرّعـــت بيبـــانٍ طرقهـــا خفوقهـــا
واختـــرت من خـــيرة هجنّـــا .. عسيفـــه
شقـــرا دمانيّـــه .. عســـيرٍ لحوقهـــا
لـــي بركـــت .. مثـــل اليخـــت في رصيفـــه
وان روّحـــت .. فاليـــوّ نشّـــت حقوقهـــا
وان شـــرّفت .. والشـــرّ مشـــهور سيفـــه
عدوانهـــا مالرّوع .. تيبـــس حلوقهـــا
طلاّبـــة .. احقـــوق النفـــوس العفيفـــه
وامسكّتـــه .. نـــاسٍ تلـــوّي شدوقهـــا
وتطنـــف لقيّـــه .. ما لفتنـــا هديفـــه
من ســـاس هلهـــا .. طيّبـــاتٍ وفوقهـــا
لي عرّضـــت .. خطـــوا ليـــانٍ زريفـــه
والورك فـــي ممشـــا الدخوسا يعوقهـــا

وإن وقّفـــت .. والثـــوب يرفل خفيفـــه
تشعـــى عيونـــك .. من تجلّي شروقهـــا
وإليا اشبحـــت .. في من تودّه .. صريفـــه
بحريّـــةٍ .. مـــا ناش يدهـــا سبوقهـــا
شوقٍ لـ صالـــح .. فالغوانـــي شريفـــه..
ولا طاف ســـوّام الرزايـــا .. بسوقهـــا
تنخصّ لـــه .. عن كـــلّ خفررا لطيفـــه
وتنســـاق لـــه من مشتهاها وشوقهـــا
وصـــلاة ربّـــي .. بين رجـــوا وخيفـــه
عـــدّ النّخيـــل .. وعدّ مترف عذوقهـــا
علـــى نـــبيّ.. أمّتـــه تستضيفـــه
شفاعتـــه إلهـــا.. وحوضـــه غبوقهـــا

هل يمكن أن نطلع على بعض من قصائدك الوطنية؟

كتبت قصيدة في صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد ال نهيان رئيس الدوله حفظه الله:

رفّت لـ «بوخالـــد» .. بيـــارق عـــزّ داره
واتلاحمـــت لكفوف من حول الســـواري
تلثم علـــوّ المجـــد .. واتوشّـــح مداره
والله خلقها .. عن صـــدوف الوقـت ذاري
في شفّ من شعبـــه لـــه برهن الإشاره
ضـــاري وفي صفّه يهبّـــون الضـــواري
شعبه يماري به .. على كسْـب الصّـــداره
ينوي .. ونيّاتـــه لهـــا شعبـــه يبـــاري
هذا (محمّـــد) واضحٍ مســـلكْ مســـاره
نورهْ سطع في ليـــل .. بـــلاّج الغـــداري
هذا (محـــمّد) بالفعـــل يسبق قـــراره
سيفه على روس الفـــتن بالحـــقّ فـــاري
جيشـــه يعشق الموت .. دون حـــدود داره
جنده تداحـــم .. قبـــل لا يعلن طـــواري
فالبرّ له غـــاره .. ولـــه فِ الجوّ غـــاره
وفِ البحـــر غاراته.. مثل ذات الصـــواري
شهيدنـــا فِ الحـــرب ما قد بات ثـــاره
طلاّبتـــه شبـّـــان .. وبـروق المســـاري
تخطـــف بصـــر .. وتقصّ للعادي فقاره
وقبل العصـــر .. من فوقه تهـــبّ الذواري
دام العلـــم من فوقنـــا .. لاضي شناره
وكفوفنـــا .. متلاحمـــه حول الســـواري

كما كتبت قصيدة في علم دولة الإمارات

خافـــق علمنـــا .. والسواري تمنّـــاه..
على متـون الغيـــم .. بشتـــه زهاهـــا..
كنّه مـــن المنشـــا .. تنشّا وشفنـــاه ..
بعيون حبّـــه .. يوم برقـــه شعـــااها..
هذا علمنـــا .. ما لعشقـــه مضـــاهاه..
كنّـــه عـــرج بعروقنا .. فـــي سماهـــا
ما ينقبض بلجام .. لـــه فِ السمـــا جاه..
جامـــح به العليـــا .. رقـــا مستواهـــا..
حتّى الكفـــن من خامتـــه .. لا عدمنـــاه
وانمـــوت دون أرضـــه.. وفينا اتباهـــى
نعشـــق نشيـــده .. وانتسابق لمغنـــاه
كنّـــه .. يعـــزف عروقـــنا .. واعتزاهـــا
علـــى اتّحـــاد الدار .. بانـــت ثنايـــاه
وفي الواحـــد وخمســـين .. غنّى معاهـــا
عـــلاّه (زايـــد) في سمانـــا وبـــدّاه
وحـــدّه على كايـــد الأمـــور وقضاهـــا
ايسطّـــر أمجـــاده .. ومن شاف يقـــراه
واللي سمـــع بـــه .. عن منامـــه تناهـــا
دونه شهيـــد .. وتحـــت ظلّتـــه منجـــاه
وعقبـــه مقـــابيس الســـلام وسناهـــا
عاش العلـــم .. والسّاريـــه في حنايـــاه
وإخـــوان شمّـــا .. دون غالـــي ثراهـــا
ايثبّتـــون المجـــد .. في كـــلّ منحـــاه
واعروقهـــم .. تروي الفخـــر من دماهـــا
في كـــلّ شامـــخ بيت.. ينشل دعايـــاه
كنّـــه يرحّـــب .. بالعـــرب في سماهـــا ■

مركز زايد للدراسات والبحوث

رباعيات في ذكر الله

شعر: د. شهاب غانم

(1)

يا مـــالكَ المـــــلكِ لا ربٌّ ســـــواكَ ولا
نـــورٌ ســـوى نـــورِكَ القـدسيّ والأبـــدي
يسّـــرْ جميـــعَ أموري في الحيـــاة وهَـــبْ
لـــي قـــوّةً فـــي قراراتـــي وفـــي عَضُـــدي
لـــم يبـــقَ في العمـــرِ إلا النّزْرُ نَصرِفُـــهُ
فيما يفيـــدُ، وكـــم في العمـــرِ لـــم يُفِـــدِ
أُبنـــا إليـــكَ بإخـــلاصٍ لترشِدَنـــا،
فأي جـــدوى لعمـــرٍ دونمـــا رَشَـــدِ.

(2)

آمـــنت باللـــه أدري أنـــه اللـــهُ
ولا إلـــه لهـــذا الكـــون إلا هـــو
وأنـــه أزلـــي كـــان مُبتـــدَأً
للكـــون، ما كـــان هذا الكون لـولاهُ
وأنـــه أبـــديٌ خالـــدٌ أبـــداً
يفـــنى الوجـــودَ ويبقـى وحدُه اللـــهُ
وإن مـــن آمنـــوا باللـــه قد ظفـروا
وإن مـــن كفـــروا باللـــه قـد تاهـــوا

(3)

يـــا ربَّ آدمَ لا ربَ ســـــواك وكـــم
مـــن نسـل آدم جـــاروا بانحرافـــاتِ
فجـــاء نـــوحٌ وإبراهيـــمُ يتبعـــه
وجـــاء موســـى وعيسى بالرســـالاتِ
والانحرافـــاتُ عـــادت فـــي تتابعهـــا
حتى أتى النـــورُ فـــي أســـنى المحجّـــاتِ
محمـــدٌ مصطفـــى الرحمـــنِ خاتمـــةً
أزكـــى الصـــلاةِ عليـــه والتحيـــاتِ

(4)

تغـــدو الحيـــاة بلا معـــنى إذا فُصِمـــت
عن خالـــق الكـــون أو ألغـــوا عبادتَـــهُ
الإنـــس والجـــنُّ بين الخلـــق ما وُجـــدوا
إلا لكـــي يحملـــوا دومـــاً أمانتَـــــهُ
الكافـــرون إلى نـــار الجحيـــمِ غـــداً
سيسحبـــون فيرجـــو المـــرءُ موتتَـــهُ
لكنّـــهُ الخلـــدُ، أنّى جِلـــدةٌ نضجـــت
يبـــدّلُ اللـــه للمحـــروقِ جِلدتَـــهُ

(5)

هـــذي الحيـــاةُ بخيطـــانٍ معلقـــةٌ
ومـــا تبقّـــى سوى خيـــطٍ لـــه باقـــي
وســـوف ينقطـــعُ الخيـــطُ الأخير غداً
أو بعـــد ذاك فســـارع دون إخفـــاقِ
سفينـــةُ العمـــرِ تمـــضي دونما كـــللٍ
وأنـــتَ بِتَّ كليـــلَ الطـــرفِ والســـاقِ
فاطْلُـــبْ من اللهِ غِفراناً فلـــيس ســـوى
غِفْرانُـــه للورى مـــن منقـــذٍ واقِ

(6)

تدفَّقـــي يـــا رباعيـــاتُ مـــن قلمـــي
ومـــن لســـاني ومـــن قلـــبي ومن روحـــي
فأنـــت وصفـــةُ طـــبٍّ حـــين أكتبهـــا
أُحِسُّهـــا عالجـــت مـــني تباريحـــي
وأرجعـــت لـــي اتـــزانَ النفـــسِ دافعـــةً
عني اكتئابـــي بسحـــر الشعـــر والبـــوحِ
تدفَّقي واسكـــني مني الضلـــوع وفـــي
دمـــي وفـــي أغنيـــات السعـــد والنـــوحِ

الشاعرة هلالة الحمداني
2023 - 1989

مريم النقبي

نجمة من نجوم الشعر في الخليج العربي، وشاعرة فرضت اسمها وشاعريتها وقصائدها على ساحة الشعر، فتميزت وصنعت لها بصمتها الخاصة .شاعرة هذا العدد هي النجمة الراحلة «هلالة بنت خليفة الحمداني» رحمها الله، شاعرة عُمانية من مواليد عام 1989، وهي إحدى أبرز شاعرات الخليج، ورغم صغر سنها، فإنها تفوقت بشاعريتها وحضورها على شاعرات سبقنها عمراً وتجربة. كانت بداياتها مع الشعر الفصيح تأثراً بوالدها الشاعر خليفة الحمداني، ثم اتجهت لكتابة الشعر النبطي وتميزت فيه. شاركت بالعديد من البرامج التلفزيونية والأمسيات الشعرية ولعل أبرزها برنامج شاعر المليون في نسخته الثانية كأول شاعرة عُمانية تشارك فيه، واستطاعت أن تترك بصمة كبيرة ومتميزة في هذا البرنامج وغيره.

كما شاركت في تقديم برنامج «البيت» على شاشة قناة سما دبي، وشاركت في العديد من الأمسيات الشعرية داخل سلطنة عُمان وخارجها، وكان لها حضورها المميز في دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال مشاركاتها في الأمسيات والفعاليات الثقافية في مختلف إمارات الدولة، وقد كتبت الكثير من القصائد الوطنية المغناة في مناسبات وطنية مختلفة.

توفيت الشاعرة في السادس والعشرين من يوليو 2023 تاركة تجربة شعرية غنية وقصائد لا تشبه إلا هلالة الحمداني. ومن نماذج من قصائدها :

زينـــة الدنيـا لابنـــها البكـر (عبـــدالله):

يا زينـة الدنيـا وقـرة عـين وآمـال وغـرام
وأحـلام نسـت من غفت عينه لذيذ أحلامهـا
يعجـز يعـبرك الشعـور ولا يسليـك الكـلام
يا حنجـرة صـوت المعازف ما يجيد أنغامهـا
ما شفتك إلا الطهر صبح العيد بالبيت الحرام
بكفوف من غطى جسدهـا بالعفـاف حرامها
يافرحة الزعـلان في دنيـاه يـا نور الظـلام
ياوسع صدر أمـك عليـك إن شافتك قدامها
عبـود قـلب الأم يا عبـود ما يحمـل مـلام
أنعم من الديبـاج لا ضمتـك بين أكمامهـا
هاجر من اللهفـة على اسماعيل تبغي له طعام
تصعد على المروة وترجـع للصفـا بأقدامها
إلين كـرم سعيهـا من حكمتـه رب الأنـام
بالسبعـة اللي من يحج واجب عليـه اتمامها
وأنا من اللهفة عليك أسهـروعيـني ما تنـام
اللـه يلوم اللـي يلوم أمـك إذا هـو لامهـا
أدعي عسى الله يحفظـك في كل يوم وكل عـام
من دورة الدنيـا ومـن ساعاتهـا وأيامهـا

ولها قصيدة أخرى بعنوان «البارحة»:

البارحـة ليل السهر مـا مـل عين الساهرات
لأن السهر حاجة جميلـة والعيـون توالفـه
كم ف الحياة من التحدي والتصدي والشتات

وأول ذنوب الأرض يا أهـل الكيد ويش السالفه
لو أنا ماني بنيـة سـتر من ضمـن البنـات
يمدي كبود أهل الحسـد من له سنين تالفـه
تخالفت فيني البصايـر من جهـات ليا جهات
وأنا الجبل... والريح من خلقـت وهي متخالفه
والزين عنـدي فالحيـاة يزيد عن شين الحياه
كم من حقيقـة في ضمـيري ما تبر الحالفـه
لكن مادام الشعـرلـه معجـبين ولـه رواه
ما همني من ضـاق صـدره وكثرت سوالفـه
أبقى على النهج العفيف أطهر مثل للمكرمـات
هذا أنا هلاله وتنصفـني العصـور السالفـه

شاعرة وكاتبة إماراتية

ميالسهم مدارسهم

شيخه الجابري

عند تلك النخلة الساكنة في قلب الحوش الكبير حيث عريش البرستي، وبعض دجاجات ينقرن الأرض، ويعبثن بكل ما هو صغير ورقيق ودقيق من خَشاش الأرض وبقايا الطعام، وأمي زينب تلك السيدة البهية، حنطية البشرة، فارعة الطول، دائمة الابتسامة التي جاءت من مكران واستقرت هي وأسرتها في تلك البقعة الحبيبة من بقاع الأرض، ورافقت والدتي سنين طوال تهتم بها وبنا، وتهيئ ما نحتاجه، وتقف مع والدتي في كل شاردةٍ وواردة، تسافر معنا وتعود، تهتم بتفاصيلنا الصغيرة، ويكبر أبناؤها معنا، فنصبح كالأشقاء وإن لم يجمعنا الدم، أو حليب الأمهات.

كانت تهيئ المجالس النسائية التي تستقبل فيها والدتي ضيفاتها وجاراتها، يحتشدن ويتجمعن في المناسبات الدينية والسنوية، وفي الليالي المُقمرات البهية، يتسامرن، يتبادلنَ أطراف الحديث، يتناولن قهوة الضحى، ويتشاركنَ التفاصيل الصغيرة من تبادل الأطعمة والوجبات، والخبرات، يجلسن في حلقات عند الضحى، واحدة تضرب التّلي، وأخرى تصنع البوادل، وثالثة تُحيك ملابس الرجال، وأخريات يقفن على بَخّار الملح، والتمر، والمؤن لتوفير النواقص، حياة مفعمةُ بالحب وبالعمل، وبالنشاط والحيوية والفزعة، مجالس النساء تُشبه مجالس الرجال فهي مدارس تربوية تعليمية طازجة ومؤثرة، وذات حضور طاغٍ بما يدور فيها من أحداث وأحاديث.

«الميالس مدارس» هذه حقيقة لمسها من عاش في حقبة المجالس المفتوحة، مجالس الرجال وكذلك النساء، حيث يتعلم النشءُ في تلك المجالس ومن تلك التجمعات الرجالية والنسائية الكثير من القيم والمبادئ وأصول التعامل والمعاملات، و«سنع» العلاقات الاجتماعية والحياة بشكل عام، تلك المجالس خرّجت من الأجيال من هم اليوم يشغلون أعلى المراتب، ومن هنا كان لكل نظرة عينٍ أثرها في التربية، ولكل حركة أو إشارة مدلولها الذي يفهمه الشاب وتفهمه الفتاة، في المجالس فوائد جمّة، ومتعةٌ لا تضاهيها متعة، حيث يجتمع الكبار من الأجداد، والآباء يتواصلون ويقضون أوقاتهم بين عمل واستمتاع، وزيارات، هناك حركة مجتمعية أبطالها أبناء المجتمع الذين في ترابطهم وحدة القلوب، والعقول كذلك.

تهتم والدتي بالتفاصيل الصغيرة من «غُدان» الثياب الذي تعلّق عليه الملابس بعد الغسيل إلى ذلك «الكاتلي» المُذهب الذي لايوجد له شبيه، فقد اقتناهُ والدي من سفراته المتعدّدة، هو سريرٌ للنوم تعلوه ستارة ٌ من القماش الذي يسمى «مزرّاي» مثبتة على أعمدة أربعة تحيط بالسرير، ويبدو كأنه مهيئٌ لليلة زفاف، البيوت القديمة لها رائحة الحب وعبق العود والعنبر، جدرانها حكايات وخرافات وخيال وجمال وأغنيات وقصائد تشقُّ صدر الليل، كم من عاشق مرَّ بتلك السكيك يترنحُ وجداً وهوى عالقاً في الروح، للحب نكهته الخاصة ومداه واتساعه وأثره في تلك الأيام الجميلة والليالي المُقمرة، والحشمةُ التي جمعت أبناء المكان، كل فردٍ منهم مسؤول عن أهله وعن جيرانه، هالةٌ من الحب والتعاضد تسود المجتمع، كم كان رائعاً وبهياً ذاك الحب الذي يتقاسمهُ الناس كأنهم عشاقُ من زمن الصبر.

تفاصيل صغيرة تتصل بنا، بالمكان من حولنا، تلك الضواحي والمزارع المحيطة بالقرية يقضي أصحابها فيها أجمل الأوقات، يزرعون ويحصدون، وكم من عود «همبا» تفيأنا تحت ظلاله، وكم قطفنا من عطايا الله حبات ليمون طازجة، و«خرايف» رطبها كلون الذهب يتلألأ في كفوفنا خيراً وفيراً يتقاسمه الناس هو رغيف الحياة البسيطة الذي يبعث السعادة في النفوس، ويشيع البهجة لا حقد ولا حسد.

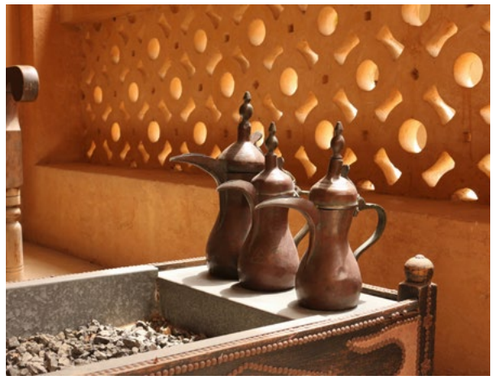

في الليالي المقمرات المُنيرات وعلى «المنايم» واحدتها «منامة» تتحلق البنات حول الجدات والأمهات يستمعن للخرايف التي تعلمهن قيمة الأسرة والوالدين والأرض تلك التي ينتمين إليها وتهمهم جميعاً من خيراتها الكثير، عند البحر تُعلّق أمنيات «البديحة» وفي مساحات الصحراء الشاسعة يتسلل «يمَل حمدان» القابع في مكانه «بارك في محلّه كما يقولون» لينطبق عليه المثل القائل في خروفة متداولة «كل المراعي ترعى وترتعي، إلاّ يمل حمدان في الظلّ بارك» هي الحكايات والبدايات، والزمن الأجمل بكل هالات الفرح التي خلّفها في أرواحنا، وعلى عطرها القابع في الذاكرة نُقيم ■

باحثة وأديبة من الإمارات

حمدت ربَّ عالي

فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

الابنة هي عمود البيت، تعين والدتها، وتسد مكانها حين تغيب، ولا عجب أن تصفها الأم بأنها "ذخري عن الحياة" فهي الذخر والسند، وبأنها النفاعة، أي كثيرة النفع، حيث قيل:

يا البنت يا النفاعة / اللي في الأمر والطاعة

لم يكن ترقيص الأبناء والبنات حكراً على الأم، فهناك بعض الآباء الذين لاعبوا ورقصوا بناتهم وحفيداتهم حين تنشغل الأم، وذكروا أن مصبح بن غانم الرميثي قد لاعب بنات أخيه، وقال فهن أهازيج منها قوله لسلمى:

يا حليل سلامي/تدجّ وتحامي/وتُدوف عطرتها/من مغرب الشامي
تمشي ورا أختها/وتزوم قربتها/ما قالت يارتها/مسقى الغبن ظامي

هذه أهزوجة شعبية من الإمارات، وأذكر هنا ما يناظرها من التراث العربي القديم. نجد عدة مواقف يرقّص فيها الأب أبناءه وبناته. منها حين دخل عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان الذي كان يرقّص ابنته عائشة ويلاعبها، واصفاً إياها بتفاحة القلب، معدداً محاسن البنات ودورهن في حياة الأب والقبيلة، مفنداً النظرة السائدة التي كان يتبنّاها عمرو بن العاص.

لكن هناك بعض الأهازيج التي صوّرت غضب بعض الآباء حين رزقوا ببنات، خاصة إن لم يكن لديه ابن؛ ليحمل اسمه، وهذا من تأثير الثقافة السائدة في فترة ما قبل اكتشاف النفط، ومثال على ذلك:

شرد أبوها يوم يات / قطع البطحا وبات / قالت يا بويه ماني بدعه
من حمل ياب البنات

والأسفار والرحلات كثرت في الماضي، طلباً للرزق، لكن بعض الأهازيج تصور السفر كردّ فعلٍ على ولادة الأنثى، بدلاً من أن تعلق الأم على هذا الموقف، نجد أن الابنة ترد على موقف الأب بأن إنجاب البنات ليس بدعة، فالذرية قد تكون ذكوراً أو إناثاً. وهذا يذكرنا بأبيات في التراث العربي قالتها الأعرابية قديماً حين هجرها زوجها؛ لإنجابها للبنات، فقالت لزوجها أبي حمزة:

غضبان ألا نلد البنينا / تالله ماذاك في أيدينا / وإنما نأخذ ما
أعطينا / ونحن كالأرض لزارعينا /تنبت ما قد زرعوه فينا

ولكن ما حال أم البنات، التي أنجبت عدداً منهن، وقد يكون بينهن ذكور، هل حزنت؟ ما أكبر همومها؟ تصور إحدى الأهازيج حالها:

أم البنات بطينها مربع/ كد يوزت خمس وفي البيت أربع/ حمدت
ربَّ عالي اللي كثر الآثاري / الطاقة ما كستهن لي يت عند الذاري

ترسم الأهزوجة صورة لأم البنات، التي ترهل بطنها بسبب كثرة الولادات، وقد زوّجت خمساً منهن، وبقيت أربع عندها في البيت، حمدت الله الذي رزقها بالبنات، اللاتي احتجن لكميات كبيرة من الأقمشة. هي تحمد الله وتشكره على ما رزقها من نعيم الحياة، بوجود أنيسات لها ومساعدات، وسيكون أزواجهن أبناء للأم. تصف إحدى الأهازيج الكويتية الفرحة بإنجاب البنت بعد عقم أو بعد عدد من الأولاد:

عطانا عقب الأياس / ابنيه وتفرح الناس

وهناك أهزوجة كويتية أخرى تركز على نعمة البنات، وإن كثر عددهن إلى عشر فهن قليلات؛ لشدّة محبة البنات، وحلو معشرهن، ونعيم عيشتهن.

آه يا حلو البنيات/ عشر وأقول قليلات

ولا أحد يعلم أي الأبناء والبنات أقرب نفعاً، فهذا يعمر التميمي، الذي عاد لزوجته بعد أن طلقها؛لأنها أنجبت عدداً من البنات، فأخذت البنت الصغيرة بقلبه، فقال ملاعباً لها:

يا بنت من لم يك يهوى بنتا / ما كنت إلا خمسة أو ستا / حتى
حللت من الحشا وحتى / فتت قلبي من جوى فانفتا

وبلغ من حبهم للبنات في التراث الشعبي الإماراتي أن يتغنى الأهل بهن، بوصفهن ما يلبسن من زينة، وألعابهن، وتفاصيل حياتهن اليومية، وذكر أسمائهن مثل آمنة، وعائشة، وفاطمة، وموزة، والتغني بهن في أهازيج عدة، ومنها:

مريم يا أمّ جدين/ تغلي والغلا زين

وأخرى تصف تعلق الأب بابنته علياء الحنزبة أي المرأة الجميلة السنعة، المؤدية لواجباتها:

يا علياء يالحنزيبه /خذتي قلبه وغديتي به/ أبوك متعلق في
ثناياك /متعلق وما دريت به

وتبقى الأهازيج الشعبية قريبة من القلب، تذكر بالزمن الجميل، ومعانيه التي عكست بعض ملامح الثقافة العربية القديمة، تجارب الناس وما استخلصوه من معانٍ، وما سجلوه من مأثوذكريات في كتاب الأيام ■

نادي تراث الإمارات

إعلان طباعة كتب

وَضَع نادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث خُطّةً لرفد المشهد الثقافي الإماراتي بإصدارات متنوعة تَخُصُّ تراث الإمارات وتاريخها؛ قَصْدَ إغناءِ المكتبة التراثية الإماراتية، وفَتْحِ منافذَ معرفيةٍ جديدةٍ أمام الباحثين، ويَدعوهم إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها في «المركز»، ليشارك بها في المعارض والفعاليات الثقافية. ويُقدِّمُ «المركز» لمؤلّف الكتاب مكافأةً مالية تتراوح بين (10000 - 15000 درهم إماراتي).

شروط النشر:

- أن يَتّصف موضوع الكتاب بالجِدّة، والموضوعية، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفية.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً، أو مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغةُ الكتابِ العربيّةَ الفصيحة المُصحَّحة لغوياً.
- ألا يكون الكتاب مترجَماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجية العلمية في التأليف، والأمانة العلمية، والنهْل من المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش أسفلَ كلِّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب.
- أن يُرسَل الكتاب بصيغة الوورد، مرفَقاً بملخَّص من نحوِ مئتي كلمة باللغة العربية، وبنبذة مختصرة عن سيرة المؤلّف العلمية.
- أن يكون عدد كلمات الكتاب بين 30 و70 ألف كلمة.
- تَتَولّى هيئة تحكيم مختصة مراجعةَ الكتاب وتقييمَه وإصدارَ قرار نهائي بشأن طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله. وفي حال الموافقة، يلتزم الكاتبُ بإجراء التعديلات المقترحة.
- مدة العقد خمس سنوات.
- تُرسَل الكتب بصيغتَي Word و PDF إلى الإيميل التالي: torathbook@ehcl.ae

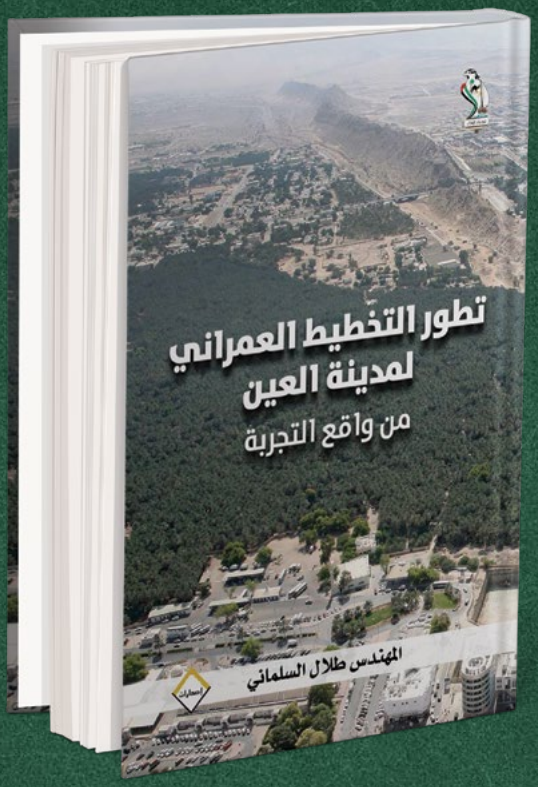

تطور التخطيط العمراني لمدينة العين

«من واقع التجربة»

تطور التخطيط العمراني لمدينة العين «من واقع التجربة» كتاب يتناول قصة نجاح مدينة العين في التحول من تجمعات سكانية صغيرة حول الواحات إلى مدينة عصرية خضراء، ويرى المؤلف في كتابه أن الحفاظ على هذا النجاح واستدامته هو من أولويات التخطيط الحضري السليم الذي يستوجب المراجعة الدورية المنتظمة لخطط التطوير العمراني للتحقق من مرونتها واستجابتها لمتطلبات المرحلة القادمة دون الإخلال بالثوابت والأهداف التي حددتها خطة إطار الهيكل العمراني لمدينة العين لعام 2030. كما يتحدث المؤلف عن واقع معايشته لمستجدات التطور العمراني لمدينة العين لأكثر من ثلاثة عقود مشيراً إلى مجموعة من المشاهدات لبعض الظواهر في البيئة العمرانية في المدينة، وهو يرى أن أي تخطيط للمدينة يجب أن يقوم على أساس علمي منهجي يستند إلى دراسات وإحصائيات وتحليلات لمختلف القطاعات ذات الصلة بحياة البشر سواء في الإسكان...

المهندس طلال السلماني